جامعة الأزهر

حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة

يحررها نخبة من أساتذة الكلية

العدد ٢٠

القسم الأول

أ. د. عزيز نافع
وكيل الكلية

يشرف على تحريرها
أ. د. علي البدري
عميد الكلية ورئيس قسم البلاغة والنقد

صفحة ناقصة

صفحة ناقصة

صفحة ناقصة

صفحة ناقصة

صفحة ناقصة

صفحة ناقصة

صفحة ناقصة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد أكمل الخلق روحاً وعقلاً، وأقواهم بدنا ورسماً، وأعلاهم قدراً وذكراً وأصدقهم قولاً وفعلاً، وأرشدهم سلوكا ومنهجاً، ورحمة الله وبركاته عليه ما ذكر الله الذاكرين وغفل عن ذكره الغافلين ورضوان الله على أصحابه الذين جاهدوا ونصروا . وبعد ..

فإن الأمة الاسلامية أوتيت فى أوطانها من نعم الله وخزائن فضله ومنابع الثراء، ما لم يؤت أحد من العالمين، وهى إذا أحسنت القيام على هذه النعم فى منابعها، وأحسنت استقلالها بالعلم والمعرفة والخبرة المدبرة والسياسة الحكيمة والاستقلال فى التفكير وعدم التبعية الموجهة.

كان فى يدها زمام القيادة التعميرية الموجهة إنشاءً وتأسيساً وبناءً وانتاجاً وتثميراً تصديقاً لقول الله فى محكم كتابه .. ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾[1]. ويقول أيضا . ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾[2] .

وإذا كانت الحياة لم تعرف حداً لرقى الفرد فى الجماعة البشرية ينتهى إليه، فأحر ألا يكون للجماعة نفسها حد تقف عنده فى رقيها، فالحياة متجددة والمعارف الإنسانية متزايدة، والفعل البشرى دائب

---

(١) سورة البقرة / الآية ١٤٣ .

(٢) سورة آل عمران / الآية ١٠٤ .

العمل، وخزائن الكون لا تزال مغلقة، وأسراره ما برحت محجبة وحقائقه ما فتئت مجهولة، ومن الغرور العقلى أن يزعم إنسان أنه وصل إلى درجة من المعارف والعلم بحقائق الكون وأسرار الوجود تقربه من الكمال المقدور للبشرية، فالمجهول من تلك الأسرار وهذه الحقائق لا يزال أعظم بكثير جداً، مما عرف، والذى عرف لا يزال الكثير منه مستخدماً فى الحياة على غير جهته التى تفيد منها الحياة، فالجهاد أمام العقل البشرى واسع المدى فسيح الجنبات .

وكلما اتسعت معارف العقل البشرى عن حقائق الكون ازدادت استجابات الحياة له، وقوى سلطانه فى تسخير قوى الطبيعة فى ما يفيد النوع الإنسانى، ويرقى عناصره، ويدعم قواه، ويهئ أمامه الفرص للتغلب على احتمال اعداء الحياة فى ثقة واطمئنان .

إن النصوص القرآنية التى قلدت المجتمع المسلم قلائد القيادة الإنسانية لا تزال أصواتها جهيرة تنادى مجتمعها المسلم ليقوم من رقدته، يقول الله سبحانه وتعالى، ﴿ وكذلك جعلنا كم أمة وسطا، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ (١) .

وإننا ندعو شباب الأمة الاسلامية عامة وشباب جامعة الأزهر خاصة أن يتسلحوا بالايمان والعلم لمواجهة الغزو الفكرى واليهود بصفة خاصة، الذين يبذلون طاقتهم فى تجهيل شباب المسلمين .

---

(١) سورة البقرة / الآية ١٤٣ .

أيها القارئ الكريم :

مرحباً بك على صفحات حولية كلية اللغة العربية بأسيوط فى عددها العشرين، حيث تقدم لك وجبة علمية من خلال بحوث لأعضاء هيئة التدريس بهذه الكلية، مختلفة من حيث التخصص والكم والكيف، الهدف منها اثراء الحركة العلمية بين باحث ومتطلع، وإنارة الطريق أمام شباب الباحثين حيث إن هذه البحوث محكمة علمياً من أعضاء اللجان العلمية الدائمة والمحكمين فى جامعة الأزهر .

أيها القارئ الكريم :

إن الوفاء صفة من صفات منهج الاسلام وعرفت الحياة للدين الاسلامى معناه الشامل القويم، الذى يعنى المعانى والقيم والحقائق الإيجابية فى منهج النبوة والرسالات الإلهية، ومن هذا المنطلق فإننا نودع فى هذا العدد من حولية كلية اللغة العربية علماء أفاضل نذكرهم بالخير ونعترف بفضلهم رحلوا عنا بأجسامهم، ولكن ما زالت أرواحهم تعيش معنا من خلال مؤلفاتهم واشرافهم ومناقشاتهم للعديد من الرسائل الجامعية لأبناء هذه الكلية وهم الدكتور/ محمد الجيلانى مدرس بقسم البلاغة، والأستاذ الدكتور/ عمر محمد حسين أبو شهبة الأستاذ المساعد بقسم اللغويات، والدكتور/ كمال حسين أحمد عيد مدرس بقسم أصول اللغة بالكلية، والأستاذ الدكتور/ أحمد منصور نفادى الأستاذ بقسم الأدب والنقد بالكلية وكذلك الموظف محمود على سليمان الذى خدم هذه الكلية وقدم الكثير من جهده لطلابها، أسكنهم الله جناته وأجزل لهم المثوبة وحسن العمل .

أيها القارئ الكريم :

حرصت إدارة الكلية على تكريم جميع الذين حصلوا على درجة الأستاذية أمواتا وأحياء فى أنها قامت بتخصيص قاعات للتدريس ووضع عليها لافتات بأسماء هؤلاء الأساتذة تقديراً من إدارة الكلية عميداً ووكيلاً لهؤلاء ووفاء واعترافاً منها بما قاموا به من اثراء للحركة العلمية ومشاركتهم فى بناء صرح علمى فى صعيد مصر كلية اللغة العربية التى سوف تظل شامخة بعلومها وبروادها من العلماء .

ويسعد أعضاء لجنة التحرير أن تتلقى من القارئ الفاضل أى مقترحات أو آراء جديدة نفيد منها فى الأعداد القادمة لهذه الحولية .

والله الهادى إلى سواء السبيل

رئيس التحرير وعميد الكلية

أ.د/ محمد نيسان سليمان مناع

بحث في كتاب

بعنوان

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهج ورسالة

الأستاذ الدكتور/ الصادق عرجون

تقديم وتحليل

أ.د / محمد نيسان سليمان مناع

أستاذ التاريخ الإسلامي وعميد الكلية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد ابن عبد الله أفضل خلق الله خلقاً وأكرمهم روحاً، صلى الله عليه وسلم ورضوان الله على آله وأصحابه والسلف الصالح وبعد .

فقال تعالى في محكم كتابه ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[١] ، وقال أيضاً ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾[٢]، وقال أيضا ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[٣] ، وقال أيضاً ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[٤]، وقال أيضاً ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي * يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾[٥] .

إن أحداث السيرة النبوية قد تناولتها مصادر ومراجع عديدة منذ القرن الثاني الهجري حتى القرن الحادي عشر الهجري، وهذه المصادر والمراجع متنوعة من حيث الكم والكيف هذا بالإضافة إلى غير المتخصصين في التاريخ الإسلامي مثل المصادر الأدبية والبلاغية وغيرها، ونظراً لأنني قد تعاملت مع هذه المصادر والمراجع إما قارئ أو باحث أو مؤلف، فإنني

---

(١) سورة الفتح / الآية ٢٩ .

(٢) سورة الحجرات / الآية ٣ .

(٣) سورة النجم / الآية ١٠ .

(٤) سورة سبأ / الآية ٢٨ .

(٥) سورة الأحزاب / الآية ٥٦ .

أقدم للباحثين كتاباً جمع بين الأصالة القديمة ومعالجة القضايا التاريخية، التى وردت فى المصادر القديمة، وسوف يجد الباحث فى هذا الكتاب، النهج العلمى، والأسلوب القوى، والفكرة الهادفة، إعتمد المؤلف على مصادر أصيلة ثم عرض قضايا السيرة النبوية بأسلوب يدل على فهم ووعى.

وهذا الكتاب هو بعنوان / محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهج ورسالة بحث وتحقيق الأستاذ الدكتور/ محمد الصادق ابراهيم عرجون العميد السابق لكلية أصول الدين بالقاهرة، ولقد رحل عنا بجسده ولكن ما زالت روحه تعيش معنا بهذا الكتاب وبغيره من المؤلفات التى ألفها .

والكتاب يقع فى أربع مجلدات أو أجزاء وكل جزء يقع فى ستمائة صفحة من القطع المتوسط، ومطبوع طباعة ممتازة فى دار القلم بدمشق، ويوزع فى أغلب البلاد العربية والإسلامية .

والمقدمة فى الجزء الأول لهذا الكتاب تكشف لنا عن اهتمام المؤلف بأحداث السيرة النبوية عرضا وتحليلا، ومن هنا يظهر الفرق بين مؤلف ناقل من المصادر والمراجع دون تحليل أو اضافة أو مناقشة، ومؤلف بذل الجهد فى تقديم صورة مشرقة واضحة عن أحداث السيرة النبوية فى حقبها المكى والمدنى، بأسلوب ممتاز جمع بين وعى المفسر والمحدث واللغوى والفقيه والمؤرخ، وهذا المنهج قلما نجده فى مؤلف واحد فى عصرنا الراهن .

فقد قال الأستاذ الدكتور عرجون عن فكرة الكتاب :

ليس هذا الكتاب حشداً لروايات أحداث السيرة النبوية، وجمعها من شتيت مؤلفاتها ودواوينها فى مؤلف واحد، كما صنع كثير من الاعلام فى

جمع كتب أمهات الحديث وغيرها من كتب الفنون التى شهرت بالجوامع، ولكنه فكرة دراسية للحقائق والمعانى التى تضمنتها وقائع السيرة .

وقد راودتنى فكرة هذا البحث منذ زمن بعيد لا أستطيع تحديده تحديداً يقف به عند تاريخ معين باليوم والشهر والسنة، وإنما هى فكرة لمعت فى ذهنى فكانت أشبه بأشعة الشمس عند الإصباح، ثم لم تزل تعلو وتشتد فى حياتى التواقة الى البحث حتى استوت فى كبدها شمساً وهاجة بددت من أفق تفكيرى سحائب التسليم المستسلم لكل ما أقرأ من كتب الأقدمين من أئمة أعلام الاسلام الذين تخصصوا فى أحداث السيرة النبوية ورواياتها، والذين شهروا برواية الحديث، والذين جمعوا فى تفسير القرآن الحكيم روايات سميت تفسيراً بالمأثور .

وكانت قراءاتى متدرجة من مرحلة الى مرحلة، وفى كل مرحلة وقفات للفكر متسائلة: أهذا صحيح؟ أهذا معقول؟ وكنت أجيب نفسى عن تساؤلاتى بأجوبة مستسلمة لأصحاب الهالات المشهرة، ولكن ذلك كثر كثرة خشيتها على تفكيرى، وخشيتها على دينى وعقيدتى .

فرجعت الى القرآن العظيم، واتخذته وحده الصديق الحميم الذى أصغى اليه وأحاول أن أفهم عنه، وصفيت نفسى بقدر المستطاع عن الاتصالات لغير جرسه، والاستماع لغير هديه، ورسمت لنفسى مع القرآن العظيم خطة لأستخلص منه ما أستنقذ به نفسى من الاستسلام الموبق أياً كان المتكلم غير القرآن الحكيم فى جميع ما جاء به، أو الرسول الأمين فى كل ما ثبت صحته بالرواية عنه بغير معارض أقوى منه .

وللقرآن الكريم منهج في بنائه الفني هو رأس اعجازه بهدايته التي أنزل بها أمانة في عنق الأمة الاسلامية لتطبيقها واقعاً في حياة مجتمعها أينما حل من أرض الله، والاعجاز بالهداية هو معجزة القرآن الخالدة خلود العقل، أما الاعجاز الأسلوبي في براعة البيان وروعة الأداء فهو اعجاز خاص بمن يفهمه ويزنه بميزان ركائزه من البلاغة العربية التي ذهب أهلها بعد أن استعجموا، فلم يبق على ظهر الأرض من يقوم بحمل أمانته السليفة ولا بالتعلم لما سماه البلاغيون بلاغة وبراعة، وانما هو شئ رسخ في قلوب المسلمين، لأن عجز أهل السليفة البيانية عن معارضته مع شدة وخد التحدى المتدرج حجة على عجز من لم يكن من هذه السليفة البيانية بيد ولا لبد، فهذا الاعجاز الاسلوبي في روعته معبر للاعجاز بالهداية الباقية الخالدة، وبالهداية كان الاعجاز عاماً شاملاً للزمان والمكان والأجيال والأفكار، وقد بينا ذلك في (القرآن العظيم: هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين) وأعني بالبناء الفني للقرآن العظيم هذا التنوع في أداء المقاصد الشاملة لحاجات الحياة افراداً وجماعات، عقيدة وتعبداً وتشريعاً، وانظمة اجتماعية وآداباً خلقية وتربية سلوكية .

وكانت اللبنة الأولى في هذا البناء الفني هي الحديث عن شخصية حامل رسالة القرآن ﷺ ، وكان هذا الحديث منوعاً لو جمعت آياته في إطار التصور الحسي لكانت هي (محمد رسول الله منهجاً ورسالة) .

ومن هنا بدأت فكرة الكتاب، فبدأت من جديد أقرأ ما كتب عن محمد رسول الله في مؤلفات القدامى والمحدثين، وأحكم فيه القرآن بما جاء فيه عن محمد رسول الله، فصادفتني فجوات ومهاوى في روايات أصحاب السير

لا تنسجم معه هداية القرآن، وألح على الشك فى هذه المؤلفات، وتوجهت الى كتب الحديث أقرأ فيها عن محمد رسول الله، وإذا بى كلما أمعنت فى القراءة كلما ازدادت على مضايق الفكر من كثرة الاختلاف بين الروايات وكثرة الأغاليط فى الحقائق والمعانى .

فعولت على أن أدرس حياة محمد رسول الله، لا محمد العبقرى، ولا محمد البطل، وأسجل مما أقرأ بميزانى للروايات القائم على الموازنة بينها فى صحة السند وصحة المتن، فأيتها رجحت كفته فى صحة السند والمتن قبلته وسجلته، وبينت سبب قبوله بأمور نقلية وعقلية، غير إنى وجدت باب المعجزات الكونية مقفلا على العقل، فلا يصح أن يتحكم فيه، لأن العقل معزول عن تجاوزه حدوده فى سنن الله الخاصة، وباب المعجزات الكونية من هذا القبيل بشرط أن يصح صحة لا يعارضها ما هو أعلى منها، وجمعت مما سجلت الكثير الطيب مستعيناً بالله الرحيم الودود .

ثم قال المؤلف عن هدف الكتاب :

وقد كان أن تبلور فى صدرى هدف الكتاب، إذ وجدتنى (متكيفاً) بروح ما جمعت وما سجلت، وإذا بهذه الروح تشرق بشمسها فى آفاق نفسى وتلح على أن أستخلص نور السيرة النبوية من ركام سحب الظلام الذى نسجت بردة الروايات العاطفية والنقول التقليدية التى لا تقف أمام الحقائق بميز أن العقل وتحقيق البحث .

ورجعت أقرأ ما جمعت وما سجلت، وأنقيه من غلس الأساطير ليبرز منه منهج الرسالة فى معالمها الواقعية فى التطبيق السلوكى الشامل لعناصرها فى الكليات والجزئيات، وكان أن استوى هدف الكتاب على سوقه فى إطار

إبراز معالم منهج الرسالة الخالدة في شخص محمد رسول الله ﷺ.

وفى هذا الفصل تتجلى قوة الصراع بين الحق والباطل، وبين الإيمان والعواطف، إذ قلما صادفتنى رواية فى معناها وموضوعها لم تعارضها رواية أو روايات أخرى، وهنا تظهر عشرات الأكابر ذوى الهالات المشهرين فى تاريخ التراث الاسلامى ولا سيما فى رصد روايات السيرة النبوية وأحاديثها وأحداثها، وتتغلب العواطف على العقل، ويقف العقل كالمتهم البرئ الذى لا يجد ناطقاً بحجته، وأخوض فى هذه اللجة حذراً من المزالق، وجلا ممن أناقش، لأنه اقتعد ذروة الشهرة والاستسلام لما يقول، وحسبه عند المتعاملين انه (فلان) ومن الذى يرد على (فلان) روايته أو قوله؟ .

ولكن أطلت الوقوف، ثم استعنت الله، وقلت لنفسى: هذا دين به تلقين الله، وعنه تسألين من الله تعالى فانظرى: هذه الجنة ونعيمها، وهذه النار وجحيمها، وأنى لى بالصبر على النار، ولجأت الى الله تعالى مستغيثاً أرجو رحمته، وعزم لى الأمر أن أكتب ما وصلت إليه باجتهادى، وسألته أن يرزقنى حسن النية وقصد السبيل فيما إليه قصدت، وهو الغفور الودود، ولكنى كنت أكتب متحوطاً لنفسى، ومتوقعاً لنقد الناقدين، متصدقاً بما ينالنى مستغفراً لنفسى ولمن ظلمنى، راجياً أن يقع هذا البحث موقع القبول الذى يفتح للباحثين أبواب الولوج الى ساحة التراث الاسلامى المبتلى بالتشويه لتنقية الحقائق من غلس الأباطيل، حتى لا يكون لأعداء هذه الرسالة الطاهرة المطهرة سبيل الى هدم معالمها بمعاول التدسيس فى تراثها .

ثم قال المؤلف عن مادة الكتاب :

كانت المادة التى بنى منها صرح هذا الكتاب قريبة المنال، سهلة التناول، معروفة المعالم، لا تخفى على طلبة العلم بله العلماء والأعلام، فهى:
أولا - القرآن الحكيم من بين دفتي المصحف، لا من تفاسير المفسرين التى قد يحوج البحث الى النظر فيها، ولكن لا على انها مصدر البحث ومرجع التحقيق، بل على أنه مثل لما قبل، وفيها ما فيها .

والقرآن الحكيم عرض لكثير من أحداث السيرة النبوية ووقائعها، فهو فيما عرض إليه أصل الأصول، ومصدر النور، ليس وراء حجته حجة، ولا مع دليله دليل، ونصه هو القاطع للخصومة، وقوله هو الفصل .

ثانياً - السنة المطهرة التى صح نقلها عن رسول الله ﷺ لا تعارضها شبهة، وهذه الصحة لا تقف عند صحة السند، ولكن لابد فيها من صحة المتن، بل ان صحة المتن أهم وأعظم، ونعنى بصحة المتن عدم مخالفة ما يروى لأصل من أصول الاسلام، دون لجوء الى التأويلات المتعسفة، وعصمة الأنبياء فى عقيدتنا أصل من أصول الايمان والاسلام، فإذا جاءت رواية تمس من قريب أو بعيد عصمة محمد ﷺ وجب طرح هذه الرواية كان من كان راويها لأنه غير معصوم من الوهم والغلط .

ثم بين المؤلف منهج الكتاب فقال:

تتبع النص فى الموضوع الواحد والمسألة الواحدة بالنظر الى ما فيها من اختلاف أورثها إياه مذهب القائلين بجواز رواية الحديث بالمعنى، وهو

مذهب أدى إلى ضياع كثير من التعبيرات النبوية - هو الأساس الأول في منهج الكتاب .

وفي اطار هذا المنهج بدأت البحث، وفي اطاره تكامل الكتاب الذي لا يجد فيه قارئه شيئا غريبا عن معارفه التي قرأها في مصادر السيرة النبوية، لأن مادته التي بني على أساسها هي الروايات المتداولة بين أهل العلم قديماً وحديثاً، ومن قبلها آيات القرآن العظيم التي جاءت متحدثة عن محمد رسول الله ﷺ في خطاب خاص في الوصف أو التوجيه ورسم طرائق تبليغ الرسالة، وبيان معالم الأسى به ﷺ ، أو جاءت متحدثة تعمه بالخطاب مدخلة معه مجتمعه المسلم اينما كان وكيفما كان، أو جاءت متحدثة عن حوار بينه ﷺ وبين مجتمعه المسلم من أهل الكتاب والمشركين، أو كان تحديثاً عن المجتمع المسلم وتربيته تربية سلوكية لتكون له وراثة التأسي به.

بيد أن القارئ سيجد في الكتاب تحقيقات وتعليقات، وبحوثاً تناقش هذه الروايات لتستخلص من اضابيرها الصحيح الذي يتفق مع حياة رسول الله ﷺ الانسانية منذ ولادته الى أن فارق دنيا الناس الى الرفيق الأعلى، ويتفق مع ما ثبت عنه ﷺ ثبوتاً أقرب في صحته الى القطع الذي لا يقبل الشبهات .

وهذه التحقيقات والتعليقات والبحوث هي في الحقيقة العنصر الأصيل في هدف الكتاب، وهي اذا جردت من الكتاب كانت أضخم حجماً وأعظم قدراً من نصوص الروايات، ولكنها لارتباطها بالروايات ارتباطا لا تنفصم عراه، ولا تحل وثاقته يجعل من العسير القريب من المحال تجريدها عنها لأن الكتاب حينئذ يفقد حقيقته التي بني عليها .

ومن ثم بدأت الكتاب بمقدمات تمهيدية عن (محمد ﷺ من نبعته الى بعثته) وهى مقدمات جرى فيها البحث عن الحياة الانسانية التى عاشها سيدنا محمد ﷺ بشراً بين قومه وأغصان دوحته القرشية، عربياً متكامل الخلق والخلق، متنائياً بعقله عن مزالق العبودية لغير الله .

وفى هذه المقدمات عرضت لنا روايات تتحدث عن ارهاصات كونية، لا يسارع العقل الى تسليمها والايمان بها، وهنا كان لنا موقف مع العقل و(العقلانيين) فى مدى ما يمكن ان تصل اليه مدارك العقل من حقائق الكون العظيم، وهو بحث مفيد فى الحديث مع هؤلاء الذين يؤلهون العقل، ويعطونه حق التحكم المطلق فى أحداث الحياة والكون، بينا فيه بالأدلة والحجج الواضحة أن كثيرا جداً من حقائق هذه الحياة وهذا الكون العقل معزول عن ادراكه، لأن العقل محدود التكوين، ومحدود الادراك، ولكننا قلنا أن الاعتماد فى مثل هذه الروايات على صحتها صحة ترفعها الى امكان القبائل رداً الى اقتدار الله تعالى، على أن ردها فى هذه المرحلة البشرية التى لم تكن معها نبوة لا يخدش الايمان فى قليل أو كثير .

وقد عدنا لهذا البحث عند الحديث عن المعجزات الكونية التى ثبت وقوعها بعد الرسالة، فقد تكاثرت روايتها تكاثر يصعب معه ردها، وهى من روايات الصحيح، وذكرنا فى ذلك كثيراً من الأمثلة القائمة فى حياة الناس أفراداً وجماعات، وهم بعلمائهم الكونيين عاجزون عن ادراك حقائقها ومعانيها ولكنهم ينتفعون بآثارها التجريبية، ووقفنا فى صدد قبولها أو ردها عند توثيق رواياتها من الثقاة المشهود لهم بالعلم والفضل، ورأينا أن عدم

قبولها لعجز العقل البشرى عن الوصول الى سنتها الخاصة التى قام عليها وجودها جرحة في ايمان المؤمن، لأن كثرتها فى سياقات الصحاح يجعل من الصعب جداً انكارها أو التوقف مع العقل فى عدم قبولها، لأن ذلك يفتح الباب أمام انكار الغيبيات التى هى بعيدة المنال عن مدارك العقل، وكثيراً منها من أصول الايمان .

وقد بدأنا البحث بعد هذه المقدمات بالحديث عن الوحى والنبوة وحقيقتهما ومعناهما، ثم خصصنا الحديث عن نبوة محمد ﷺ ، وناقشنا هنا بعض الأكابر ذوى الهالات المشهرة من علماء الاسلام فى مؤلفاتهم التى نالت ما يشبه الاجماع على قبول ما روت وجمعت، كما ناقشنا قول الملاحدة فيما يعترى النبى ﷺ من قوة الروحانية حين تلقيه الوحى مناقشة علمية مستقاة من آيات القرآن الكريم، وومضات العقل، وآثار الهداية التى لم يشهد لها التاريخ مثيلا فى آثار دعوات الأنبياء والرسل، وهم صفوة الخلق فى هذه الحياة .

وقد أقمنا بناء الكتاب على مرحلتين أصيلتين أجرينا الحديث فى أحداثهما: المرحلة المكية، والمرحلة المدنية، وكانت فى كل مرحلة منهما تحقيقات لأحداث وأحاديث، ولا سيما المرحلة المكية وما كان فيها من مواقف النبى ﷺ فى ايمانه برسالة نفسه ودعوته الى الله، واشتداد الخطوب والكوارث عليه وعلى أصحابه، حتى أمرهم بالهجرة إلى الحبشة ليخرجوا بالدعوة وتبليغ الرسالة الى مجال يجدون فيه أرضاً يستنبتونها، وبينا بياناً شافياً أن هذه الهجرة كانت من أعظم السياسات الحكيمة التى ساس بها ﷺ

مجتمعه، وبينا أن هذا المجتمع الذى كان طليعة لرواد الدعوة من أهل الرسوخ فى الايمان واليقين لم يكن كما تقول بعض الروايات من الفقراء والعبدان والضعفى، بل كان فيهم كثرة غامرة من أعلياء بيوت قريش منافيين، ومخزوميين، وزهريين، وأعلياء بعض القبائل التى كانت خارج مكة، وهنا كتبنا فصلا مسهباً بسطنا فيه البحث فى أخبث قصة اشتملت عليها أحداث السيرة، تلك هى قصة الزندقة الكبرى أضلولة (الغرانيق)، وقد أتينا فى هذا البحث على ما يقرب من جميع ما قيل فيها إثباتاً لا يعتمد إلا على خيط العنكبوت، ونفياً اجتث جذورها، رمى بها فى هاوية الأباطيل التى كيد بها الاسلام وكتابه القرآن المجيد، وقد كان أغرب ما صدفناه أننا وجدنا بين من يثبتها ويتعصب لإثباتها ممن يشار اليهم فى الاصطلاح الفكرى فى تاريخ الاسلام ثم ذكرنا مواقف قريش من النبى ﷺ وموقف عمه أبى طالب فى دفاعه عنه وحمايته، ومحاوراتهم معه، ورد رسول الله ﷺ على عمه، وذكرنا موقفاً غريباً جداً ليلة الهجرة وائتمار المشركين به مما أشار اليها القرآن الكريم، ولم نجد فى الروايات ذكراً قط لبنى عبد مناف عامة أو الهاشميين خاصة إزاء هذا التآمر الدنئ، وتساءلن: أين بنو عبد مناف، وأين الهاشميون؟ وهو موقف غريب جداً فى اهمال أهم الأحداث والمواقف، ورأينا فى حديث خروج رسول الله ﷺ من بيته ليلة الهجرة فجوات واسعة لم تسدها الروايات بل اضطربت فيها اضطراباً واسع الاطراف، واعتمدنا حديث عائشة عند البخارى ووجدنا كثيراً من الروايات تخالف هذا الحديث وهو فى القمة من الصحة، وقد عالجنا ذلك معالجة علمية رددنا فيها المواقع الى مواطنها من البحث .

ثم بدأنا الرحلة الى المدينة آخذين بركاب رسول الله ﷺ وصاحبه وصديقه أبى بكر رضى الله عنه، ولم نغفل حادثاً من حادثات الطريق كانت له أهمية فى معالم منهج الرسالة دون تحقيق روايته وبحث وقائعه .

وتجاوبت آفاق المدينة وما حولها بوصول النبى ﷺ الى قباء، وكانت اللهفة تحمل أهل المدينة على الخروج الى مشارفها ليتلقوه ﷺ ، وكان للقلم سبحات فى وصف هذا اللقاء الأكرم من الرجال والنساء والأطفال، ونزل ﷺ حيث أنزله الله فى أشرف بقعة من بقاع المدينة، وفيها بنى مسجده الشريف أول ما وضع من شئ، وقد أخذ بناء المسجد الشريف جولات من القلم فيها بحوث وتحقيقات أبرزت هذا المسجد كآية من آيات الله تعالى فى تصوير معالم منهج الرسالة فى بناء المساجد فى العالم الاسلامى، ومقاصدها فى بساطة بنائها وما يجب أن يكون فيها من مرافق اصلاحية .

ثم عقدنا فصلا مطولا للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، مؤاخاة تكافلية فى الترافق والتواصى والتواسى، وأبنا موقف الأنصار من هذه المؤاخاة التكافلية، ذلك الموقف الذى سجله القرآن وبلغ به درجة الإيثار، وناقشنا مزاعم القائلين بالتوارث بين المهاجرين والأنصار، وأبطلنا ذلك بالأدلة التاريخية، والوقائع النقلية .

ثم جاء الجهاد القتالى بعد أن استنفد جهاد الحجة والمجادلة بالتى هى أحسن، وبينا أن المشركين هم الذين اشعلوا نار هذا الجهاد، وكان موقف النبى ﷺ منه موقف المدافع عن دعوته، دعوة الحق والهدى والنور والخير.

وبدأت الغزوات والبعوث والسرايا وعقد الألوية والرايات لنشر الدعوة وتبليغ الرسالة وإزالة العوائق من طريقها، وقد رأينا أن استيعاب جميع الغزوات والبعوث والسرايا صعب جداً لا يمكن تحقيقه مع حاجته الى استغراق زمن طويل، فاخترنا أهم الغزوات للبحث والتحقيق، ووقفنا مع قضية أسرى بدر وما جاء فى شأنها فى القرآن من معاتبة على أخذ الفداء، وأبطلنا بالأدلة الواضحة مزاعم الذين أدخلوا النبى ﷺ فى هذه المعاتبة، ثم قفينا على الموقف فى غزوة أحد مبدأ ونهاية، وما كان فيها من أحداث وكوارث تحمل منها النبى ﷺ أعظمها، ثم وقفنا مع آيات العتاب التى نزلت بها سورة آل عمران، وحللنا الآيات تحليلا أبان انها من أعظم معالم منهج الرسالة فى علاقة القائد الأعظم بجيوشه وكتائبه، ثم تابعنا بقية ما اخترنا من الغزوات، وفى كل غزوة مواقف مثيرة تعثرت فيها الروايات، فبذلنا جهداً مضنياً فى تحقيق الحق، وعرضنا لقصة الإفك عرضاً كانت فيه آيات القرآن شمساً بددت ظلام النفاق فى هذه المسألة الشائكة، واستبعدنا اعتماداً على بعض القرائن والشواهد أن يكون أحد ممن ثبت له صحبة النبى ﷺ قد شرك فى هذه الموبقة، ولم نزل نمشى مع الأحداث حتى جاءت معاهدة الحديبية، فأعطيناها حقها من التحقيق والبحث، وأعقبها الفتح الأعظم فتح مكة المكرمة الذى بلغت فيه سماحة النبى ﷺ ذروة الفضائل الانسانية .

ثم عرضنا لغزوة حنين وما كان فيها من دروس لتربية المجتمع المسلم ردت اليه كرامته وعزته وأنزل الله نصره على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين، وكانت مكارم رسول الله ﷺ فى غنائم هذه الغزوة من المؤلفة قلوبهم ومع

ذوى الحاجة من عامة المؤمنين مما لا يستطيع القلم ان يحيط بوصفه، واتصل ذلك بغزوة ثقيف وما كان للنبى ﷺ من سياسة حكيمة أنزلتهم من حصونهم وافدين الى المدينة ليسلموا ويبايعوا رسول الله ﷺ ، وفى غزوة حنين كان للأنصار موقف تولى رسول الله بنفسه غسل صدورهم من آثاره .

ثم جاءت أعظم الغزوات جيشاً وأخطرها قدراً فى مقصدها وأعظمها تضحية، تلك هى غزوة تبوك، وفى روايات أحداثها تحقيق وبحث يرفعان راية الحق والهداية، وقد ذكرت الروايات أموراً مختلفة فى أسباب هذه الغزوة التى حشد لها النبى ﷺ طاقة البشرية، وبذل فيها أثرياء الصحابة وفقراؤهم أقصى ما استطاعوا من البذل فى سبيل الله، وقد كان أبو بكر ذروة الباذلين فتبرع بجميع ما يملك، وقفاه عمر وعبد الرحمن بن عوف، وكان عثمان بن عفان هو المثل المضروب فى البذل الذى لم يلحقه فيه أحد، كما أنفق الذين لا يجدون إلا جهدهم من القليل الذى فى أيديهم ما طابت به أنفسهم. وقد ذكر رواة السيرة فى سبب هذه الغزوة روايات مختلفة متضاربة، فناقشناها مناقشة نقد وتمحيص وبحث وتحقيق، ولم يثبت لدينا منها سوى إشارة فى رواية، أمسكنا بها وشرحناها شرحاً بينا به أن السبب الحقيقى لهذه الغزوة هو التطبيق العلمى لعموم الرسالة، وتجرؤ العرب على الرومان والفرس، وقد كان اسماهما كفيلين ببث الرعب فى قلوبهم استعظاماً لقوتهما، وقد جعل النبى ﷺ هذا التطبيق العلمى تفسيراً لقول الله تعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ .

وقد كانت غزوة تبوك آخر غزوات رسول الله ﷺ ، ثم توالت بعدها وفادات وفود من بقى متربصاً من قبائل العرب، وقد اخترنا من أحاديث هذه الوفود ما صحت روايته وإن اختلفت الأساليب وما رأينا فيه شيئاً من معالم منهج الرسالة الذى هو الهدف الحقيقى للكتاب، ثم اخترنا من كتب رسول الله ﷺ الى الملوك والرؤساء داخل الجزيرة العربية وخارجها بعضها مما رأينافيه من دروس التربية للأمة ما يجعله جديراً بالبحث والتسجيل .

ثم أفردنا لموقف اليهود من الاسلام ونبيه ومجتمعه باباً فى الكتاب أخرناه لنوحد الكلام على طوائفهم، لأن ما شبوا فيه وشابوا عليه من الغدر وخيانةالعهود والنفاق والتآمر والمكر والكيد والحسد ورجس العقيدة - كان على سمة واحدة فى جميع طوائفهم، وقد ابرزنا فى هذا الكتاب الكثير من خلائفهم التى عاشـوا ويعيشيون بها فى المجتمع الانسانى، ورددنا مزاعم الذين لا تقبل نفوسهم تماثل الجزاء فيما جازاهم به النبى ﷺ على غدرهم به وهو فى دارهم ونقضهم العهود ليأسه من صلاح حالهم .

ثم جاء الحديث عن الشمائل النبوية والاخلاق الذاتية لرسول الله ﷺ مع الناس والحياة، ولم نشأ أن ندخل فى مضائق الافتراءات الكافرة والأباطيل الملحدة حتى لا تفتح نوافذ الجدل والمراء للذين طووا صدورهم على معاداة واضعاف شأن المسلمين .

وبعد: فهذا إجمال يأخذ بيد من ينظر فى سطوره الى ساحة الكتاب الواسعة، ليقرأ متأنياً، يخوض فى لجج قضاياه ومسائله التى نالها التحقيق والبحث، وهى كثيرة كثرة توائم ضخامة حجم الكتاب فى وزنه كما، وتلائم

حقائق أحداثه ومعانيه كيفاً، عسى أن يجد فيه أهل العلم دافعاً يدفعهم الى النظر والبحث فى كتب التراث الاسلامى لتنقيتها من أوضار الأضاليل التى أدخلها على هذا التراث أعداء الاسلام قديماً، فقبلها أهل السلامة والاستسلام .

وبعد هذا العرض الذى قدمته عن مؤلف الكتاب، فإنه يعد من أفضل الكتب التى تناولت أحداث السيرة النبوية فى حقبها المكى والمدنى، فقد عالج الدكتور عرجون، كثيراً من قضايا السيرة النبوية ومنها، فترة الوحى، حادثة شق الصدر، والاسراء والمعراج، وحادثة الهجرة الى المدينة المنورة هذا بالاضافة الى الغزوات والسرايا، بأسلوب ممتاز وعرض شيق مبدع، وغيرها من الأحداث التاريخية التى جاءت بها النصوص التاريخية جامدة فى أغلب المصادر القديمة، وكلما قرأت الكتاب فإننى أجد عند كل مرة، معلومات كثيرة، وخبرات جمة، تدل على سعة الاطلاع، ورؤية المتبصر وعمق الفهم، مع الأسلوب العلمى، الذى يصحبه فى الغالب الأعم، التمحيص الدقيق والموازنة الواعية بين الحوادث، وربطها بمسبباتها وإرجاعها إلى مصادرها الموثوق منها، وهذا ما يتطلبه منهج الدراسات التاريخية، البحث المنقب والتقصى المدرك مع الموازنة والترجيح، يقول العلامة ابن خلدون فى مقدمته، وهو يتحدث عن فن التاريخ "إذ هو فى الظاهر لا يزيد عن أخبار الأمم والدول والسوابق فى القرون الأولى، تنمو فيه الأقوال وتضرب فيه الأمثال وتطرف بها الأندية، إذا غصها الاحتفال، تؤدى لنا شأن الخليفة، كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق

والمجال، عمروا الأرض، حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال، وفى باطنه نظر وتحقيق، فهو لذلك أصيل فى الحكمة، دقيق"[1] . ولا شك أن التاريخ علم وفن علم فيه من أدواته البحث والتقصى والمنهاج، وفن فيه من أدواته الأداء والعرض والتصوير والتفاعل مع أطواره، والتبويب والحوار، وكل هذا المنهج وجدته فى كتاب الدكتور عرجون "محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهج ورسالة" ولا يفوتنى أن أذكر أن الدعم التاريخى الذى تناوله المؤلف من أصدق وأوثق المصادر التاريخية ليس للهوى اليه سبيل ولا للعاطفة عليه سيطرة إلا العاطفة الإيمانية التى ظهرت فى أغلب ثنايا الكتاب وقد سرد المؤلف الأحداث التاريخية، أبنا فيها قدرات الرسول عليه السلام أمام قوى الضلال وأعلام الطاغوت . والكتاب فى جملته دائرة معارف يستحق غاياته المسلمين والمثقفين والقراء، فجزى الله المؤلف الأستاذ الدكتور عرجون خير الجزاء، وأسكنه جناته .

والله الهادى الى سواء السبيل ،،

الأستاذ الدكتور
محمد نيسان سليمان
أستاذ التاريخ الإسلامى
وعميد الكلية

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص٢٦٠ .

ترجمة شخصية العدد

الاسم : محمد نيسان سليمان مناع .

مولده : ولد فى قرية صنيم - مركز أبو قرقاص - محافظة المنيا .

تاريخ ميلاده : ولد فى أربعة فبراير سنة ١٩٤٢م - ١٩٤٢/٢/٤م .

١- حفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية على أيدى شيوخ أفاضل وهم، فضيلة الشيخ عوض شعبان - والشيخ جمال مناع .

٢- التحق بمعهد المنيا الدينى القسم الابتدائى وظل به لمدة سنتين ثم انتقل إلى معهد القاهرة الدينى بالدراسة ثم حصل على الشهادة الإبتدائية عام ١٩٦٠/٥٩م النظام القديم أربع سنوات .

٣- التحق بمعهد القاهرة وحصل على الثانوية العامة عام ٦٧/٦٦ ثم التحق بكلية اللغة العربية بالقاهرة قسم التاريخ والحضارة وحصل على درجة الليسانس بتقدير جيد جداً عام ١٩٧١م وكان ترتيبه الرابع على الدفعة.

٤- عين مدرساً للغة العربية بمدرسة اللاهون الاعدادية بمحافظة الفيوم من ١٩٧١م- ١٩٧٣م ثم انتقل إلى القاهرة .

٥- سجل دراسات عليا فى قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة وحصل على ماجستير فى عام ١٩٧٤م بتقدير جيد .

٦- عين معيداً بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بأسيوط سنة ١٩٧٦/٧٥م ثم مدرساً مساعداً وظل بها .

٧- سجل رسالة الدكتوراة فى التاريخ الإسلامى بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة بعنوان (تحقيق الجزء الثالث من كتاب الأوراق لمحمد بن أبى بكر الصولى من سنة ٢٩٥هـ-٣١٨هـ عصر المقتدر بالله العباسى ثم حصل على رسالة الدكتوراة بتقدير عام ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٩م .

٨- عين مدرساً بقسم التاريخ والحضارة فى كلية اللغة العربية بأسيوط وظل بها إلى عام ١٩٨١م .

٩- سافر إلى السعودية البعثة الأولى عام ١٩٨١م إلى عام ١٩٨٦م لمدة أربع سنوات فى كلية الشريعة قسم التاريخ والحضارة جامعة أم القرى .

١٠- حصل على أستاذ مساعد عام ١٩٨٤م أثناء إعارته إلى جامعة أم القرى .

١١- حصل على درجة الأستاذية بعد عودته من جامعة أم القرى سنة ١٩٨٨م .

١٢- عين رئيساً لقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بأسيوط سنة ١٩٨٨م إلى سنة ١٩٩١م .

١٣- سافر إلى السعودية فى سنة ١٩٩١م إلى كليات الرئاسة العامة لتعليم البنات: كلية التربية الأقسام الأدبية وظل بها لمدة ست سنوات ثم عاد إلى كلية اللغة العربية بأسيوط عام ١٩٩٧م .

١٤- ثم عين عميداً لكلية اللغة العربية بأسيوط ولأول مرة يعين من قسم التاريخ عميداً فى كلية اللغة العربية على مستوى جامعة الأزهر .

١٥- وفى عهد عمادته تم الآتى :

أ- فتح قسم دراسات عليا للتاريخ والحضارة .

ب- فتح قسم دراسات عليا للوثائق والمكتبات .

جـ- فتح قسم دراسات عليا لأصول الفقه .

د- تم تشعيب القسم إلى تاريخ اسلامى، تاريخ حديث، تاريخ قديم، حضارة .

المؤلفات

١- كتاب : الدولة الإسلامية .

٢- كتاب : عصر الخلفاء الراشدين .

٣- كتاب : الحضارة الإسلامية .

٤- كتاب : دراسات تاريخية وحضارية لمسجدى الحيف والبيعة .

٥- كتاب : دراسة تاريخية لمسجد المزدلفة .

٦- كتاب : تاريخ العالم الإسلامى .

٧- كتاب : الحركات الإنفصالية .

٨- نشر رسالة الدكتوراة .

بحوث

١ - الكتاب الاسلامى المخطوط .

٢- أنباء الأثير على صفحات التاريخ .

٣- الإباضيون بين النشأة والازدهار .

٤- نساء على صفحات التاريخ .

٥- الدبلوماسية فى الاسلام .

٦- منهج السخاوى فى الكتابة التاريخية .

٧- منهج ابن بطوطة فى رحلته .

٨- دخول الاسلام مصر .

رسائل الماجستير التى أشرف عليها أو ناقشها

١ - القعقاع بين عمرو التميمى وأثره فى حركة الفتوح الاسلامية / جامعة أم القرى.

٢- تحقيق تاريخ البدر فى أوصاف أهل العصر - للعينى / جامعة الرياض .

٣- إنتشار الاسلام فى بلاد ما وراء النهر / جامعة الرياض .

٤- الحياة السياسية فى الأندلس / جامعة الرياض .

٥- بلاد الشام فى رحلة ابن بطوطة / جامعة أم القرى .

٦- الحياة العلمية فى العصر العباسى الأول / جامعة أم القرى .

٧- بلاد الحجاز فى كتب الرحالة / جامعة الملك عبد العزيز بجده .

٨- منهج أبى مختف فى الكتابة التاريخية / جامعة الرياض .

٩- السياسة المالية فى عهد هارون الرشيد / جامعة الأزهر اللغة العربية بأسيوط .

١٠- منهج المدائنى فى الكتابة التاريخية / جامعة الأزهر اللغة العربية بأسيوط .

١١- بلاد المغرب وأثرها فى نشر الاسلام / جامعة الأزهر اللغة العربية بأسيوط .

١٢- منهج ابن تغرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة / جامعة الأزهر اللغة العربية بأسيوط .

١٣- السياسة المالية للأمويين فى مصر / جامعة الأزهر اللغة العربية بأسيوط .

١٤- القبائل العربية وأثرها فى نشر الاسلام / جامعة القاهرة .

١٥- منهج المسعودى فى الكتاب التاريخية / جامعة القاهرة .

رسائل دكتوراة أشرف عليها أو ناقشها

١- تحقيق تاريخ ابن قاضى شهبة / الرياض الأداب

٢- مدينة القاهرة فى عهد الفاطميين / الرياض الأداب .

٣- إنتشار الاسلام فى الهند / الرياض الأداب .

٤- تحقيق الجزء الثالث من عقد الجمان للعينى / الرياض كلية التربية .

٥- المدينة المنورة فى العهد المملوكى / جامعة الملك سعود .

٦- المبرد مؤرخاً / جامعة أم القرى .

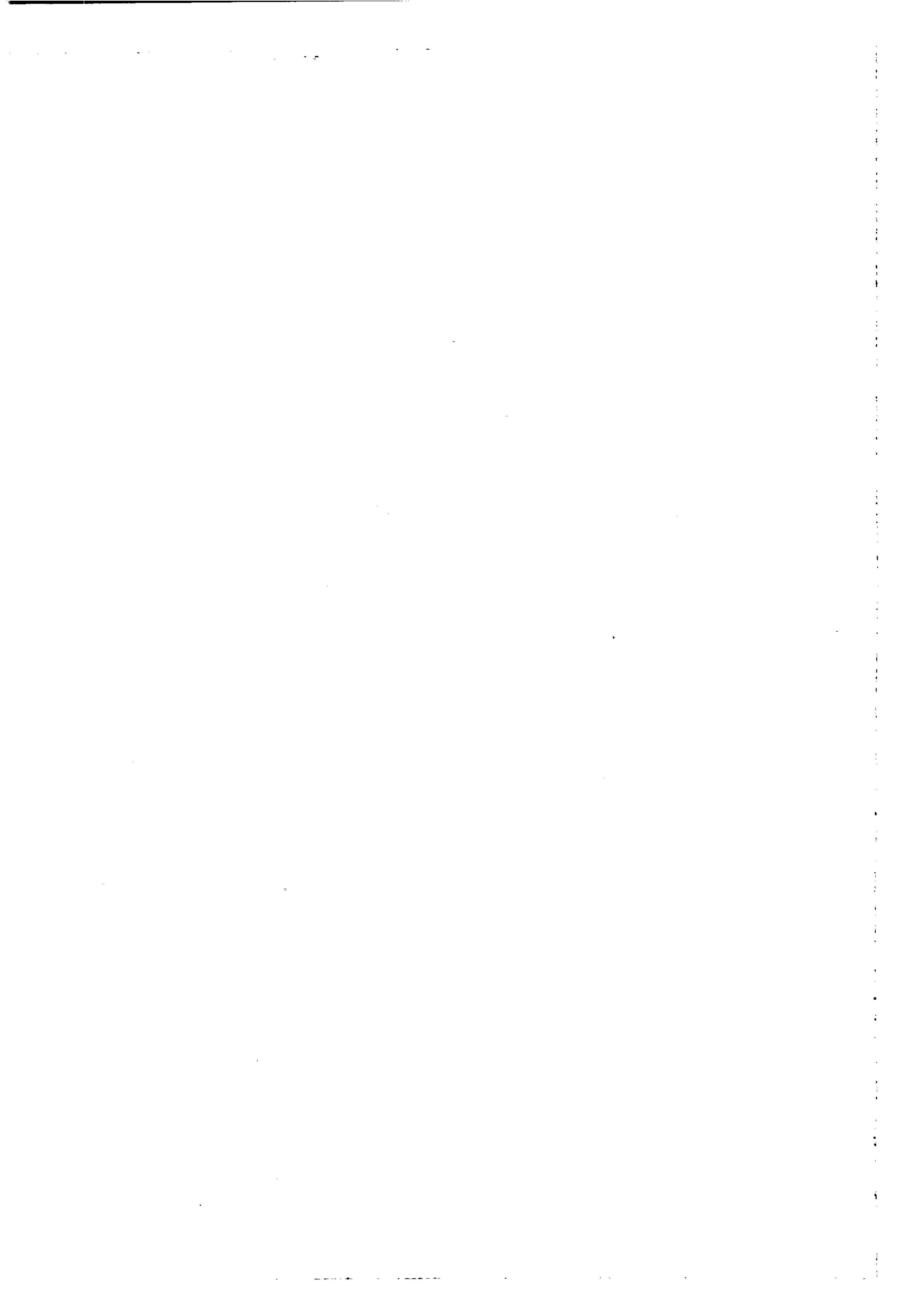
٧- الحياة العلمية فى مدينة حلب / جامعة الأزهر بأسيوط .

٨- كتابات النصارى فى التاريخ الاسلامى / جامعة الأزهر بأسيوط .

شذرات نقدية
فى نص شعرى لكعب بن زهير
(رضى الله عنه)

للأستاذ الدكتور/ **على محمد طلب**

أستاذ الأدب والنقد ووكيل كلية اللغة العربية بأسيوط



التعريف بالشاعر وشعره :[1]

هو أبو عقبة كعب بن زهير بن أبى سلمى، أبوه زهير من فحول الشعر فى الجاهلية، وهو من قبيلة مزينة، وقد تلقن الشعر عن أبيه زهير صاحب المعلقة والحوليات التى عرف بها، ونشأ كأبيه نشأة أدبية فى بيئة معروفة بقول الشعر، فشب منذ حداثته فصيح اللسان واضح البيان، وقد تلقن الشعر عن أبيه مثله فى ذلك مثل أخيه بجير ومثل الحطيئة، وكان يحفظهم زهير شعره وشعر غيره من الشعراء الجاهليين حتى تنضج موهبة الشعر فيهم .

ومعروف أن كعبا وبجيرا والحطيئة أدركوا الاسلام فكانوا من المخضرمين، وكان أسبقهم إلى الدخول فى الاسلام بجير وشهد فتح مكة، وقد تعرض بجير لهجاء أخيه كعب حيث يقول فى هجائه :

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
شربت مع المأمون كأسا روية ... فانهلك المأمون منها وعلكا[2]
على مذهب لم تلف أما ولا أبا ... عليه ولم تدرك عليه أخالكا

---

(١) أنظر ترجمة كعب بن زهير فى الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١٤١/١٥ ، وتاريخ الأدب العربى للأستاذ أحمد حسن الزياد ص ١٤٦ ، وروائع الأدب للدكتور محمد نبيه حجاب ص١٦ ط دار المعارف، والعصر الإسلامى للدكتور شوقى ضيف ص٨٣ وما بعدها، والشعر والشعراء لابن قتيبه ١٥٤/١، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى ٩٩/١ وما بعدها وغير ذلك من الكتب .

(٢) المأمون : الرسول الكريم، وقيل أراد به أبا بكر . النهل: الشرب الأول والعلل: الشرب الثانى .

ويقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع بهذا الشعر فتوعده وأهدر دمه، وما زال كعب بن زهير على وثنيته حتى فُتحت مكة، فكتب إليه بجير أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل كل من آذاه من شعراء المشركين، إلا من أعلنوا إسلامهم ودعاه أن يقدم على رسول الله تائباً، وهناك لم يجد بداً من الالتجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتوسل إليه بحلمه وكرمه وعفوه .

وقدم على الرسول الكريم ومدحه بقصيدته اللامية وأعلن إسلامه وكساه الرسول الكريم بردته الشريفة، وقد اكتسى بها كعب بن زهير حلة مجد لا تبلى، ولقبت قصيدته بالبردة، وحسن إسلام كعب، وأخذ يصدر في شعره عن مواعظ وحكم يستقي من منابع القرآن الكريم، وكان شعره ينم عن ولائه لدينه الحنيف وأنه أسلم وجهه لربه جل جلاله، ولعل ذلك ما يدل دلالة واضحة على مدى تأثير الاسلام في نفسه وفي شعره [١] .

ومن المعاني الإسلامية ذات الصبغة الواضحة في شعره قوله :[٢]

فأقسمت بالرحمن لا شئ غيره ... يمين امرئ بر ولا أتحلل

لاستشعرن أعلى دريس مسلما ... لوجه الذى يحيي الأنام ويقتل[٣]

هو الحافظ الوسنان بالليل ميتا ... على أنه حيّ من النوم مثقل

من الأسود الساري وإن كان ثائرا ... على حد نابيه السمام المثمل[٤]

---

(١) انظر: العصر الإسلامي للدكتور / شوقي ضيف ص٨٧ وما بعدها ط دار المعارف بالقاهرة .

(٢) شرح ديوان كعب بن زهير ص٥٦ وما بعدها ط دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٠ .

(٣) دريس: مثنى دريس وهو الثوب الخلق، يريد لألبسن ثوبى على الإسلام .

(٤) الأسود: الحية . ثائرا: طالب ثأر ، يريد وهو هنا غير طالب ثأر بل ظالم لا يبالى من أصاب .

فكعب بن زهير يقسم بالرحمن قسما لا حنث فيه، لألبسن ثوبى على الإسلام، مسلما لله تعالى الذى يحيى ويميت، وهو معنى قرآنى، والله هو الحافظ لكل نائم بالليل من الحية الرقطاء وهى غير طالبة للثأر، بل ظالمة لا تبالى من أصاب وهو من المعانى القرآنية حيث يقول عز من قائل:﴿ وهو الذى يحفظكم بالليل ﴾.

وظل كعب يتبع منهج أبيه زهير فى قرض الشعر، فكان ينقح شعره ويجوده، ويمتاز شعر كعب بالسلاسة والعذوبة ومتانة النسج وشدة الأسر وجودة السبك، ومما يدل على مكانة كعب الشعرية وقيمة شعره أن جرول بن أوس العبسى المعروف بالحطيئة، وهو من نابهى الشعراء توسل إليه أن ينوه بذكره فى شعره حتى يشتهر فقال :

فمن للقوافى شأنها من يحوكها ... إذا ما مضى كعب وفوز جرول[1]
كفيتك لا تلقى من الناس واحدا ... تنخل منها مثل ما تتنخل

وتوفى كعب بن زهير سنة ٢٤ هـ .

جو النص (المناسبة التى قيل فيها هذا النص) :

يذكر ابن قتيبة السبب الذى من أجله قيلت هذه القصيدة، فبعد أن أهدر النبى ﷺ دم كعب لما أتهم النبى الكريم بالاختلاق فى دعوته، وكان ذلك أمرا خارت له قوة كعب واضطرب له قلبه، فلما ضاقت عليه الأرض بما رحبت لم يجد بدا من الالتجاء إلى رسول الله ﷺ والتوسل

---

(١) جرول: اسم الحطيئة .

اليه بحلمه وكرمه وعفوه، ويشير ابن قتيبة إلى ما حدث بعد أن قدم كعب على الرسول الكريم، ويذكر أنه قد بدأ بأبى بكر الصديق رضى‌الله عنه، فلما سلم النبى ﷺ من صلاة الصبح جاء اليه وهو متلثم بعمامته، فقال له: يا رسول الله هذا رجل جاء يبايعك على الاسلام، وعندئذ بسط النبى الكريم يده، فحسر كعب عن وجهه وقال: هذا مقام العائذ بك يا رسول الله، أنا كعب بن زهير، فتجهمته الأنصار وغلظت له لذكره النبى صلى الله عليه وسلم قبل ذلك، وأحب المهاجرون أن يسلم، فأمنه النبى الكريم، ثم أنشد هذه القصيدة التى مطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ... متيم إثرها لم يجز مكبول

وفيها مدح النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة الأجلاء، فكساه المصطفى الكريم البردة الشريفة التى اشتراها معاوية بن أبى سفيان بعد ذلك بعشرين ألف درهم وهى التى يلبسها الخلفاء فى العيدين[1] .

النص :

يقول كعب بن زهير يستعطف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمدحه :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ... متيم إثرها لم يجز مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلت ... إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذى شيم من ماء محنية ... صاف بأبطح أضحى وهو مشمول

---

(١) انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٥٤/١ وما بعدها ط دار المعارف القاهرة ١٩٨٢ .

أكـرم بـهـا خلـة لـو أنـهـا صدقـت موعودها أو لـو أن النصح مقبول
فما تـدوم علـى حـال تكـون بـهـا كمـا تلـون فــي أثوابـهـا الغـول
ولا تمسك بالعـهـد الـذى زعمـت إلا كمـا يمسـك المـاء الغرابيـل
فلا يغرنـك مـا منـت ومـا وعـدت إن الأمـانـى والأحـلام تضليـل
كانت مواعيـد عرقـوب لهـا مثـلا ومـا مواعيدهـا إلا الأبـاطيل
أرجـو وآمـل أن تدنـو مودتـهـا ومـا إخـال لدينـا منـك تنويـل
أمسـت سـعـاد بـأرض لا يبلغـهـا إلا العتـاق النجيبـات المراسـيل

إلى أن يذكر الوشاة وموقفهم منه فيقول :

تسـعى الوشـاة جنابيـهـا وقولهـم إنـك يا ابن أبـى سلمى لمقتـول
وقـال كـل خليـل كنـت آملـه لا ألهينـك إنـي عنـك مشـغول
فقلـت خلـو سـبيلى لا أبـالكم فكـل مـا قـدر الرحمـن مفعـول
كل ابن أنثـى وإن طالت سلامته يومـا علـى آلـة حدبـاء محمـول

ثم يخاطب النبي ﷺ مستعطفا إياه فيقول :

أنبئـت أن رسـول الله أوعدنـي والعفـو عنـد رسـول الله مـأمول
مهلا هـداك الـذى أعطـاك نافلـة (م) القرآن فيـهـا مواعيـظ وتفصيـل
لا تـأخذنى بـأقوال الوشـاة ولم أذنب وإن كـثرت فى الأقـاويل
لقـد أقـوم مقامـاً لـو يقـوم بـه أرى وأسمع مـا لـو يسمع الفيـل
لظـل يرعـد إلا أن يكـون لـه من الرسول - بإذن الله - تنويل
حتـى وضعـت يمينـي لا أنازعـه فى كـف ذى نقمات قيله القيل
لذلـك أهيـب عنـدى إذ أكلمـه وقيـل: إنـك منسـوب ومسـئول

ثم ينبرى فيمدح الرسول الكريم والصحابة الأجلاء فيقول :

إن الرسـول لنـور يستضاء بـه ... مـهند مـن سـيوف الله مسـلول

فى فتية من قريش قـال قائلـهم ... ببطـن مكـة لمـا أسـلموا : زولـوا

زالـوا فمـا زال أنكـاس ولا كشـف ... عنـد اللقـاء ولا ميـل معـازيل

شـم العرانـين أبطـال لبوسـهم ... من نسج داود فـى الهيجاء سرابيل

بيض سـوابغ قـد شـكت لها حلق ... كأنـها حلـق القفعـاء مجـدول

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ... ضـرب إذا عـرد السـود التنـابيل

لا يفرحـون إذا نـالت رماحـهم ... قومـا وليسـوا مجازيعـا إذا نيلـوا

لا يقـع الطعـن إلا فـى نحورهـم ... ومالهم عن حياض الموت تهليل[1]

شـرح المفـردات :

(١) بانت:فارقت من البين وهو البعد والفراق. سعاد: مجرد اسم كنى به الشاعر عن محبوبته تسترا . متبول: اسقمه الحب والعشق من التبل وهو الهيام حتى الضعف. المتيم: المستعبد الذليل من تيمه الحب استعبده وأزله. مكبول: مقيد من كبله: إذا قيده بالكبل وهو القيد الضخم .

(٢) غداة البين: ساعة الفراق المبكرة، والغداة: أول النهار من طلوع الفجر إلى مطلع الشمس. الأغن: الذى فى صوته غنـة أى نبرة محبوبة. غضيض الطرف: فاتر اللحظ وهى سمة من سمات الجمال .

---

(١) ديوان كعب بن زهير السكرى ص٦ وما بعدها ط دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٠، وجمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى ص٣٠٨ وما بعدها ط المطبعة الرحمانية ١٩٣٦ .

(٣) هيفاء: ضامرة البطن دقيقة الخصر. عجزاء: كبيرةالعجز وهو الردف، وإنما وصفها فى حالتى الإقبال والإدبار ليشير إلى أن لها فى كل موضع من أوضاعها حسن وجمال وفتنة . لا يشتكى قصر ولا طول: كناية يستفاد منها أنها ربعة فهذا يلزم أنها ليست معيبة بطول ولا قصر .

(٤) تجلو: تكشف. العوارض: الأسنان. وذى ظلم بفتح الظاء: ماء الأسنان وبريقها. المنهل: اسم مفعول من أنهله: إذا سقاه النهل وهو الشرب الأول. معلول: اسم مفعول من عله يعله: إذا سقاه العلل وهو الشرب الثانى، والقصد من الجمع بين وصفى النهل والعلل إفادة تشبع الثغر بالخمر. والراح: الخمر .

(٥) شجت: مزجت بما يكسر حدتها. الشبم بفتحتين: البرد، وصاحب الشبم: هو الماء الذى شجت به الخمر . محنية : منعطف، ووصف الماء بأنه مأخوذ من منعطف الوادى فيه دلالة على أنه صاف رائق نقى. الأبطح: السيل الواسع فيه دقاق الحصى. أضحى: لبث وقت الضحى ويفيد أنه لم تدركه حرارة الشمس المرتفعة. مشمول: مضروب بريح الشمال، واختار هذه الريح بصفة خاصة .

(٦) أكرم بها: ما أكرمها فهى صيغة تعجب. خلة بضم الخاء: الصديق يطلق للمذكر والمؤنث والمراد: الخليلة. الموعود: الوعد .

(٧) الغول: كل ما يغتال الانسان ويهلكه، والمراد هنا السعلاة وهى الأنثى من الشياطين، وهى من خرافات العرب التىتزعم أنها تتراءى لهم فى الفلوات، وتغير مظاهرها واشكالها وتتلون بألوان شتى فتضلهم

عن الطريق السوى، وقد أبطل الاسلام هذا الزعم فيما أبطل من خرافات الجاهلية، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال (لا طيرة ولانوء ولا غول) [(١)] .

(٨) تمسك أصلها تتمسك: يقال مسك الشئ وأمسكه ومسكه (مضعف السين) وتمسك به كلها بمعنى العهد، زعمت: ضمنت وكفلت من الزعم والزعامة بمعنى الضمان والكفالة، وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وأنا به زعيم ﴾ ، والتشبيه فى عجز البيت يفيد مدى الدرجة التى بلغتها سعاد فى خلف الوعد ونكث العهد، ويوحى بمقدار خيبة الأمل التى يلقاها فى حبها، وأنه نفض يديه من وصالها وقربها .

(٩) لا يغرنك: لا يخدعنك. منت: حذف مفعولاه للعلم بهما يقال: مناه كذا إذا أطمعه فى تمنيه، أو معنى منت: وعدت بالأمنية وهى ما يتمنى ويشتهى. الأمانى: بتشديد الياء: جمع أمنية، الأحلام: جمع حلم بضم حائه ولامه وهو ما يعرض للنائم من رؤى وخيالات تذهب بذهاب النوم. تضليل: تضيع وإبطال ومنه قوله تعالى فى أصحاب الفيل:﴿ ألم يجعل كيدهم فى تضليل ﴾ [(٢)] .

(١٠) عرقوب: هو عرقوب بن نصير من العمالقة نزل (بيثرب) قبل أن ينزل بها اليهود، ضرب به المثل فى خلف الوعد، ويذكرون فى خلفه

---

(١) انظر: مختارات من الأدب للدكتور/ عبد المقصود السعداوى ص٢١٧ وما بعدها ط دار الطباعة المحمدية القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) سورة الفيل / الآية ٢ .

للوعد: أن عرقوب هذا وعد أخاله ثمر نخلة فقال له: ائتنى إذا أطلع النخل، فلما أطلع النخل أرجاه إلى أن يبلح، ثم إلى أن يزهى ثم إلى أن يرطب ثم إلى أن يتمر، فلما صار البلح تمرا جزّه بالليل ولم يعط أخاه شيئا منه، فجاء الرجل بعد أيام فلم يجد الا عودا قائما، فذهب موعود عرقوب مثلا، ولذلك يقول القائل:

وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب[1]

الأباطيل : جمع غير قياسي لباطل .

(١١) تنويل: مصدر نوله بمعنى أعطاه نوالا، أى عطاء، والمقصود ليس العطاء المادى ولكن العطاء المعنوى المناسب للحب من الوصال ونحو ذلك .

(١٢) أمست: صارت أو دخلت فى المساء. لا يبلغها: لا يوصل اليها . العتاق: النوق الكرام الأصول. النجيبات: الخفيفات القويات أو النفيسات، المراسيل: جمع مرسال وهى الناقة السريعة .

(١٣) تسعى: من السعاية بمعنى الوشاية وهى المشى بين الناس بالوقيعة والافساد. الوشاة: جمع واش وهو الذى يزين الكذب ويزخرف كلامه بالزور كالثوب الموشى أو المزخرف المنقوش. جنابيها: جنابى سعاد فالضمير يعود على سعاد، ويروى حواليها والمعنىواحد. ابن ابى سلمى: المراد به كعب بن زهير نسب نفسه إلى جده على عادة العرب، ومنه

---

(١) تراثنا الأدبى للدكتورين ابراهيم أبى الخشب ومحمد عبدالمنعم خفاجى ص١٠١ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

قوله عليه الصلاة والسلام: (أنا ابن عبدالمطلب) مقتول: أى صائر إلى القتل لا محالة أو مهدد به .

(١٤) الإلهاء : الشغل والتعطيل، ومعنى لا ألهينك إنى عنك مشغول: لا أشغلك عما أنت فيه من الفزع والخوف فأنا مشغول عنك بأمور نفسي، والمقصود من العبارة: صرفه عن التعلق بمعونة كل صاحب كان يؤمل كعب في حمايته .

(١٥) خلوا سبيلى: اتركوا طريقي وتنحوا عنه. لا أبالكم: تعبير كنائي يفيد المدح أو الذم، فهو في مقام المديح أن المخاطب لا نظير له إذ لو كان له أب لكان له أخ يماثله، وفي مقام الذم على معنى نفى نسبه فهو خسيس دنئ، ومعنى الذم هو المتبادر هنا . فكل ما قدر الرحمن مفعول: استسلام للمقادير يلجأ له الإنسان عندما لا يجد مخرجا من شدته، ويكون فيه العزاء والسلوى .

(١٦) كل ابن انثى: المراد كل مولود. الآلة: المراد بها النعش. الحدباء: المرتفعة ومنه إطلاق الحدب على ما ارتفع من الأرض، وربما كان قصده من وصف النعش بالارتفاع أنه ظاهر للعيان يراه المشيعون للميت إلى مثواه الأخير، قيل معنى حدباء: معوجة .

(١٧) أنبئت وفى رواية نبئت وكلاهما بمعنى أخبرت أو أعلمت. أوعدني: هددني وأهدر دمى من الوعيد، ولا يكون إلا فى الشر بخلاف الوعد .

وكرر ذكر "رسول الله" لافادة التعظيم والتفخيم، ولما فيه من تكرار اعترافه بالرسالة، وكلاهما يؤكد الهدف من القصيدة التى ينشدها بين

يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طلب العفو، فهو بهذا البيت وما تلاه يتناول غرضه الرئيس وهو الاستعطاف والاعتذار .

(١٨) مهلا: أناة ورفقا. هداك الله جملة خبرية قصد بها الدعاء للرسول أن يزيده الله هدى وتوفيقا. نافلة القرآن: عطية القرآن، والنافلة فى الأصل: الزيادة فى فعل الخير وإضافتها إلى القرآن بيانية، فالمقصود نافلة القرآن. مواعيظ: جمع موعظة وهى القول الموجه إلى السلوك القويم. تفصيل: تبين وتوضيح .

(١٩) لا تأخذنى بأقوال الوشاة: لا تعاقبنى بها ولا تحاسبنى عليها. الأقاويل: جمع أقوال وهى جمع قول والمراد بها الأكاذيب والإدعاءات .

(٢٠) لقد : جواب قسم محذوف أى والله لقد أقوم. مقاما ظرف مكان والمراد مقامه بين يدى النبى ﷺ ، وفى البيت حذف وتقديره بعد ذكر المحذوف: والله لقد أقوم فى مقام بين يدى رسول الله لو يقوم به الفيل أرى ما لو يراه الفيل وأسمع ما لو يسمعه الفيل - لظل يرعد مع شجاعته، فجواب لو فى البيت بعده، وفيه تصوير للموقف العصيب المهيب، وهو كناية عن هول الموقف وهيبة من يقف بين يدى الرسول الكريم فى النفوس، وإنما خص الفيل بذلك لأنه أراد التهويل والتعظيم، والفيل أعظم الحيوانات جثة وشأنا[1] وشجاعة واحتمالا .

---

(١) انظر: النصوص الأدبية والبلاغة للدكتور يوسف البيومى وآخرين ص٤٨ وما بعدها ط زهران القاهرة ١٩٧٢ .

(٢١) يُرعد:مبنى للمفعول: تأخذه الرعدة وهى الاضطراب من الفزع والخوف. والتنويل: مصدر نوّله بمعنى أعطاه نوالا، والنوال الذى يقصده هنا: هو تأمينه بقبول عذره والعفو عنه .

(٢٢) حتى وضعت يمينى: كناية عن أخذ العهد بالأمان. نقمات: جمع نقمة المراد به رسول الله ﷺ . قيله القيل: قوله الصادق النافذ المعتد به.

(٢٣) لذلك أهيب: ويروى أرهب: وصفان للتفضيل من الهيبة والرهبة وفى كل منهما معنى الخوف. منسوب ومسئول: منسوب إلى أمور اتهمت بها، ومسئول عنها محاسب عليها .

(٢٤) إن الرسول لنور: تشبيه الرسول بالنور (تشبيه بليغ) اقتصر فيه على المشبه "الرسول" والمشبه به "نور" . مهند : منسوب إلى الهند، وفيه تشبيه بليغ مثل سابقه، والتشبيه الأول يناسب مهمة الرسول الكريم الأولى فى الرسالة وهى الهداية، ولذلك شبهه الله بالسراج المنير، فى قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [١] .

سيوف الله : حماة دينه وأنصاره. مسلول: أى مجرد من غمده .

(٢٥) فتية : جمع فتى وهو السخى الكريم ذو المروءة وكمال الرجولية وإن كان شيخا. من قريش: وخص قريشا لأن أغلب المهاجرين كانوا منها. ويروى "فى عصبة" وهى الجماعة من الناس بين العشرة والأربعين.

---

(١) سورة الأحزاب / الآيتان ٤٥-٤٦ .

قائلهم: المراد به عمر بن الخطاب وقيل: إنه حمزة بن عبد المطلب، فعمر أو حمزة صاحب فكرة الهجرة أو المشير بها، والذى قال لهم هاجروا هو النبى ﷺ. زولوا: تحولوا وانتقلوا .

(٢٦) أنكاس: جمع نكس: ساقطو القدر والمنزلة . كشف: جمع أكشف وهو من لا ترس معه فى الحرب، ميل: جمع أميل وهو من لا سلاح معه أو من لا يحسن ركوب الخيل ولا يستقر على السرج . المعازيل: جمع معزال وهو الضعيف الأحمق .

(٢٧) شم العرانين: جمع أشم أى مرتفع وعال. والعرانين جمع عرنين وهو أرنبة الأنف، وشم العرانين كناية عن العزة والأنفة والترفع عن الدنايا .

من نسج داود: الدروع التى علمه الله نسجها وصنعها، وبذلك امتن الله سبحان وتعالى على بنى اسرائيل فقال: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (١) ، ويقول المولى عز وجل: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢). الهيجاء: الحرب . سرابيل : جمع سربال وهو الدرع أو القميص .

(٢٨) بيض: جمع بيضاء صفة لسرابيل: مجلوة وصافية مصقولة كناية عن إدامتهم للحرب وشجاعتهم. سوابغ صفة أخرى لسرابيل: سوابل

---

(١) سورة الأنبياء / الآية ٨٠ .

(٢) سورة سبأ / الآيتان ١٠-١١ .

ضافيات. شكت: أدخل بعضها في بعض، والمراد إدخال بعض الحلق في بعض. كأنها حلق القفعاء: القفعاء شجر ينبسط على وجه الأرض في حلقات متجاورة كحلقات الدروع. مجدول : محكم الصنع .

(٢٩) الزهر: البيض واحده أزهر. يعصمهم: يمنعهم: ضرب: محكم مسدد .

عرد : فرّ وهرب وأعرض. السود جمع أسود يقصد بذلك (عاصم بن قتادة) وأضرابه الذين هموا بقتله لولا أن نهاهم الرسولﷺ . التنابيل: جمع تنبال وهو القصيدة .

(٣٠) إذا نالت رماحهم: كناية عن الظفر بالعدو. المجازيع: جمع مجزاع وهو الشديد الجزع، وهي صيغة مبالغة لأن المهزوم لا يخلو من جزع وإلا كان جماداً .

(٣١) لا يقع الطعن إلا في نحورهم: كناية عن إقدامهم وبسالتهم وشجاعتهم فإن الجبان يفر فيقع الطعن في ظهره . حياض الموت: الحياض جمع حوض وهو في الأصل ما يجمع فيه الماء للسقيا، واضافته للموت تخييل. التهليل مصدر هلل عن الشئ إذا تأخر عنه ونكص، ونفي نكوصهم عن المعركة كناية عن قوة بأسهم ورباطة جأشهم .[١]

الأفكار التي يدور حولها النص :

(١) البين والفراق وتذكر جمال الحبيبة .

(٢) رواسب الذكريات الأليمة في وجدان الشاعر .

---

(١) انظر: مختارات من الأدب ص٢٥٢ وما بعدها .

(٣) أقوال الوشاة وموقفهم منه .

(٤) إشفاق من الوعيد وأمل في العفو من الرسول الكريم .

(٥) مدح الرسول الكريم والثناء عليه .

(٦) تسجيل لأمجاد الصحابة الأجلاء في نصرة الدين الحنيف .

المعنى العام :

في المقطع الأول من النص والذى يدور حول سعاد (١-١٢) يتحدث عن فراق سعاد، وما لهذا الفراق من آثار لا يمحوها الزمان، ولا يمكن أن تكون في طي النسيان، ثم تحدث عن مظاهر جمال الحبيبة، فوصف صوتها وعينيها وثغرها وريقها، ووصفها بالهيف ، انها ضامرة البطن دقيقة الخصر، ثم كان الحديث عن ذكريات مؤلمة على النفس والوجدان حيث يقول: ليس دأبها البقاء على حال الوفاء فتسعد من يحب أو حال الهجر فتيئس الذى أحبها، ولكنها حال متغيرة بين الوصل والهجر، ومثل ذلك في تلونها كالغول الذى يتشكل ليضل الناس، وقد كشف الشاعر عن خرافة كانت شائعة، بين العرب عن طريق هذا التشبيه .

ثم يشبهها في عدم تمسكها بشئ من الوعد بالغرابيل التي لا تمسك شيئا من الماء إذا وضع فيها، ثم يشبه مواعيدها بمواعيد عرقوب ذلك الرجل من العماليق وكان يسكن يثرب قبل أن يسكنها اليهود وقد ضرب به المثل في خلف الوعد، وكل هذه التشبيهات تبين الدرجة التي بلغتها سعاد في نكث العهود وخلف الوعود .

ونهى نفسه عن الإغترار بالوعد والأماني التي ظنها تتحقق، ثم ذيل كلامه بما يؤكد المعنى بقوله: إن الأماني والأحلام خداع وضلال، ولذلك فقد أمست سعاد في مكان ناء بعيد لا يصل اليه إلا كرام الإبل السريعة وأنى له ذلك !! وهكذا قطع الأمل في لقائها ووصالها، فقد ارتحلت إلى مكان بعيد ليس من السهل الوصول إليه .

وفي المقطع الثاني (١٣-١٦) ينتقل الشاعر إلى الوشاة الذين يسعون إلى سعاد بوعيد الرسول الكريم إياه حينما أهدر دمه لأنه هجا النبي ﷺ وقال باختلاق القرآن الكريم، وذكر تخلي الأصدقاء والأخلاء، فقد عرض نفسه على بعض القبائل لتحميه فأبت خوفا على نفسها، وأدرك أنه مقتول لا محالة، وأخيرا استسلم لقضاء الله وقدره، ولجأ إلى النبي ﷺ ولسانه ينطق بالحق ويقول: كل ما قدر الرحمن مفعول، وأصدرها حكمة مؤداها أن كل مولود لابد له مهما طال به العمر من أن ينتهي أجله ويموت، ولابد أن يحمل إلى قبره على آلة معوجة هي النعش إلى مثواه الأخير .

وفي المقطع الثالث (١٧-٢٣) يدخل إلى غرضه الأصيل وهو الاستعطاف والاعتذار وطلب العفو، وقد بدأ الشاعر بالاتجاه إلى الموضوع إتجاها مباشرا فعرض محنته أو قضيته وهي ما بلغه من توعد النبي الكريم بالقتل وإهدار دمه، ثم لوح بمطلبه وهو العفو المأمول عند الرسول ﷺ ، ثم شرع في الدفاع عن نفسه بأن التمس من النبي الكريم أن يترفق به ويتأنى في أمره ودعا له بالهدى والرشاد، وذكره بنعمة القرآن وما فيه من عظات بالغات وتعاليم سامية، ثم أخذ يتنصل مما أتهم

به وادعى أنها وشاية، وناشد الرسول الكريم أن لا يعاقبه بأقوال الوشاة، ثم عقب على ذلك بوصف موقفه الرهيب بين يدى رسول الله ﷺ، فذكر أنه يقاسى فى هذا الموقف من الرهبة والخوف ما يرعد أشد الحيوانات تجلدا وشجاعة واحتمالا وهو الفيل، وأنه لن ينجو من فزعه ورعبه وخوفه الا بأن يتأكد من عهد الأمان[1] . بوضع يد المسالمة فى يد الرسول ﷺ صاحب الانتقامات الباطشة وصاحب القول المسموع والكلمة النافذة .

وفى المقطع الرابع (٢٤-٣١) ينبرى الشاعر فيمدح النبى ﷺ ببيت واحد فيه جلال النبوة وإشراقاتها، وفيه معنى المتعة والقوة فيصفه بأنه النور الذى يهتدى به الناس فى ظلمات الحياة، وأنه سيف سله الله على المشركين ليقضى على باطلهم وشركهم، ثم يمدح الصحابة الأجلاء ويسجل جهادهم وأمجادهم فى سبيل نصرة الدين الإسلامى، فحين ناوأت قريش الدعوة الإسلامية فى مكة، فقال عمر بن الخطاب أو حمزة بن عبد المطلب بعد أن أسلم من أسلم: انتقلوا وهاجرا من مكة إلى المدينة، حيث ظلت قريش على عدائها للدعوة الإسلامية، وقد هاجروا إلى المدينة، ولكن لم تكن هجرتهم عن ضعف، ولم يكونوا فى المعارك التى خاضوها بعد الهجرة، إلا حماة للدين الحنيف، فلم يكونوا خالين من السلاح ولا ممن لا يحسنون ركوب الخيل، ولا ممن لا سيوف معهم ولا أسلحة، وكانوا أعزاء كرماء يمتازون بشجاعة نادرة وبسالة عظيمة،

---

(١) انظر: مختارات من الأدب ص٢٦١ .

وهم أبطال أقوياء يتخذون للحرب عدتها ويلبسون للهيجاء دروعا متينة كالتي صنعها داود عليه السلام، وهم إذا مشوا إلى أعدائهم خلتهم الجمال البيض، وهم قوم على خلق كريم وهمة عالية، فلا يهللون للنصر إذا حققوه لأنهم اعتادوا عليه، ولا يفزعون للهزيمة إذا لحقتهم لوثوقهم في قضاء الله وقدره، ثم مدحهم الشاعر بالإقبال والإقدام والثبات في الحروب فهم يتلقون الطعن في النحور والصدور لا في الأعجاز والظهور، وليس لهم حين تشتد المعركة ويدور رحاها جبن أو فرار عنها، بل هم يردون حياض الموت في صبر وإيمان وقوة تحمل ويقين بأنهم فائزون بإحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة .

دراسة وتحليل ونقد :

١- لقد أثرت البيئة الشعرية التي عاشها كعب بن زهير فيه وفي شعره، فجميع الرواة يتفقون على أن الشعر لم يتصل في ولد أحد من فحول الشعراء في الجاهلية إتصاله في ولد زهير، وفي الإسلام في ولد جرير، فكعب بن زهير وأبوه زهير وجده أبو سلمى وعمتاه الخنساء وسلمى، وخال أبيه بشامة بن الغدير، كما أن أخاه بجير بن زهير، وولده عقبة بن كعب المعروف بالمضرب وحفيده العوام بن عقبة كلهم شعراء مجيدون[1] .

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه (الأغاني) أن سلمى بنت كعب بن زهير كان لها أولاد كثيرون منهم شاعران يسميان (العوثبان

---

(١) انظر:الشعر الجاهلي للدكتور/محمد أبي الأنوار ص٢١٩ ط قاصد خير نشر مكتبة الشباب بالقاهرة.

وقريض)، وسلمى هذه هى جدة الشاعر المعروف (ابن ميادة) ، وقد قال ابن ميادة الشعر عن أعمامه من قبل جدهم زهير بن أبى سلمى[١] .

وهكذا عاش شاعرنا فى بيئة شاعرة تترنم بقول الشعر، وتشدو به فى العالمين شعرا خالد إلى يوم يبعثون .

٢- هذه المقدمة التى ذكرها كعب بن زهير فى وداع محبوبته، تعد فى نظر بعض الأدباء رمزا استخدمه الشاعر ليعبر عن خوفه ورهبته، وهو يقف بين يدى الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، فسعاد هذه هى الأمن الذى فارقه إثر إهدار النبى ﷺ دمه، والذى بحث الشاعر عنه فى كل مكان، وقد طلبه من القبائل والأصدقاء فلم يجده عندهم، إذن رحلت سعاد أو فارقه أمنه إلى مكان مجهول، وضاعت منه، فلا يستطيع الوصول إليها، وهو مع ذلك مفتون بهواها، لم يغادر حبها قلبه، يجرى خلفها لعله يدركها، أو يظفر بها، ثم يتغزل فى سعاد ساعة الوداع والفراق لأنها اللحظة الثابتة المحفورة فى ذاكرته ووجدانه، ولقد سمع صوتها العذب الأغن، ورأى عيونها المكحولة الناعسة، فارتسم ذلك المشهد الأخير فى مخيلته، لأنها الحقيقة الباقية من سعاد، أو الشئ الذى يقنعه بأنه ما زال فى أمان، إذا كانت سعاد هى الأمان الضائع، وبقى له من ملامحها الجسدية ما يعين على تشكيل الصورة كلما حن اليها، فهى ضامرة البطن دقيقة الخصر، مكتنزة الردفين، متوسطة الطول، ثم وصف الشاعر ابتسامها فى لحظة رضاها عليه اثناء استقبالها له مستبشرة فرحة، وهذا زمن يعيش

---

(١) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ٢٦٧/٢ ط دار الكتب المصرية بالقاهرة .

فيه الشاعر في أكناف الأمان، فترتاح أحاسيسه، ويقبل على الحياة بغبطة وتفاؤل، وهذه اللحظات التي كان يعيشها في ظلال الأمان فقدها، لذلك تطلع الشاعر إلى عودتها من جديد، ومعها من المحبة والود ما يزيل خوفه ويقضي على همومه، ولكن لأن التهديد ماثل أمامه، ولأن الخطر يتربص به في كل مكان يرتاده، فقد ضاع الأمل عنده وأوشك على التلاشي، فهو لا يظن أن هناك عودة أو منحاً أو عطاء لما كان يأخذه منها، عندما كانت قريبة منه يعيش في أعطافها[1] وفي رحابها، وبخاصة بعد أن رحلت عنه إلى مكان بعيد .

٣- أما عن التجربة الشعرية التي خاضها الشاعر، فنلاحظ في هذه القصيدة صدق توبة كعب بن زهير، وحسن أوبته للإسلام، ذلك بما بثه الشاعر في ثنايا الأبيات من مشاعر إسلامية رفيعة، ولا سيما في مدح الرسول الكريم والصحابة الأجلاء، واستطاع أن يجمع في الاعتذار بعض خصائص الرسول الكريم وأبرزها نزول القرآن الذى هو مواعيظ للناس أجمعين، وتفصيل لحياتهم الدنيوية والأخروية وإن الرسول نور يهدى الحيارى في دروب الحياة وانه سيف سله الله على المشركين، وذلك بعض أخلاق الرسول الكريم وصفاته رجاء في عفوه وكرمه، وأملا في سماحته ورحمته، ثم بين قوة النبي الأكرم وأن هذه القوة مصدر هيبة واحترام، وكان كعب صادقا في تجربته الشعرية كل الصدق حيث

---

(١) انظر: في أدب العصر الجاهلي والعصر الراشد للدكتور/عبدالـلاه محمود حسن ص١١٨ وما بعدها.

عبر عن مشاعر فياضة بالمعانى الصادقة التى لا ادعاء فيها ولا مغالاة، ولا سيما تصويره لموقفه الرهيب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتصوير رعبه وفزعه وخوفه، فمن المؤكد أن للعاطفة الصادقة دورها الفعال فى جمال التصوير وروعة الأداء والتعبير. والشاعر يحاول جهد طاقته أن يتأثر فى معانيه بالذوق الاسلامى الرفيع، وبما استجد من قيم خلقية كتلك المعانى التى استغلها فى خطاب الرسول الكريم، وفى مديحه ﷺ وصحابته الأجلاء، وبذلك حقق للقصيدة قوة التأثير وحققت هدفها، وكل ذلك بالصدق الفنى والشعورى .

وعلى الجملة: فقد كان الشاعر بارعا وصادقا كل الصدق فى تصوير مشاعره، وخاصة مشاعر الخوف التى استولت عليه فى موقفه الرهيب أمام جلال النبوة، وبهذا استدر عطف الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤- وإذا ما جئنا للنص الذى بين أيدينا، نجد أن التوفيق يصاحب الشاعر فى كل خطواته، وأدركنا أن الشاعر أخذ عن أبيه زهير بن أبى سلمى التنقيح والتهذيب والصقل، فهو يختار من المؤثرات ما يناسب موقفه ويحقق غرضه، ففى وصف موقفه قبل لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ أهم مظاهر الضياع والحيرة التى عاشها، وقد سلط عليها الضوء لتكون أقوى إثارة للمشاعر الإنسانية، ولا سيما عند من وصفه الله تعالى بقوله: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ .

وهل هناك ما هو للرثاء وأبعث على الرحمة بالإنسان من تخلى أوليائه وأصفيائه والمقربين إليه عنه، وهيامه على وجهه شريدا طريدا،

وتضيق عليه الأرض بما رحبت، وتوقع الهلاك والقتل في كل لحظة، ولا سيما في قول كعب :

ما زلت اقتطع البيداء مدرعا　　　جنح الظلام وثوب الليل مسبول[1]

وفي خطاب النبي الكريم يعمد إلى وسيلة ناجحة، حيث يذكره بالقرآن وما فيه من عظات بالغات، وأغلب الظن أنه يلمح إلى ما فيه من حث على العفو وإعراض عن الجاهلين، فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم مخاطبا رسوله ﷺ : ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾[2]، وما في هذا التنزيل الحكيم من توجيه إلى التثبت قبل الأخذ بأقوال الفاسقين حيث يقول المولى عز وجل: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾[3] .

ولذلك ناشد الرسول ﷺ ألا يعاقبه بأقوال الواشين .

وفي المديح الذى ختم به القصيدة لم تفته المهارة، فابتعد في مدح الرسول الكريم عن المدائح الجاهلية، وانتقى من الأوصاف ما يناسب جلال الرسالة وهدى النبوة، وفي مديح المهاجرين لم ينس أروع ما سجله التاريخ لهم في نصرة الدين الحنيف، وتضحيتهم بشكل غال وعزيز وبطولتهم وإقدامهم وبسالتهم، إيثاراً لسلامة العقيدة وامتثالا لأمر الرسول ﷺ.[4]

---

(١) لم يرد هذا البيت في الديوان، وقد ورد بسيرة ابن هشام، ومعنى البيت: ما زلت اجتاز الصحراء لابسا درعا من ظلام الليل، وجنح الظلام المسدول المرخى .

(٢) سورة الأعراف / الآية ١٩٩ .

(٣) سورة الحجرات / الآية ٦ .

(٤) انظر: من النصوص الأدبية في الجاهلية والاسلام للدكتور مصطفى يونس ص١٣٧ وما بعدها ، ط الفجر الجديد القاهرة ١٩٨٢ .

٥- أما ألفاظ قصيدة كعب بن زهير "بانت سعاد" ففيها صفاء ونقاء وفيها فحولة وقوة لا نظير لها، ولا يغض من ذلك أنها تعلوا أحيانا كما فى وصف الناقة التى وصفها فى عشرين بيتا، والتى حذفناها من النص المذكور، لأنها تحتاج إلى المعاجم اللغوية فى كشف معانيها، فهذه هى المشكلة فى كثير من تراثنا العربى القديم، وخاصة شعر الأغراض التى باعدت الحضارة الحديثة بيننا وبين تلك الأغراض كوصف الصحارى وأجوائها ومواقعها ومسالكها ونبتها وحيواناتها بما فيها: وصف الناقة والفرس فقد نجد فى تلك الأغراض ألفاظا ترتفع فوق مستوانا اللغوى لأنه لا مجال لها فى أدبنا المعاصر، فيخيل إلينا أنها داخلة فى الوحشى والغريب، ولكن فى الحقيقة أن الغرابة أمر نسبى، فيجب أن ننظر إلى بيئة الشاعر الزمانية والمكانية، فرب كلمة غريبة فى زمان أو مكان وهى شائعة مألوفة فى غيره، وإنما العدل والإنصاف أن نقيس ألفاظ كل شاعر بمقياس عصره .

فإذا احتكمنا إلى هذا المقياس فى ألفاظ كعب بن زهير فى وصف الناقة، وجدناها لا تخرج عن دائرة المعجم اللغوى المألوف لأهل زمانه، ولو قابلناها بألفاظ دريد بن الصمة أو طرفة بن العبد مثلا فى وصف الناقة، لوجدنا كعبا أقرب منها منالا وأيسر فهما [1].

٦- أما من حيث أسلوب القصيدة فقد بلغت غاية الإحكام، ويمتاز أسلوبها بالجزالة والقوة والفحولة وشدة الأسر وقوة السبك، فتعبيراتها

---

(١) انظر : مختارات فى الأدب للدكتور عبد المقصود السعداوى ص٢٦٩ .

قوية من أولها إلى آخرها، ومنها مثلا: "كانت مواعيد عرقوب لها مثلا" ، "كأنه منهل بالراح معلول" ، "لا ألهينك إنى عنك مشغول" ، "والعفو عند رسول الله مأمول" ، "لا تأخذنى بأقوال الوشاة" ، "أرى واسمع ما لو يسمع الفيل" ، "إن الرسول لنور يستضاء به" ، "شم العرانين أبطال لبوسهم" وغيرها من الأساليب القوية المتينة .

وقد تنوعت أساليب النص من خبر إلى إنشاء، فمن الأخبار: "أنبئت أن رسول الله أوعدنى" وهو يفيد إظهار الأسى والحزن والقلق، وقول الشاعر: "إن الرسول لنور يستضاء به" وهو خبر الغرض منه المديح وغير ذلك، ومن الأساليب الإنشائية قوله: "مهلا هداك الذى أعطاك نافلة القرآن" وهو أمر خرج إلى معنى الرجاء والدعاء، ومنها قوله: "لا تأخذنى بأقوال الوشاة" وذلك أسلوب نهى خرج إلى معنى الرجاء والدعاء والتضرع[1]، وفى قوله "لا يغرنك ما منت" نهى خرج إلى معنى التحذير، وفى قوله "فلو بيلى" أمر خرج إلى الثورة والتذمر والمعنى فى الرأى بما يخالف الآخرين . أما فى قول كعب بن زهير :

أرجوا وآمل أن تدنو مودتها ... وما إخال لدينا منك تنويل

نجد أنه حول أسلوبه من حديث الغائب فى صدر البيت، إلى حديث المخاطب في عجزه، وذلك ما يسميه البلاغيون "الالتفات" وسر التحويل هنا: أنه حين قرر تماديه في الرجاء وعقد الآمال، تذكر فجأة ما يعرف من أمرها من خلف الوعد، فمثلت أمامه فوجه إليها الخطاب،

(١) انظر: من النصوص الأدبية فى الجاهلية والاسلام ص١٤٠ .

وعلى الجملة: فإن أسلوب القصيدة أسلوب رصين محكم يملأ النفس ويأخذ بمجامع القلوب .

٧- استخدم الشاعر كثيرا من الصور البيانية الرائعة، وكانت صوره البيانية قوية التعبير والتأثير، وسر قوتها أنه يستمدها من البيئة المحيطة به، وأن يراعي فيها الدقة والإحكام وشدة السبك، حتى تؤدى المعنى كما يحس به، وكما يريد أن ينقله إلى السامع والمتلقي .

واذا ما رحنا نكشف عن الصور البيانية فى النص، وجدنا التشبيه البليغ فى قول الشاعر "إن الرسول نور" ففيه تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم بالنور بجامع الهداية والإرشاد، وهو تشبيه يناسب مهمة الرسول الكريم الأولى فى الرسالة وهى الهداية، وفى قول الشاعر "إن الرسول لسيف" أيضا تشبيه بليغ اقتصر فيه الشاعر على المشبه "الرسول" والمشبه به "نور" ، "سيف" فى كلا التشبيهين .

وفى قول الشاعر: "كأنه منهل بالراح معلول" شبه الثغر وهو يكشف عن صفاء الأسنان وبريقها ولمعانها ويشيع الارتياح عند رؤيته بالإضافة إلى طيب الريق بأنه مشبع بالخمر، والملاحظ أن طيب الريق من الأمور المستحبة وفى قول الشاعر: "كما تلون فى أثوابها الغول" تشبيه يفيد أنها مثل الغول مع سالك الصحراء حيث تجره بتلونها للدمار والهلاك .

وفى قول الشاعر: "كما يمسك الماء الغرابيل" شبه عدم تمسكها بوعدها الذى تبذله كذبا بالغرابيل لا تمسك شيئا من الماء إذا وضع فيها، والتشبيه يبين الدرجة التى بلغتها سعاد فى نكث العهود وخلف

الوعود، ويوحي في الوقت نفسه بمقدار خيبة الأمل التي يلقاها في عشقها، وأنه نفض يديه من وصالها وقربها، وفيه كناية عن خلف الوعد، وفي قول الشاعر: "كانت مواعيد عرقوب لها مثلا" شبه مواعيد سعاد بمواعيد عرقوب الذى ضرب به المثل في خلف الوعد، ويؤكد الشاعر في رواية أخرى أن مواعيد عرقوب أكاذيب وأباطيل حيث يقول: "وما مواعيده إلا الأباطيل" فإذا كانت مواعيد عرقوب أباطيل، فما بالنا بمواعيد سعاد ؟

وفي قول الشاعر: "يمشون مشي الجمال الزهر" تشبيه الصحابة الأجلاء في القوة والهيبة بالجمال البيض في الشكل والهيئة . أما الكنايات فالشاعر له نصيب موفور منها، والكناية تحمل الشئ ودليله كما يقول البلاغيون، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قول الشاعر: "لا يشتكي منها قصر ولا طول" تعبير كنائي يستفاد منها أنها ربعة فلا هي بالطويلة ولا بالقصيرة، ومعنى هذا أنها لا تعاب بطول أو قصر .

وفي قول الشاعر: "لا أبالكم" تعبير كنائي يفيد المدح أو الذم على حسب السياق، فالمدح يراد به نفي نظير الممدوح إذ لو كان له أب لكان له أخ يماثله، ووجه الذم أنه مجهول النسب فهو إذن دنئ خسيس، وهو المراد هنا.

وفي قول الشاعر: "على آلة حدباء محمول" كناية عن النعش الذى يحمل فيه إلى مثواه الأخير .

وفى قول الشاعر: "حتى وضعت يمينى" تعبير كنائى إذ أن وضع اليد كناية عن أخذ العهد بالأمان .

وفى قول الشاعر: "شم العرانين" كناية جميلة عن العزة والمنعة والترفع عن الدنايا .

أما فى قول الشاعر: "إذا نالت رماحهم قوما" فهو كناية عن الظفر بالأعداء، وفى قوله: "لا يفرحون" كناية عن كثرة انتصارهم على الأعداء، وفى قول الشاعر: "وليسو مجازيعا إذا نيلوا" كناية عن ثقتهم بأنفسهم ومعرفتهم أن الحرب سجال .

وفى قول الشاعر: "لا يقع الطعن إلا فى نحورهم" كناية عن ثباتهم وإقدامهم وأنهم لا يستدبرون المعركة بالفرار .

وفى قوله: "وما لهم عن حياض الموت تهليل" نفى نكوصهم عن الدخول فى ميدان المعارك، كناية عن قوة بأسهم ورباطة جأشهم، وفى قوله: "حياض الموت" استعارة، ولها حسنها وجمالها فى الكلام، إذ تبرز الشئ المعنوى فى صورة المحسوس حتى تستقر فى الذهن ويرسخ فى الوجدان .

٨- أما عن موسيقا النص التى تتمثل فى الوزن والقافية، فالقصيدة تسير أبياتها على وزن واحد فقد نظمها الشاعر على وزن "البسيط" وعادة أن بحر البسيط لا يكون إلا فى الأغراض المهمة، وله رنين موسيقى خاص، وتنتهى القافية بحرف واحد هو اللام المضمومة، وذلك ما يسمى بالموسيقا الخارجية، وهذا قدر مشترك فى النصوص العربية القديمة.

والموسيقا في شعره قوية إذ كان قبل الروى حرف إما واو أو ياء، وهذا ما يساعد على النغمة وموسيقا الوزن .

أما حظ النص من الموسيقا الداخلية فكثير متوافر تتمثل في بعض المحسنات البديعية التي جاءت على لسان الشاعر دون تعمل أو قصد أو إكراه في قوله :

لا يفرحـون إذا نـالت رماحـهم قومـا وليسـوا مجازيعـا إذا نيلـوا

فهي مقابلة جميلة واضحة .

كما تتمثل الموسيقا الخفية في إختيار العبارات الملائمة للمعنى، وفي تناسقها تناسقا تاما وفي تلاحمها وقوة سبكها، وفي استخدام الألفاظ ذات الايحاءات العاطفية مثل قوله "أوعدني" التي توحي بالتهديد، وقوله "مأمول" التي توحي بتجدد الأمل، وقوله "يرعد" التي توحي بالرهبة والخوف، وقوله "ذى نقمات" التي توحي بالانتقام والقدرة، الى غير ذلك من الكلمات [1].

٩- وموضوع القصيدة كما هو واضح أنها وضعت خصيصا للاعتذار والاستعطاف، ومدح الرسول ﷺ ومدح الصحابة الأجلاء من المهاجرين وكشف دورهم في الجهاد لنصرة دين الله الحنيف، ولكن الشاعر كعب بن زهير صاغها وأنشأها، وبدأها بالغزل والتشبيب بسعاد، وافتتاح القصيدة بالغزل التزمه الشعراء قبل كعب بن زهير، فما كان لكعب أن

---

(١) انظر: من النصوص الأدبية في الجاهلية والإسلام ص١٤٠ .

يخرج عليه، ولقد افتتح الشعراء قصائدهم بالغزل وذلك لبعث جو نفسي للسامع، ولشد انتباهه، لأن الغزل قريب من النفوس والوجدان، وقد راعى كعب بن زهير في هذه القصيدة أن يكون غزله متناسبا مع الغرض الذي سيقت من أجله القصيدة، فأشاع فيه جوا من الحزن والقلق والألم، وبذلك برع في تلوين غزله بما يثير انتباه السامعين، ويوجه في الوقت نفسه إلى فهم جديد لمهمة الغزل في القصيدة العربية .

ثم كان مجال وصف الناقة التي حذفناه من النص، وذلك لصعوبة تناوله، وعدم حاجتنا إليه في وقتنا الحاضر .

ثم أحسن الشاعر في الانتقال إلى الغرض الرئيس وهو الاعتذار والاستعطاف، ويحتال بحيلة بارعة وهو أنه جمع في الوشاة أمرين يؤلمانه يتصل أحدهما بالموضوع السابق، وهو سعايتهم بينه وبين سعاد، ويتصل الثاني بالموضوع الجديد وهو تخويفهم إياه من مصيره الرهيب وهو القتل لأن الرسول الكريم أهدر دمه .

ويصور هلعة وخوفه وهيبته من هذا الموقف الرهيب، ويستسلم لقضاء الله وقدره، ويعرض محنته أو قضيته وهو إهدار النبي الكريم دمه، ثم يلوح بمطلبه وهو العفو المأمول من رسول الله ﷺ .

وفي مديح النبي الكريم ابتعد عن مدائح السابقين في الجاهلية، وانتقى من الأوصاف ما يناسب جلال الرسالة كما مر بنا، وفي مديح المهاجرين لم ينس جهادهم في سبيل الله وتضحيتهم بكل غال وعزيز في سبيل الدعوة ونصرة دين الله الحنيف .

١٠- ونأتي للحديث عن المآخذ والعيوب التي أخذها النقاد على الشاعر، مع ذكر حسنات الشاعر الكثيرة في تلك القصيدة، أما المآخذ فإنها هنات هينات تقع لكثير من فحول الشعراء ولا تحط من أقدارهم، وهو إسرافه في وصف الناقة التي بلغت عشرين بيتا، وتكراره لبعض أوصافها أكثر من مرة، ولا لوم على الشاعر في هذا الجانب فقد كانت إطالة الوصف عادة مألوفة لشعراء زمانه، ثم يعاب على الشاعر كثرة محذوفاته التي ترتب عليها صعوبة استخلاص المعنى، وهذا واضح في قوله :

لقد أقوم مقاما لو يقوم به ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

أما حسنات الشاعر فكثيرة وملامح قوته وفحولته وأصالة شاعريته بادية في جوانب القصيدة، ويرجع ذلك إلى أن كعبا كان سر أبيه وعلى مذهبه في الصنعة والتهذيب والتحبير والصقل، ومن الذين يتفرغون لقصائدهم ويتعهدونها بالرعاية والتهذيب والتنقيح قبل تداولها بين الناس، وبذلك يندر أن يتسرب إليها خلل أو وهن أو ضعف، ويبدو أن زهيرا كان يبالغ في تنقيح قصائده قبل إعلانها حتى اشتهر بصاحب الحوليات، ويصنع القصيدة في حول كامل، وَقد ورث كعب هذا التروي من أبيه وتعلمه على يديه، وتعلمه من رواية شعره، فجاء شعره كشعر أبيه، وفيه من سمات القوة والكمال والإحكام الفني والفحولة، كما يتضح في هذه القصيدة التي حققت غرض صاحبها وبلغته العفو المأمول من اشرف الخلق صلوات الله وسلامه عليه وبذل الأمان له، وبلغته أكثر مما تمناه الشاعر بأن خلع

عليه بردته الشريفة، وعرف كعب قيمة المكافأة ومغزاها، فاعتز بها ولم يستطع معاوية بن أبى سفيان أن يأخذها بعشرة آلاف، فلما مات أخذها من بنيه بعشرين ألفا[١] ، وهى التى يلبسها الخلفاء الأمويون فى العيدين .

١١- تعد قصيدة كعب بن زهير من الشعر الاسلامى الذى تميز بالأداء الفنى والأسلوب الرصين المحكم الذى يملأ النفس ويأخذ بمجامع القلوب، وكان له قوة التعبير والتأثير. وقد حكم لهذه القصيدة أفصح العرب وأقدرهم على تذوق البيان والأدب، الا وهو سيدنا محمد أشرف الخلائق على الإطلاق، وقد أيده بمعجزة البيان الخالدة: القرآن الكريم، بعد أن تشرد فى طول البلاد وعرضها، مطلول الدم، مسلوب اللب، يائس الأمل، فقد كان كعب بن زهير أحد الذين ناوءوا الدعوة الإسلامية وتصدوا لصاحبها بالهجاء والتكذيب والاختلاق، ثم عادوا فاستغفروا لذنوبهم، وطلب العفو من الرسول الكريم فعفا عنهم، وكانوا صادقين فى توبتهم، وكانوا حماة للدين الاسلامى الحنيف .

وقد بهرنا كعب ببيانه الخالد الذى أجمعت كل الأذواق فى كل العصور على استحسان قصيدة "بانت سعاد" ، فقد اشتد تعلق الشعراء بها على تعاقب الأجيال، فاكثروا من معارضتها والنسج على منوالها، حتى ذكروا أن الذين عارضوا هذه القصيدة بلغوا تسعمائة شاعر من شعراء العربية. فرضى الله تعالى عن قائلها، وسلام عليه فى الخالدين إلى أن يقوم الناس لرب العالمين .

---

(١) انظر: مختارات من الأدب ص٢٦٧ وما بعدها .

تعليق عام على النص :

١- هل أعد كعب بن زهير هذه القصيدة العصماء، أم ارتجلها أمام النبى ﷺ ؟

لقد اختلف النقاد فى هذه القصيدة، فيرى بعض النقاد أن كعبا أعدها قبل أن يبدأ رحلته الى المدينة للقاء المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومنهم ابن هشام فى مقدمة شرحه لهذه القصيدة، ويرى الباجورى فى أول شرحه لهذه القصيدة أيضاً أن كعبا أنشأ قبل قدومه إلى المدينة أبياتا، فلما وصل إلى الرسول الكريم وحظى منه بالقبول والعفو والصفح، أنشأ هذه القصيدة على وجه مختلف، غير ما صنع تلك الابيات، ومعنى هذا أنه قام بارتجالها وإنشادها أمام حضرة الرسول ﷺ ، لأن المعروف أنه شرع فى إنشادها عقب إعلانه عن نفسه، فقد قال للنبى الكريم: لو جاء إليك كعب عائذا لائذاً أتقبل منه، قال له: أقبل، وحينئذ كشف اللثام عن وجهه وقال: بأبى أنت وأمى يا رسول الله أنا كعب. ثم أنشد القصيدة، ونال العفو وحظى منه بالقبول والصفح. وخلع عليه بردته الشريفة .

فأى الرأيين صحيح ؟ وأى الإتجاهين أقرب إلى الصواب ؟

والرأى الصواب أن قصيدة كعب قد أعدت إعدادا دقيقا، ويرجح رأى ابن هشام ومن لف لفه من النقاد والباحثين، وذلك لأمرين :

(أ) إن كعب بن زهير لم يكن من أهل البديهة والارتجال فى يوم من الأيام، بل أنه من شعراء التنقيح والتهذيب وإعمال النظر، قبل أن يخرج الشعر إلى الناس وقبل أن يذاع بينهم. فهو ابن زهير وتلميذه، وقد ورث

من أبيه تنقيح الشعر وتحبيره وتهذيبه، وقد كان من مفاخر كعب أنه من شعراء التهذيب والتثقيف .

(ب) إن القصيدة بما حوت من آثار الصنعة وما فيها من إحكام ودقة تفصيل لا يتأتى مع الارتجال والبديهة، ولقد لاحظنا أن كعبا ينتقل من موضوع إلى موضوع آخر، دون أن يشعر السامع بفجوة فى الطريق، ودون إخلال بالمعنى، ثم إحكامه فى بناء الصور الخيالية ما يكفل لها الدقة المتناهية فى التعبير عن غرضه والإيحاء بما فى نفسه، وهذا لا يتأتى إلا لمن أعمل فكره ونقح معانيه وهذب صياغته وتمهل فى صنعته .

وأما الأبيات التى وصف بها رهبة المثول بين يدى الرسول الكريم، لا يعدو الأمر أن يكون موقفا توقعه كعب وهو يتدبر عواقب حاله، فتخيل ما عسى أن يكون فى هذا الموقف من رهبة وخوف، فوصفها فى هذه الأبيات، ليكون ذلك باعثا على الشفقة ومستحقا للعفو والصفح من رسول الله ﷺ .

٢- من دراستنا السابقة لقصيدة كعب بن زهير وتحليلها، تتبين منهجه فى الاعتذار، وأنه يقوم على الخطوات التالية :

أولاً: وصف حاله وما قاساه بعد ما بلغه غضب الرسول الكريم عليه، وإهداره لدمه .

ثانياً: محاولة استرضاء النبى ﷺ ، وإخلاء قلبه ليتسع لسماع عذره وقبوله.

ثالثاً: التبرؤ من التهمة المنسوبة إليه، وادعاء أنها سعاية ووشاية واختلاق .

رابعاً: وصف ما يعانى من فزع ورعب وخوف أثناء مثوله فى حضرة الرسول الكريم .

خامساً: مدح النبى الكريم بما يناسب جلال النبوة والرسالة، ومدح أصحابه المهاجرين بالجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى[1] .

٣- أما عن منزلة قصيدة (بانت سعاد) فهى قصيدة من أشهر القصائد الإسلامية، وتعد من عيون الشعر العربى، وهى من (المشوبات) وقد سميت بذلك لأنها لمخضرمين شابهم الكفر والاسلام،[2] وتبلغ هذه القصيدة سبعة وخمسين بيتا، وقد طبعت طبعات عدة، وعكف على شرحها علماء كثيرون كابن هشان وابن دريد والتبريزى والباجورى وغيرهم، وقد شرحها المستشرق الهولندى (ليثه) فى ليدن، والمستشرق الألمانى (فريتاخ) بعد أن ترجماها إلى (اللاتينية) وطبعها المستشرق الإيطالى (جويدى) مع شرح ابن هشام، وطبعها المستشرق (لولدكة) الألمانى مع شروح عليها، وطبعها المشترق الفرنسى (رو) مع منتخبات من شرح الباجورى، وطبعها المستشرق (كرنكو) مع شرح التبريزى وسواهم .

وقد ترجمت قصيدة (بانت سعاد) إلى لغات كثيرة، ولاقت من اهتمام العلماء فى الشرق والغرب، ما لم تلاقه قصيدة أخرى نظرا لمكانة الممدوح والمادح، وقد عارضها البوصيرى بقصيدة "ذخر المعاد فى معارضة بانت سعاد" ومطلعها :

---

(١) انظر : المرجع السابق ص٢٥٥ وما بعدها .

(٢) محاضرات فى الأدب للدكتور/ عبد الحميد محمود المسلوت ص١٩٨ ط دار الطباعة المحمدية القاهرة .

إلى متى أنت باللذات مشغول   وأنت عن كل ما قدمت مسئول[١]

كما عارضها كما قلنا من قبل حوالى تسعمائة شاعر، وهذا يدل على مكانة قائلها ومنزلة الممدوح ﷺ .

هذا وقد نالت هذه القصيدة شهرة بلغت السماكين، لأنها ألقيت بحضرة النبى ﷺ، وأعجب بها إعجابا بالغا، وأدرك الرسول الكريم بذوقه العربى الأصيل جمال الغاية من القصيدة، وأن هدفها نبيل ومقصدها كريم، عندما أشار الرسول الكريم فى أثناء إلقاء القصيدة إلى جلسائه من الصحابة الأجلاء: (أن اسمعوا) وذلك غنى عن التعليق .

ويبدو من قصة كعب بن زهير مع الرسول الكريم مدى تكريم النبى لكعب وإعجابه بشعره، وبذلك رسم الرسول الكريم للشعر منهجه الذى ينبغى أن يسير عليه فى ضوء تلك الرسالة الجديدة . [٢]

﴿ والحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أ.د / على محمد طلب

أستاذ الأدب والنقد

ووكيل كلية اللغة العربية بأسيوط

---

(١) انظر: تراثنا الأدبى للدكتورين/إبراهيم أبى الخشب ومحمد عبد المنعم خفاجى ص١٠٥.

(٢) انظر: مذاهب النقد وقضاياه لأستاذنا الدكتور/ عبدالرحمن عثمان ص٢٣٥ ط الإعلانات الشرقية القاهرة ١٩٧٥ م .

موقف إبراهيم أنيس من "النظم" عند عبد القاهر

أ.د / عبد المنعم سيد عبد السلام الأشقر

أستاذ البلاغة والنقد بالكلية

عنى الدكتور أنيس فى دراساته اللغوية المقارنة بنظم الجمل، وترتيب كلماتها، وكيفية صياغتها صياغة صحيحة، على ضوء الضوابط النحوية، والأعراف اللغوية، فى سائر اللغات، ولا سيما اللغة العربية . وكان يطلق على ترتيب المفردات فى الجملة مصطلح (النظم اللغوى)، وأحيانا كان يسميه (نظام الكلام)، وقد اهتم بدراسة هذه العملية التركيبية اللغوية، فى الجملة العربية، وطريقة هندستها، ونظم أجزائها، فى صورها المختلفة، وأداه هذا إلى النظر فى كلام عبد القاهر فى مواضع متعددة، لكن تفسيره لمراده لم يكن سديدا فى أكثر الأحيان، بل كنت تجده فى بعض المواقف يفسر كلام الشيخ على غير وجهه، وكأنما كان يتعمد استفزاز القارئ الواعى، والتشويش على تراث الشيخ، ولوى أعناق كلامه، وتحميله مالا يحتمل، لحاجة فى نفس الرجل، تحدوه إلى هذا الخلط والإثارة، على نحو ما يصنع كثير من الكاتبين العرب، الذين يشككون فى كل ما هو قديم، (عربى أو اسلامى)، ويدعون لكل ما هو فى نظرهم (جديد)، أو غربى، ولو كانت أصوله عربية قديمة، وقد كنت أشرت فى دراسة أخرى سابقة - بعنوان: موقف إبراهيم أنيس من التقديم عند عبد القاهر .[1] إلى أن الأستاذ أنيس له مداخلات تتعلق بـ (النظم وشعبه) فى كلام شيخ البلاغيين، وتمنيت هناك أن تتهيأ الفرصة لتناول هذه الاعتراضات النظمية، والرد على الدكتور

---

(١) انظر هذه الدراسة فى (مجلة كلية اللغة العربية) بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد السادس (ص: ٣٣٧ - ٣٦٨) .

أنيس في كل منها، على ضوء المضمـون الصحيـح، والتفسير الموضوعي لكلام عبد القاهر، فكان هذا البحث الذى أرجو أن يكون مكملا لسابقه، نافعا فى بابه، والله من وراء القصد .

النظم من الجاحظ إلى عبد القاهر :

النظم فى اللغـة: التأليف، وضم شئ إلى شئ آخر، تقول: نظمت اللؤلؤ والخرز: جمعتهما فى سلك أو خيط .

والنظام - بكسر النـون المشددة وفتـح الظاء المخففة - ما نظمت فيه الشئ، من سلك ونحوه، قال اللغويون: (ومن المجاز: (نظـم الكلام)، و (هذا نظم حسن)، و(انتظم كلامه) .

ومرادهم أن استعمال هذه المادة اللغوية (ن.ظ.م) فى جمع اللؤلؤ أو الخرز أو نحوهما بخيط أو سلك يُعدُّ من قبيل الحقيقة . واستعمالها فى تأليف الكلام، وربط بعضه ببعض، من قبيل المجاز. وقد جرى عرف الشعراء على إطلاق (النظم) على قرض نوع من الشعر، يخلو من العواطف والمشاعر، وكل ما يكون له الشعر شعرا ، ومن هنا أطلقوا هذا المصطلح على الرجز العلمى الذى أعد لضبط قواعد العلوم، كألفية ابن مالك فى النحو والصرف، ونحوها، واشتهر بدرالدين بن مالك بـ (بن الناظم) (ت٦٨٦هـ) [١] .

لكن هذه الكلمة قد ترددت على ألسنة أهـل العلم، بمعنيين

---

(١) راجع (أساس البلاغة) ، (واللسان)، و(القاموس) فى - نظم - .

آخرين، أحدهما شاع عندهم قبل عبد القاهر، والآخر كان من اصطلاحات عبد القاهر.

معنى النظم قبل عبد القاهر :

استعمل (النظم) قبل عبد القاهر مرادفا للأسلوب، أو الصنف من أصناف القول، كالشعر، والخطابة، وغيرهما، ولعل أول من استعمل هذا المصطلح بهذا المفهوم هو (النظام) ت٢٢٤هـ - شيخ الجاحظ - وقد كان هذا الرجل معتزليا، وهو أحد أقطاب القول بالصرفة في إعجاز القرآن، وأحد المنكرين لأن يكون إعجازه في نظمه، والنظم عنده هو ما ذكرناه، يقول النظام: (أما التأليف والنظم والأسلوب فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله صرفهم عن الإتيان بمثله)[1] .

وتلميذه (الجاحظ ت٢٥٥هـ) يستعمل هذه الكلمة بهذا المعنى، فيقول عن العرب: (ولهم بعد أصناف النظم، وضروب التأليف، كالقصيد، والرجز، والمزدوج، والمجانس، والأسجاع، والمنثور)[2] .

ويقول أيضا:(لأن رجلا من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، لتبين له في نظامها ومخرجها، وفي لفظها وطبعها، أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها)[3].

---

(١) (مقالات الإسلاميين) لأبي الحسن الأشعري (ص: ٢٢٥) .

(٢) (رسائل الجاحظ) :- حجج النبوه - (٣ : ٢٧٣) . تحقيق هارون .

(٣) المرجع نفسه (٣ : ٢٢٩) .

واضح من هذا الكلام عند الجاحظ وعند أستاذه أن النظم القرآني قد أطلق إطلاقا أدبيا يقابل الأصناف القولية المألوفة عند العرب، من رجز، وقصيد، ومزدوج، وجناس، وسجع، ونثر .

فهو أسلوب جديد يضاف إلى تلك الأساليب المعروفة، وطريقة من طرق الأدب، وقد أطلق عبد القاهر مصطلح - الأسلوب - على (النظم) بهذا المعنى، في قوله: (والأسلوب: الضرب من النظم والطريقة فيه)[1] .

وينقل القاضي عبد الجبار - ت٤١٥هـ - عن شيخه (أبي هاشم الجبائي) كلاما، حول رجوع الفصاحة إلى اللفظ، أو إلى المعنى، ويتعرض في ذلك لاستعمال - النظم - بمعنى الطريقة، أو الأسلوب من خطابة أو شعر، يقول القاضي: (قال شيخنا أبو هاشم: إنما يكون الكلام فصيحا لجزالة لفظه، وحسن معناه، ولابد من اعتبار الأمرين، لأنه لو كان جزل اللفظ، ركيك المعنى، لم يعد فصيحا، فإذن يجب أن يكون جامعا لهذين الأمرين، وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص، لأن الخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر، والنظم مختلف، إذا أريد بالنظم اختلاف الطريقة، وقد يكون النظم واحدا، وتقع المزية في الفصاحة، فالمعتبر ما ذكرناه)[2] . فأبو هاشم يجعل الفصاحة - كما ترى - في جزالة اللفظ، وحسن المعنى، لا في نظم الكلام وطريقته المخصوصة، وإذا كان الجبائي قد أطلق (النظم) هنا على الأسلوب

---

(١) (دلائل الإعجاز) (ص : ٤٦٨-٤٦٩) .

(٢) (المغني في أبواب التوحيد والعدل) جـ١٦ : (إعجاز القرآن) (ﷺ: ١٩٧) .

الأدبى، أيا كان نوعه، فإن الباقلاني - ت٤٠٣ هـ - يطلقه على ما فى القرآن من خصوصية فريدة غير مألوفة، عند العرب، فهو - عنده - ليس شعرا، ولا نثرا، ولا خطبا، ولا سجعا، ولا موازنة، وإنما هو قبيل من الكلام، وجنس آخر من القول غير معهود لديهم .

لقد أطلق الباقلانى على هذه الخصوصية فى القرآن اسم (النظم)، وجعلها إحدى وجوه إعجازه، يقول: (إن نظم القرآن - على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه - خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف، من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز فى تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد)[1] .

ولعل الباقلانى قد أفاد فى هذا الوجه مما سبق أن نقلناه عن الجاحظ، وفكرة وصف انبهار العرب بالنسج القرآنى فى ذاتها قديمة، لعل أول من نوه بها هو (الوليد بن المغيرة) فيما روى عنه، حين عرف المشركون أنه أصغى لما تلاه عليه النبى ﷺ من القرآن، فأخذ ببلاغته الفائقة، فخشى الكفار من ذلك، فساوموه أن ينكر ما كان قد قاله فى هذه البلاغة الربانية، ويقول فيها قولا يريح أفئدة صناديد قريش، ويغضب محمدا وأصحابه، فأبى ذلك بشدة، وقال مستنكرا: (وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى، ولا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذى نقول شيئا من هذا)[2] .

---

(١) (إعجاز القرآن) للباقلانى (ص: ٣٥) .

(٢) راجع (الإتقان) للسيوطى (٢ : ١٤٩-١٥٠) .

أى أن نسج القرآن نسج فريد، لا يدانيه ولا يشبهه نسجهم، على اختلاف ألوان القول عندهم، إنه نسج وحيد فى بابه، فلا هو شعر، ولا هو نثر، وإنما هو قرآن [١].

وكان (الرمانى) يطلق على هذه الخصوصية فى القرآن الكريم اسم (نقض العادة)، فيقول: (وأما نقض العادة فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة، منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذى يدور بين الناس فى الحديث، فأتى القرآن بطريقة مفردة، خارجة عن العادة، لها منزلة فى الحسن تفوق به كل طريقة)[٢].

ونحن هنا بحاجة إلى القول بأن إدراك هذه الخصوصية المفردة فى الأسلوب القرآنى شئ، وإطلاق اسم النظم عليها شئ آخر، فالذى صنعه الرمانى قبل الباقلانى هو تحديد هذا الوجه من وجوه الإعجاز، وتسميته (نقض العادة).

وزاد الباقلانى على ذلك تسميته لهذه الخصوصية الفردية باسم (النظم) ولم يرتضى كثير من العلماء أن يكون ابتداء القرآن بنظم فريد غير مألوف، وجها من وجوه الإعجاز، وعللوا هذا بأن مخالفته لأساليب العرب، من شعر وخطب، وسجع ومزدوج، ورجز، لا تمنع من الإتيان بمثله، واضافوا أنه لو كان ابتداء القرآن بأسلوب فريد معجزا، لكان

---

(١) راجع (من حيث الشعر والنثر) د/ طه حسين (ص: ٢٥) ط (التاسعة).

(٢) (النكت فى إعجاز القرآن) - ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن (ص: ١١١).

مجرد الابتداء بأسلوب الشعر في الجاهلية معجزا، ولو صح هذا لكانت المحاولات الشعرية الأولية الركيكة في أعماق العصر الجاهلي معجزة، وهو ما لا يخفى فساده [١] .

ولا يفوتنا أن ننوه بأن مصطلح (النظم) في الفترة التي سبقت عبد القاهر قد كان عنوانا للبحث في الأسلوب القرآني، ووجوه إعجازه[٢]، فنحن تقرأ أن للجاحظ كتابا باسم (نظم القرآن)، جاءت منه نصوص في كتبه التي بين أيدينا، وجاء ذكره في كلام (الباقلاني) وغيره .

كما أن للواسطي - ت ٣٠٦هـ - كتابا عنوانه (إعجاز القرآن في نظمه)، وبكل أسف فإن هذا الكتاب وسابقه، من الكتب المفقودة، ضمن ما فقد من نفائس التراث العربي الإسلامي، ولولا هذا لأمكننا أن نتعرف على معنى (النظم) في الكتابين، وأغلب الظن أن النظم القرآني عند (الجاحظ) يعني ما قرره الباقلاني من بعده، وقد سبق كلام لكل منهما في ذلك، أعني أنه التأليف أو الأسلوب أو النمط اللفظي والبياني الخارج عن عادة العرب، في صياغة بيانهم، ويؤيد هذا قول الرافعي: (أما الجاحظ فإن رأيه في الإعجاز كرأي أهل العربية، وهو أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها)[٣] .

---

(١) راجع في هذا (المغني) لعبد الجبار (١٦/١٩٧-١٩٨) و(الطراز) للعلوى (٣ : ٣٩٥-٣٩٦) و(الإتقان) للسيوطي (٢ : ١٥٦) ، و (قضية اللفظ والمعنى) د/ العماري (ص: ٣٢٠-٣٢١) ، و(الإعجاز القرآني) د/عبد المغني بركة (ص: ١١٢-١١٦) وغيرها .

(٢) راجع (نظرية المعنى في النقد العربي) د/ مصطفى ناصف (ص: ٢٧) .

(٣) (إعجاز القرآن) للرافعي (ص: ١٤٦-١٤٧) .

ويقال: إن عبد القاهر قد شرح كتاب (إعجاز القرآن فى نظمه) للواسطى، شرحه شرحا كبيرا سماه (المعتضد)، و(شرحا آخر أصغر منه)[1] وقد يغرى هذا بأن نظن أن عبد القاهر قد بنى فى كلامه عن (النظم) على ما سبقه إليه الواسطى، لكن ليس فى أيدينا ما يؤكد هذا، ما دام الكتاب - بمتنه وشرحيه - مفقودا .

وممن له كلام فى (النظم) أبو سليمان حمد الخطابى ت٣٨٨هـ، فقد ذكر أنه (إنما تعذر على البشر الإتيان بمثل القرآن لأمور: منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية، وبألفاظها التى هى ظروف المعانى والحوامل لها، ولا تدرك أفهامهم جميع معانى الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التى بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: ١- لفظ حامل ٢- ومعنى به قائم ٣- ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة[2]. و[illegible] فى هذا الكلام أنه جعل النظم لربط الكلام، وائتلاف بعضه ببعض، وهو فى موضع آخر يقول أيضا عن (رسوم النظم): (وبه تنتظم أجواء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة فى النفس يتشكل بها البيان)[3] .

---

(١) المرجع السابق (ص: ١٥٢) .

(٢) (بيان إعجاز القرآن) ، ضمن (ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن) (ص: ٢٧،٢٦) ، (٣٦) .

(٣) المرجع نفسه (ص: ٢٩) .

وفي موضع ثالث ينوه بما تتميز به بلاغة القرآن من حيث (وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة)[1] ، وتسمية ائتلاف الكلام بعضه ببعض بالنظم، والتنويه بما في بلاغة القرآن من وضع الألفاظ مواضعها، من مظاهر النظم عند عبد القاهر، ومع هذا لا نستطيع أن نقول: إن الخطابي قد أدرك مفهوم النظم الذي قرره الشيخ، أو بشر به، لأننا نراه في موضع آخر يستعمل لفظ النظم بالمعنى الذي شاع عند الجاحظ ومن تلاه، فتراه يقول: (فكيف يتوهم عليهم العجز عن معارضته والإتيان بمثله، وهم عرب فصحاء، مقتدرون على التصرف في أودية الكلام، عارفون بنظومه: قصيده ورجزه وسجعه وسائر فنونه؟) [2] .

النظم عند عبد القاهر ـ ت٤٧١هـ ، أو ٤٧٤هـ :

أما النظم عند عبد القاهر فهو (توخي معاني النحو وأحكامه والعمل على قوانينه وأصوله، فيما بين الكلم، على وفق الأغراض المقصودة من الكلام)[3] يقول الشيخ: (أعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض،

---

(١) المرجع نفسه (ص: ٢٩) .

(٢) المرجع السابق (ص: ٣٥) .

(٣) (دلائل الإعجاز) (ص: ٣٧٠) .

ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك .. ، وإذا كان كذلك فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء .. ، ما معناه وما محصوله؟ وإذا نظرنا فى ذلك، علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل، أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثانى صفة للأول، أو تأكيدا له، أو بدلا منه، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالا أو تمييزا، أو تتوخى فى كلام هو لإثبات معنى، أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك، أو تريد فى فعلين أن تجعل أحدهما شرطا للآخر، فتجئ بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التى ضُمِّنت معنى ذلك الحرف، وعلى هذا القياس)[1] .

فهذا تفسير لتوخى معانى النحو فيما بين الكلم، وبيان لكيفية الربط بين أجزائه، ومعلوم أن أى جملة لا تخلو من أن تكون عبارة عن تعلق اسم باسم، أو تعلق اسم بفعل، أو تعلق حرف بهما، وعبد القاهر لم يرد فى تحديده للنظم على هذا النحو أن يلمّ الناظم بهذه الأحكام النحوية لذات الإلمام بها، وإنما ذلكَ لتوخى تلك الأحكام فى كلامه، وإلا لكان النحو والنظم سواء، ولعل هذاالمعنى يتضح من قول عبد القاهر: (واعلم أن ليس النظم إلا تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها.. ، وذلك

---

(١) المرجع نفسه (ص: ٥٥) .

أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: (زيد منطلق)، و(زيد ينطلق)، و(وينطلق زيد)، و(منطلق زيد)، و(زيد المنطلق)، (والمنطلق زيد)، (وزيد هو المنطلق)، و(زيد هو منطلق) .

وفي (الشرط والجزاء) .. ، وفي (الحال) ..، فيعرف لكلٍّ من ذلك موضعه، ويجئ به حيث ينبغي له. وينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه، نحو أن يجئ بـ (ما) في نفي الحال، وبـ (لا) إذا أراد نفي الاستقبال، وبـ (إن) فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون، وبـ (إذا) فيما علم أنه كائن .

وينظر في الجمل التي تُسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع (الواو) من موضع (الفاء)، وموضع (الفاء) من موضع (ثم)، وموضع (أو) من موضع (أم) ، وموضع (لكن) من موضع (بل) .

ويتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيصيب بكل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة، وعلى ما ينبغي)[1] .

إذن فليس النظم هو معرفة هذه الفروق النحوية المذكورة، في الخبر، والحال، وأدوات الشرط، وأدوات النفي والعطف .. الخ، لأن

---

(١) (دلائل الإعجاز) (ص: ٨١ – ٨٢) .

مجرد العلم بهذه الفروق والأحكام من شأن النحاة، أما دور النظم فهو إصابة كل من ذلك مكانه، واستعماله في موضعه الذى يستحقه، فإذا لم يلتزم الأديب في صناعة أدبه بهذه الأحكام والفروق النحوية فإن كلامه لا يترجم عن الغرض المقصود منه، لكونه قد رتب ترتيبا فاسدا، ونظم نظما مختلا، يقول عبد القاهر: (هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ، إلى النظم ...، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه)[١] .

ويذكر عبد القاهر أن (النظم) هو الثمرة الحقيقية لتعلم النحو وأحكامه فيقول: (إنه على الجملة بحث ينتقى لك من علم الإعراب خالصه ولبه، ويأخذ لك منه أناسي العيون وحبات القلوب)[٢] .

ويقول في موضع آخر: (واعلم أنا لم نوجب المزية من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه .. ، ولكنا أوجبناها للعلم بمواضعها، وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأن (الواو) للجمع، و(الفاء) للتعقيب بغير

---

(١) المرجع نفسه (ص: ٨٢ – ٨٣) .

(٢) المرجع نفسه (ص: ٤٢) .

تراخ، و(ثم) له بشرط التراخي، و(إن) لكذا، و(إذا) لكذا، ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت شعرا، وألفت رسالة، أن تحسن التخير، وأن تعرف لكل من ذلك موضعه)[1] .

ويستعرض عبدالقاهر بعض الشواهد التي شهد لها النقاد بالحسن، ويرى أنها في حسنها تتفاوت، ولكنها ترجع في حسنها على اختلاف درجاتها وطبقاتها إلى النظم، إذ وضع فيها كل وجه من وجوه النحو موضعه، وليس إلى تضمنها معاني لطيفة، أو حكم بليغة، أو أدب عال، أو استعارة، أو تجنيس، أو غير ذلك .

١- فأعلى طبقات النظم ما استشهد له عبد القاهر بقول البحتري :

إذا ما نهى الناهي فلجَّ بي الهوى ∴ أصاخت إلى الواشي فلجَّ بها الهَجْرُ

وقوله :

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها ∴ تذكرت القربى ففاضت دموعها

وهذان البيتان من شواهد (المزاوجة)، كما لا يخفى عليك .

وقد أورد عبد القاهر مع هذين البيتين أبياتا أخرى، بعضها من شواهد (التقسيم مع الجمع) ، وبعضها من شواهد التشبيه المركب: الحسي منه والعقلي، وبعضها من شواهد التشبيه المتعدد، وتلتقي هذه الشواهد جميعا - على اختلاف ما يستشهد له بكل منها - في كونها مما (تتحد أجزاؤه، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، حتى أنك

---

(١) (دلائل الإعجاز) (ص: ٢٤٩-٢٥٠) .

تحتاج إلى أن تضع هذه الأجزاء في النفس وضعا واحدا، ويكون حالك فيها كحال الباني، يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك)[١] .

وأنت إذا تأملت هذه الشواهد وجدت في كل منها (بناءً هندسيا يتماثل جناحاه تماثلا يضفي على نظمه الجمال والرواء، فحال الشاعر • وهو ينظمها - كان فعلا يشبه حال الباني، يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك، ففي شاهدي المزاوجة ترى الفن الهندسي واضحا بين الشرط والجزاء، فنهي الناهي وما ترتب عليه من لجاج الهوى به، يقابله الإصاخة للواشي وما ترتب عليه من لجاج الهجر بها، وهكذا الاحتراب وفيض الدماء مع التذكر وفيض الدموع، وكذا الصورة في شاهدي التشبيه المركب العقلي، وهما قول كثير عزة :

وإني وتهيامي بعزة بعد ما .·. تخليتُ مما بيننا وتخلت
لكا لمرتجي ظل الغمامة كلما .·. تبوَّأ منها للمقيل اضمحلت

فحال كثير، مع هيامه بعزة، وتعلق أمله فيها، بعد أن تخلت عنه، كحال ذلك المحرور، الذى يرجو ظل الغمامة للمقيل، فكلما استظل بها انحسرت عنه)[٢] .

لا شك أن في شواهد هذه الطبقة من (النظم) براعة في التصوير، زائدة على مجرد - توخي معاني النحو - مما جعل عبد القاهر يعدها

---

(١) راجع (دلائل الإعجاز) (ص: ٩٣-٩٦) .

(٢) راجع (نظرية العلاقات) د/ محمد نايل (ص: ٣٣) .

أعلى طبقاته، ويقول عنها: (إنها النمط العالى، والباب الأعظم، الذى لا ترى سلطان المزية يعظم فى شئ كعظمه فيه)[1] .

٢- أما الطبقة الثانية أو المتوسطة فيندرج تحتها قول البحترى فى (الفتح بن خاقان) :

بلونا ضرائب من قد نرى ∴ فما إن رأينا لفتح ضريبا
هو المرء أيدت له الحادثات ∴ عزما وشيكا ورأيا صليبا
تنقل فى خلقى سؤدد ∴ سماحا مرجًى وبأساً مهيبا
فالكسيف إن جئته صارخاً ∴ وكالبحر إن جئته مستثيبا

ويذكر عبد القاهر مظاهر حسن النظم فى هذه الأبيات، وأن سبب حسنها أن الشاعر قد توخى فيها معانى النحو، وأصاب فى ذلك كل الصواب، وأول ما يروقك منها قوله: (هو المرء أيدت له الحادثات)، ثم قوله: (تنقل في خلقي سؤدد)، بتنكير (السؤدد) وإضافة (الخلقين) إليه، ثم قوله: (فكالسيف)، وعطفه بالفاء مع حذفه المبتدأ، لأن المعنى لا محالة: فهو كالسيف، ثم تكرير (الكاف) فى قوله: (وكالبحر)، ثم أن قرن إلى كل واحد من التشبيهين شرطا، جوابه فيه، ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين حالا على مثال ما أخرج من الآخر، وذلك قوله: (صارخا) هناك، و(مستثيبا) (ههنا)[2] .

---

(١) (دلائل الإعجاز) (ص: ٩٥) .

(٢) (دلائل الإعجاز) (ص: ٨٥-٨٦) .

واضح من هذا التحليل أن مرجع ما تراه من حسن فى هذه الأبيات ليس شيئا غير النظم، وتوخى معانى النحو، إلا أن فى البيت الرابع براعة زائدة على مجرد توخى تلك المعانى، إذ ترى الشاعر قد قرن إلى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه، ثم عاد على كل واحد من هذين الشرطين فأخرج منه حالا، على مثل ما أخرج من الآخر، فأضحى كل من شطرى البيت بناء هندسيا متناسقا، يشبه الآخر، وكأن الشاعر فى نظمه للبيت كان كالبانى يضع بيمينه هنا ما يضعه بيساره هناك .

لذا يصح لنا أن نلحق هذا البيت بالطبقة العليا، التى سبقت، وتظل الأبيات الثلاثة الأولى فى موضعها من الطبقة الثانية (المتوسطة) التى نحن بصددها . ويمكن أن يستشهد لهذه الطبقة أيضا بقول (ابراهيم بن العباس) فى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات :

فلو إذ نبا دهر، وأنكر صاحب ∴ وسلط أعداء، وغاب نصير
تكون عن الأهواز دارى بنجوة ∴ ولكن مقادير جرت وأمور
وإنى لأرجو بعد هذا محمداً ∴ لأفضل ما يرجى أخ ووزير

وقد بين عبد القاهر سبب ما ترى فى هذه الأبيات من رونق وطلاوة، وحسن وحلاوة، وهو تقديم الشاعر للظرف الذى هو (إذنبا) على عامله الذى هو (تكون)، وإن لم يقل: (فلو تكون عن الأهواز دارى بنجوة إذ نبادهر)، ثم أن قال: (تكون)، ولم يقل (كان)، ثم أن نكر لفظ (دهر) ، ولم يقل (فلو إذنبا الدهر) .

ثم أن ساق هذا التنكير في جميع ما أتى به من بعد، ثم أن قال: (وأنكر صاحب) ولم يقل: (وأنكرت صاحباً)[١].

فكل ما تراه من حسن في هذه المواضع ليس لحسنه سبب إلا النظم وتوخي معاني النحو.

٣- أما الطبقة الثالثة :

فيحدثنا عبد القاهر عنها بقوله: (إن من الكلام ما أنت تعلمُ إذا تدبرته إن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية، حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضم بعضه إلى بعض، سبيل من عمد إلى لآل فخرطها في سلك، لا يبغي أكثر من أن يمنعها التفرق، وكمن نضد أشياء بعضها على بعض، لا يريد في نضده ذلك أن تجئ له منه هيئة أو صورة، بل ليس إلا أن تكون مجموعة في رأى العين، وذلك إذا كان معناك معنى لا تحتاج أن تصنْع فيه شيئا غير أن تعطف لفظاً على مثله، كقول الجاحظ: (جانبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسبا، وبين الصدق سببا، وحبب إليك التثبت، وزين في عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عز الحق، وأودع صدرك برد اليقين، وطرد عنك ذلك اليأس، وعرفك ما في الباطل من الذلة، وما في الجهل من القلة)[٢].

---

(١) (دلائل الإعجاز) (ص: ٨٦).

(٢) المرجع نفسه (ص: ٩٦،٩٧).

وقد أورد عبد القاهر مع نص الجاحظ المذكور شواهد أخرى، يصور بها معالم هذه (الطبقة الدنيا) من طبقات النظم، وأنت تراه قد ضبط هذه المعالم في كون المعنى فيها يتم التعبير عنه، دون روية وإعمال فكر، كأن يعبر عنه بجمل متماثلة، قد عطف بعضها على بعض، وهذا شبيه بمن عمد إلى لآل فخرطها في سلك، ولعلك تعلم أن الفكر هو معيار جودة العمل الأدبي، ومن هنا لم يكن لنص الجاحظ الذى بين يديك فضل من جهة نظمه، فنظمه عادي، لا رونق فيه، وإن كان نظما صحيحا، لكن فيه فضلا من جهة شرف معناه، ومتون ألفاظه، يقول الشيخ: (فما كان من هذا وشبهه لم يجب به فضل إذا وجب، إلا بمعناه أو بمتون ألفاظه، دون نظمه وتأليفه، وذلك لأنه لا فضيلة حتى ترى في الأمر مصنعا، وحتى تجد إلى التخير سبيلا)[1] .

وقد يظن ظان أن عبد القاهر هنا قد غض من قيمة فن الجاحظ الأدبية، ونال من طريقته الأسلوبية، لكن الأمر ليس كذلك، فعبد القاهر قد كان يعالج موضوع (النظم)، ويحدد معناه، ومعالم طبقاته، والذى صنعه نحو كلمة الجاحظ هنا، ليس فيه أكثر من أن جعلها في أدنى درجات النظم، وإلا فإنه في موضع آخر، كان يعالج فيه موضوع (السجع)، ووجوب مجيئه مطبوعا، يتبع المعنى، لا متكلفا يقتفي أثر الألفاظ، والبهرج الموسيقي .

---

(١) (دلائل الإعجاز) (ص: ٩٨) .

وفى هذا المقام أورد عبد القاهر نص الجاحظ المذكور، باعتباره شاهدا على ترك تكلف السجع، والانسياق مع الطبع، مع أن المقام الذى أنشأ فيه الجاحظ هذا الكلام من شأنه عند المغرمين بالمحسنات اللفظية، والأصباغ البديعية الحرص على ذلك، لكونه أنشأه فى خطبة كتابه (الحيوان)، إلا أن الجاحظ لم يعنه الاحتفال بالبديع (لأنه رأى التوفيق بين المعانى أحق، والموازنة فيها أحسن)[١] .

ويقيس عبد القاهر توفيق الكاتب أو الشاعر فى صياغة معانية، على توفيق الرسام والنقاش فى صناعة الصور والنقوش، يقول:(وإنما سبيل هذه المعانى سبيل الأصباغ التى تعمل منها الصور والنقوش، فكما أنك ترى الرجل قد تهدى فى الأصباغ التى عمل منها الصورة والنقش فى ثوبه الذى نسج، إلى ضرب من التخير والتدبر فى أنفس الأصباغ وفى مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها، إلى ما لم يتهد إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر والشاعر فى توخيهما معانى النحو ووجوهه التى علمت أنها محصول النظم)[٢] .

وإذا كان حسن الأساليب الأدبية راجعا إلى ما فى تأليفها من دقة فى توخى معانى النحو، التى هى - محصول النظم - فإن قبح الأساليب وفساد نظمها يرجع بالضرورة إلى عدم التوفيق فى صياغتها،

---

(١) راجع (أسرار البلاغة) (ص: ١٠-١١) ، و (الحيوان) (١ : ١٣) .
(٢) (دلائل الإعجاز) (ص: ٨٧-٨٨) .

لعدم الاهتداء إلى التعبير عما في النفس تعبيرا يتسق وأحكام النحو، ويسير على ضوئها، وقد أورد عبد القاهر شواهد متعددة من فاسد النظم، منها قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا .·. أبو أمه حي أبوه يقاربه

وذكر أن فساد نظمه يرجع إلى أن تعاطي الشاعر ما تعاطاه من معاني النحو على غير الصواب، وقدم وأخر، وحذف وأضمر، وغير ذلك مما لا يستقيم له، ولا يسوغ على مقتضيات وأصول هذا العلم [١] .

وبهذا الذي قرره عبد القاهر - وهو رجوع حسن الكلام الى حسن نظمه، ورجوع فساده إلى فساد نظمه - تهيأ للشيخ أن يقول أيضا: (إن النظم هو سر الإعجاز) ، وبذلك حسم الأمر، في قضية كثر الجدل حولها كثيرا، واستمر طويلا .

- فمن سابقيه من رأى أن القرآن الكريم معجز بكلمه المفردة، ومنهم من قال إنه معجز بترتيب حركاته وسكناته، ومنهم من قال إن العرب تحدوا بمقاطعه وفواصله، وسهولة ألفاظه، ومنهم من قال: إنه معجز بما تضمنه من بديع الاستعارات، ومنهم من قال: إنه معجز بمعاني كلماته المفردة. وقد رد عبد القاهر هذه الوجوه وغيرها، ليصل إلى رأيه في القضية، ونجمل ذلك على النحو الآتي :

- لا يعقل أن يكون القرآن معجزاً بكلمه المفردة، لما يترتب على هذا،

---

(١) راجع (دلائل الإعجاز) (ص: ٨٣-٨٤) .

وهو أن يكون قد حدث في مذاقة حروف تلك الكلمات أوصاف لم تكن فيها قبل نزول القرآن .

- ولا يعقل أن يكون إعجاز القرآن في - ترتيب حركاته وسكناته - أي: أن العرب تحدوا أن يأتوا بكلام كلماته في زنة كلماته، لأن ذلك يخرج إلى ما تعاطاه مسيلمة من الحماقة، في نحو (إنا أعطيناك الجواهر، فصل لربك وجاهر)[1] .

- ولا يعقل أن يكونوا قد تحدوا أن يأتوا بكلام له مقاطع آيات القرآن وفواصلها، لأن هذا مجرد تعويل على مراعاة الوزن، والفواصل في الآيات كالقوافي في الشعر، وقدرة العرب على الشعر تفوق الوصف، فالتحدى بالفواصل لا يعجزهم، وقد خيل لبعضهم نحو هذا الوجه، فراح يضع كلاما، له مقاطع كأواخر الآى، مثل (يعلمون) ، و (يؤمنون) ، وأشباه ذلك .

- ولا يجوز أن يكون إعجازه في أن لم يلتق في حروفه ما يثقل على اللسان .

- كما لا يمكن أن تكون (الاستعارة) هى الأصل فى إعجازه، لأن ذلك يؤدى إلى أن يكون الإعجاز فى آى معدودة، في مواضع من السور الطوال مخصوصة [2] .

---

(١) راجع (دلائل الإعجاز) (ص: ٣٨٦-٣٨٧) .

(٢) اختلف العلماء في (قدر المعجز من القرآن) ، فمنهم من يرى أن الإعجاز متعلق بالقرآن كله، ومنهم من يرى أنه متعلق بقليله وكثيره، ومنهم من يرى أنه متعلق بالسورة الواحدة من سوره، سواء كانت طويلة أم قصيرة، تشبثا بظاهر قوله: (فأتوا بسورة من مثله) (البقرة : ٢٣) ، فإذا كانت هناك آية بقدر حروف سورة الكوثر، فذلك معجز عندهم . وراجع (البرهان) للزركشي (٢ : ١٠٨-١٠٩) ، و(الاتقان) للسيوطي (٢ : ١٥٦ - ١٥٧) ، و(دلائل الإعجاز) (ص : ٣٨٦-٣٨٧) .

- ولا يجوز أن يكون إعجازه في معاني كلمه المفردة، التي هي لها بوضع اللغة، لأنه يؤدي إلى أن يكون قد تجدد في معنى - الحمد - و (الرب)، و(العالمين)، و(الملك)، و(اليوم)، و(الدين)، وصف لم يكن قبل نزول القرآن [١].

ويلخص عبد القاهر من هذا إلى أن المزية في القرآن، وسر إعجازه إنما هو في نظمه، بمفهومه الذي تكرر ذكره، وهو توخي معاني النحو فيما بين الكلم، يقول عبد القاهر: (إن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنها معدنه ومعانه، وموضعه ومكانه، وأنه لا مستنبط له سواها، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها، غار نفسه بالكاذب من الطمع، ومسلم لها إلى الخدع، وأنه إن أبى أن يكون فيها، كان قد أبى أن يكون القرآن معجزاً بنظمه)[٢]، ولهذا كان إطباق العلماء على تعظيم شأن (النظم)، وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، ولا قدر لكلام إذا هو لم يجر على قوانينه، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ [٣].

وبعد أن وضح عبد القاهر تماما أن النظم هو القطب الذي عليه المدار، وفيه تكون المزية وسر الإعجاز القرآني، راح يوضح أسرار تكوين الجملة البليغة، فعقد أبوابا للمعاني التي تستفاد من كل صيغة يمكن صياغة هذه الجملة عليها، كأن يقدم فيها بعض أجزائها على بعض، أو

---

(١) (الدلائل) : الصفحات نفسها .

(٢) (دلائل الإعجاز) (ص: ٥٢٦) .

(٣) راجع (دلائل الإعجاز) (ص: ٨٠) .

يحذف بعض هذه الأجزاء، أو يعرف أو ينكر، أو يظهر أو يضمر، أو أن تفصل هذه الجملة عن التي تسبقها،أو توصل بها بالواو، أو أن تأتي مقصورة أوغير مقصورة، وغير ذلك .

لقد درس عبد القاهر - في مجال تطبيقه لنظرية النظم - العديد من الموضوعات منها: التقديم والتأخير، والحذف، وتعريف الخبر وتنكيره، وكونه اسما وكونه فعلا، ومزايا (إن)، والقصر على اختلاف طرقه، والفصل والوصل، وغيرها مما أطلق عليه عند المتأخرين (علم المعاني) .

كما درس الاستعارة، والتشبيه والتمثيل، والكناية، والمجاز العقلي وبعض المحسنات البديعية، مؤكدا على ارتباطها بالمعنى، واندراجها تحت النظم، لأن الاستعارة والمجاز والكناية والتشبيه داخلة في النظم الذى به يكون القرآن معجزا، إذ هي من مقتضياته، لأنه لا يتصور أن يدخل شئ منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو .

أما ألوان البديع فقد رأينا عبد القاهر ينوه بشاهدين من شواهد أحد ألوانه، وهو - المزاوجة - ويحلق بهما في آفاق النظم، حتى جعلهما من أعلى طبقاته، وكذلك صنع في شاهد من شواهد (التقسيم مع الجمع) .
وفي مطلع - أسرار البلاغة - عرض شواهد للجناس والسجع والحشو، وأنكر إنكارا شديدا أن يكون الحسن في هذه الألوان عائدا إلى اللفظ، مؤكدا أنه يتعلق بالمعنى، لا فرق في ذلك بين محسنات معنوية، ومحسنات لفظية، وهو بذلك يرد على أنصار اللفظ الذين كانوا قد ارتفعت أصواتهم، وظهرت خطورتهم على الأدب العربي في عصره [١] .

---

(١) راجع (الدلائل) (ص: ٣٩٣) ، و (أسرار البلاغة) (ص: ٦-٢٠) .

موقف إبراهيم أنيس من النظم عند عبد القاهر :

تناولنا فيما مضى مفهوم (النظم) عند الشيخ عبد القاهر، وعند سابقيه، وأطلنا في بيان معناه عند الشيخ، والفرق بين دوره في الكلام ودور النحو، وفي بيان طبقاته المختلفة، التي يتفاوت النظم بينها حتى يصل إلى حد الإعجاز، وغير ذلك من معالم كان توضيحها ضروريا للتمهيد لموضوعنا الأساسي في هذه الدراسة، وهو: (موقف إبراهيم أنيس من النظم عند عبد القاهر) .

لقد عني الدكتور أنيس بالنظم، وكيفية تركيب الجمل، وترتيب مفرداتها، في اللغات المختلفة (الأوربية، والسامية، وغيرها)، واهتم كثيرا بدراسة هذا الجانب في اللغة العربية، ووضح كثيرا من الفوارق والمقارنات بينها وبين أخواتها من اللغات بعامة، والسامية منها بخاصة .

وأداه هذا الموضوع إلى دراسة مواقع أجزاء الجملة (الأصلية والفرعية)، في لغتنا العربية، وما يعترى هذه الأجزاء من أحوال، من تقديم أو تأخير، وتعريف أو تنكير، وغير ذلك مما يدرسه البلاغيون المتأخرون في (علم المعاني) .

ومن هنا اقتضت طبيعة الموضوع أن يحتك بآراء البلاغيين وأن يتعرض لكلامهم، ولا سيما عبد القاهر الجرجاني، في معالجته للنظم . ولا يفوتنا أن ننوه بأن أكثر الجوانب البلاغية التي يتناولها المتأخرون في (علم المعاني)، يهتم بها الباحثون الأوربيون المحدثون، في دراستهم لـ

(علم اللغة)[1] . وعلى دربهم يسير الدراسون العرب المتخصصون فى هذا المجال، وفى مقدمتهم الدكتور أنيس .

فلندعه يحدد لنا مراده بـ (النظم)، أوما سماه (نظام الكلام)، فيقول: (تخضع كل لغة لنظام معين فى ترتيب كلماتها، ويلتزم هذا الترتيب فى تكوين الجمل والعبارات، فإذا اختل هذا النظام فى ناحية من نواحيه، لم يحقق الكلام الغرض منه، وهو الإفهام، ولا تمثل مفردات اللغة إلا ناحية جامدة هامدة من تلك اللغة، فإذا نظمت ورتبت ذلك الترتيب المعين، سرت فيها الحياة، وعبرت عن مكنون الفكر، وما يدور فى الأذهان، وليست اللغة فى حقيقة أمرها إلا نظاماً من الكلمات التى ارتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، تحتمه قوانين معينة لكل لغة ..)[2] .

ويصح لنا أن نستظهر من هذا الكلام مبدئيا، أن (النظم) عند الدكتور أنيس ليس بعيدا عن (النظم)، عند الشيخ عبد القاهر، ولعلنا نستطيع أن نرصد بينهما سمات مشتركة، فيما يأتى :

١- فحاصل النظم عندهما الالتزام بقوانين محدودة، فى أثناء صناعة الأعمال الأدبية، هى قوانين النحو واللغة .

٢- وهذا الالتزام يقتضى ربط الكلمات بعضها ببعض، ربطا وثيقا .

---

(١) مصطلح (علم اللغة) ، ومصطلح (النحو) ، يستخدمان بمعنى واحد، كأنهما مترادفان، عند الغربيين، وتجدهم أحيانا يطلقون على هذا العلم اسم (النحو المقارن)، أو (علم اللغة المقارن)، وتجدهم أحيانا أخرى يسمونه (النحو الوصفى)، أو (علم اللغة الوصفى) . راجع (عالم اللغة: عبد القاهر الجرجانى) د/البدراوى زهران، (ص: ١٣٩) .

(٢) (من أسرار اللغة) (ص: ٢٦٥) .

٣- وهذا الربط بين الكلمات المنظومة يجعل الكلمة المفردة، التى لا يضمنها نظم، ولا يحتويها تأليف، لا مزية فيها، ولا شأن لها . وقد أكثر عبد القاهر من التأكيد على هذا الأصل، ومن كلامه فى ذلك قوله: (إن الألفاظ المفردة التى هى أوضاع اللغة، لم توضع لتعرف معانيها فى أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها فوائد، وهذا علم شريف، وأصل عظيم ..)[1] ، وقوله: (واعلم أنى لست أقول إن الفكر لا يتعلق بمعانى الكلم المفردة أصلا، ولكنى أقول إنه لا يتعلق بها مجردة من معانى النحو، ومنطوقاً بها على وجه لا يتأتى معه تقدير معانى النحو وتوخيها فيها)[2] .

٤- أن الناظم للكلام يقتفى فى ترتيبه لكلماته أثر المعنى الذى يريد التعبير عنه، فترتيب الكلمات فى النطق يتبع ترتيب المعانى فى الذهن، ومن هنا فرق عبد القاهر بين نظم الكلمات، وبين ضم الشئ الى الشئ كيف جاء واتفق، ففى الحالتين نظم وتأليف، إلا أن المقصود وهو الأول، ولذلك كان عندهم نظيراً للنسج والصياغة والبناء والوشى والتحبير، وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضى كونه هناك، وحتى لووضع فى مكان غيره لم يصلح)[3] .

---

(١) (دلائل الإعجاز) (ص: ٥٣٩) .

(٢) (الدلائل) (ص: ٤١٠) .

(٣) (دلائل الإعجاز) (ص: ٤٩) .

٥- أنه إذا اختل هذا النظام فى ناحية من نواحيه، لم يحقق الكلام الغرض منه وهو الإفهام. وقد مر بنا تعليل عبد القاهر لفساد النظم فى بيت الفرزدق، وهو عدم العمل بقوانين النظم الصحيح، والتى عبر عنها بتوخى معانى النحو وأحكامه فيما بين الكلم، أما الأستاذ أنيس فسنرى له فى تفسير الخلل النظمى فى هذا البيت كلاماً آخر، فإذا تركنا - نظام الكلام عند الدكتور أنيس، وجدنا أن له تعريفا للجملة يقترب من تعريفه للنظم، وتعريفه السابق للغة، فهو يقول: (إن الجملة، فى أقصر صورها أو أطولها، تتركب من ألفاظ هى مواد البناء التى يلجأ إليها المتكلم أو الكاتب أو الشاعر، يرتب بينها وينظم، ويستخرج لنا من هذا النظام كلاماً مفهوما، نطمئن إليه ولا نرى فيه خروجا عما ألفناه فى تجارب سابقة)[1] .

ولا شك أن ضوابط النظم، وترتيب أجزاء الجملة فى اللغة العربية، غير ضوابط النظم المتبعة فى اللغات الأخرى، فللإنجليزية نظمها، وللفرنسية نظمها، وللهندية نظمها، وهكذا .

وقد ذكر الدكتور أنيس أن الباحث يستطيع أن يلمس عن قرب تلك الفروق بين نظم لغة وأخرى، إذا قام بترجمة قطعة من لغة إلى أخرى، لأنه سيجد نفسه مضطرا للالتزام بقوانين النظم، فى اللغة المراد الترجمة إليها، فعلى سبيل المثال هناك لغات يقدم فيها المسند إليه دائما، ويؤخر فيها المسند أبدا، وهناك لغات ليس فيها ذلك، ثم إن من اللغات ما يتحدد فيها للفاعل موضع، وللفعل موضع، وللمفعول موضع ثالث،

---

(١) (من أسرار اللغة) (ص: ٢٧٨) .

كالإنجليزية الحديثة، والفرنسية الحديثة، ومن اللغات ما ليس فيها ذلك، بل لا تخضع في (نظمها) وترتيب كلماتها لنظام معين، ولا تربط بين موضع الكلمة في الجملة، وبين صفتها النحوية أو اللغوية، ولهذا يطلق عليها (اللغات الحرة)، ومنها اللاتينية القديمة، والإغريقية القديمة [1] .

نظم أجزاء الجملة :

ولنمض الآن في متابعة كلام الدكتور أنيس حول (نظم أجزاء الجملة)، فسنجده يفتتح البحث التفصيلي لهذا الموضوع بما ذكره تحت عنوان (موقع المسند إليه في الجملة)، فقد حرص على تقسيم الجمل إلى صورتين، لأن كل جملة إما أن تكون مشتملة على فعل، أو غير مشتملة، وفي كل إما أن تشتمل على نفي أو استفهام، أو لا ، ثم إن الفعل الذي تشتمل عليه الجملة، إما أن يكون ماضيا أو مضارعا، وعلى ضوء هذا راح الدكتور أنيس يتتبع الجمل، في صورها المختلفة، ويحدد الأصل في نظمها، وموقع المسند إليه، والمسند منها، ولم يخل هذا من مداخلات بلاغية، مع عبد القاهر غالبا، ومع غيره من البلاغيين أحيانا، وهو ما نستعين الله أن يوفقنا في عرضه والتعليق عليه، على النحو الآتي :

١ـ الجملة المشتملة على فعل ماض، وهي مثبتة :

ويلتزم في نظامها وترتيبها غالبا البدء بالمسند، وتأخير المسند إليه، وكل اللغات السامية، قال تعالى: ﴿ودَّ كثير من أهل الكتاب﴾[2]، وقال:

---

(١) (المرجع السابق) (ص: ٢٩٥-٢٩٩) .

(٢) سورة البقرة / الآية ١٠٩ .

﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾ [١] ، وقال: ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾[٢] ، قال الدكتور أنيس: (ويندر الالتجاء لغير هذا النظام . وقد تتبعت الجمل القرآنية التى فيها لفظ الجلالة (الله) مسندا إليه، فرأيت الكثرة الغالبة فيها تجئ على هذا النسج .. ، ووجدت نحو ١٤ جملة فقط، من بين مئات الجمل، قد خولف فيها هذا النظام، ونحو نصف هذا العدد قد ورد فى آيات متتالية بسورة النحل وحدها: ﴿ والله أنزل من السماء ماء - والله خلقكم ثم يتوفاكم - والله فضل بعضكم على بعض - والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا - والله أخرجكم من بطون أمهاتكم - والله جعل لكم من بيوتكم سكنا - والله جعل لكم مما خلق ظلالا ﴾[٣] ، وقد جاءت هذه الآيات الشريفة مفصلة لنعم الله على الناس، ودفعا لما قد يتوهم من أن لله شريكا فيها، أو أن للانسان يدا فى الحصول عليها، فاقتضى المقام أن يقصر أمر تدبيرها على الله سبحانه وأن يؤكد هذا المعنى فى أذهان الناس. ولذلك نعد هذا النظام، فى هذه الآيات، أسلوبا من أساليب القصر، يحسن الا نلجأ إليه إلا حين نريد قصر صفة من الصفات على المسند إليه، ومتى استقر هذا فى الأذهان فلسنا بحاجة إلى دليل آخر على إفادة هذا القصر، كأن نلتمس من السياق، أو الملابسات دليلا على إرادة القصر بمثل هذا النظام) ، ثم يدعم هذا الذى ذهب إليه ببعض جمل عامية، تشبه فى

---

(١) سورة المجادلة / الآية ١ .

(٢) سورة البقرة / الآية ٧ .

(٣) سورة النحل / الآيات (٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١) على التوالى .

نظمها الآيات المذكورة، ثم يقول: (ليس بغريب إذن أن يكون تقدم المسند إليه في تلك الجمل التي وردت في سورة النحل، كافيا وحده للتعبير عن القصر والحصر، دون حاجة لأداة أخرى، ولا يقل مثل هذا القصر في قوته عن القصر بطريق آخر من تلك الطرق التي يتحدث عنها البلاغيون)[١] ومؤدى هذا الكلام أن أى نظم أو جملة مكونة من مسند إليه أخبر عنه بفعل ماض مثبت، يفيد القصر، أعني قصر المسند على المسند إليه، ولا يقل في إفادته لذلك عن أى طريق من طرق القصر الاصطلاحية. ولا يحتاج مثل هذا الأسلوب، أو النظم، أو الطريق الجديد الذى يحاول المرحوم أنيس إيهامنا أنه قد ابتكره، إلى قرينة تدعم دلالته على القصر، من سياق، أو مقام .

وقد أشرت في دراسة أخرى[٢] إلى أن هذا يختلف عما ذهب إليه عبد القاهر، فإن هذه الصورة عنده تدخل فيما يفيد فيه تقديم المسند إليه على خبره الفعلي التخصيص أو التقوى، بحسب المقام، إذن فخطورة ما قاله الدكتور أنيس فيما تضمنه من تعميم، أى تعميم استخدام الجمل التي يتقدم فيها المسند إليه على خبره الفعلي (الماضوى والمثبت)، لإفادة معنى القصر، ونحن لا ننكر أن هذا المعنى يمكن أن يستفاد بمثل هذا النظم، إلا أنه في هذه الإفادة يعتمد على

---

(١) (من أسرار اللغة) (ص: ٣١٠-٣١١) .

(٢) راجع (موقف الدكتور إبراهيم أنيس من التقديم عند عبد القاهر) بحث بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد السادس (ص: ٣٥٢-٣٥٣) .

المقام، وإلا فلماذا لم يؤكد الدكتور أنيس دعواه بشواهد فصيحة، تستغنى فى إفادتها هذا القصر عن المقام والسياق، ولجأ إلى أساليب عامية، من قبيل (محمد ضرب على) ؟

ثم إن ما نوه به المرحوم أنيس، فى آيات سورة النحل، قد ردده المفسرون، لكنهم يختلفون عنه فى أمرين: الأول أنهم لا ينفون دلالة تقديم المسند إليه على خبره الفعلى - الماضوى - على تقوى الحكم، وهذه الدلالة لا تتعارض مع التخصيص. الأمر الثانى: أنهم عولوا فى كون هذا الأسلوب مفيد للقصر فقط، أو للقصر والتقوى معا على المقام، يقول (الطاهر بن عاشور): فى قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا ﴾[1] : (.. الإخبار عن اسم الجلالة بالخبر الفعلى يدل على تقوية الحكم وتحقيقه، على نحو قولهم: (هو يعطى الجزيل)، ويفيد مع التقوية دلالة على الاختصاص، أى اختصاص تنزيل الكتاب بالله تعالى .. ، والتحقيق الذى درج عليه صاحب الكشاف، فى قوله تعالى: ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾[2] هو أن التقوى والاختصاص يجتمعان فى إسناد الخبر الفعلى إلى المسند إليه، ووافقه على ذلك شراح الكشاف)[3] .

---

(١) سورة الزمر / الآية ٢٣ .

(٢) سورة البقرة / الآية ١٥ .

(٣) (تفسير التحرير والتنوير) (٢٣ : ٣٨٣) ، وراجع (دلائل الإعجاز) (ص: ١٢٨-١٣٨) ، (والكشاف) (١ :١٨٦) ، (٣ : ٣٩٤) .

٢ـ الجملة المنفية أو الاستفهامية التي تشتمل على فعل ماض:

والتصور العقلي لجملة مسندها فعل ماض، وتعتمد على استفهام أن تأتي أداة الاستفهام قبل المسند، كما في قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾[١] ؟ أو أن تأتي هذه الأداة قبل المسند إليه، كقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ﴾[٢] ؟ وقوله: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[٣] ؟

أما في حالة النفي، فإن الصور تكون ثلاثا، لأن النفي إما أن يكون قبل المسند، كما في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[٤] ، وإما أن يكون قبل المسند إليه، ولم يجد المرحوم أنيس لهذه الصورة شاهدا من القرآن، فاستشهد لها بقول المتنبي :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ∴ ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

وإما أن يأتي النفي بين المسند إليه والمسند، ولم يعثر الدكتور أنيس لهذه الصورة على شاهد في الأساليب الصحيحة، وهي نحو قولك: (أنا ما فعلت)[٥].

---

(١) سورة العنكبوت / الآية ٢ .

(٢) سورة الأنبياء / الآية ٦٢ .

(٣) سورة المائدة / الآية ١١٦ .

(٤) سورة الأحزاب / الآية ٤ .

(٥) راجع (من أسرار اللغة) (ص: ٣١١ - ٣١٣) .

ويعنينا الآن أن الدكتور أنيس يتفق مع عبد القاهر والبلاغيين، فى كون تقديم المسند إليه - الذى يلى الاستفهام أو النفى - على المسند الفعلى (الماضوى) مفيدا للقصر، يقول الدكتور أنيس: (فإن تقدم المسند إليه على المسند، فى هذا النوع من الجمل أحسسنا أن كلا من المتكلم والسامع يفترض أن الحدث قد كان، وأن موضع نفيه أو استفهامه هو المسند إليه نفسه وبذاته، فعليه ينصب النفى أو الاستفهام .. ، ففى قوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ﴾[١] ؟ وفى مثل ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[٢] ؟ نعرف أن الحدث قد وقع فعلا، فقد كسرت الأصنام، وقد قيل للناس اتخذوا عيسى وأمه إلهين، ولكن الاستفهام الإستنكارى منصب علىالمسند إليه، فهو محل التساؤل، ولذا نعد هذا الأسلوب طريقا آخر من طرق القصر والحصر)[٣] .

وفى بيت المتنبى السابق يقول: (فالشعر قد قيل فعلا، وتم نظمه، وإنما محل النفى أن يكون الشاعر وحده هو الذى قام بنظمه، ولنا من نفس البيت الدليل الكافى على إرادة القصر والحصر، وهو كلمة وحدى)[٤].

والدكتور أنيس فى كلامه هذا يحذو حذو الشيخ عبد القاهر، ولا يخالفه فى شئ، لكن الرجل كثيرا ما يسوق لك عبارة توحى بأنه مبتكر، ومجدد، مثل هذه العبارة الواردة فى النص السابق، وهى قوله: (ولذا

---

(١) سورة الأنبياء / الآية ٦٢ .

(٢) سورة المائدة / الآية ١١٦ .

(٣) ، (٤) (من أسرار اللغة) (ص: ٣١١ - ٣١٣) .

نعدُ هذا الأسلوب طريقا آخر من طرق القصر والحصر)، فهذه العبارة توهم أنه هو أول من نوه بهذا الطريق من طرق القصر، وهو طريق (تقديم المسند إليه المسبوق باستفهام أو نفي، على خبره الفعلى الماضوى)، لكن المعروف عند البلاغيين أن من طرق القصر (التقديم)، على اختلاف صوره، والصورة التى معنا داخلة فى هذا العموم، ثم إن عبد القاهر قد نص على أن تقديم المسند إليه، المسبوق باستفهام على خبره الفعلى، فى قوله تعالى: ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾(١)، يفيد التخصيص والقصر، حيث قال: (المعنى فى تقديم الاسم وأن لم يقل: (أتسمع الصم)، هو أن يقال للنبى ﷺ: (أأنت خصوصاً قد أوتيت أن تسمع الصم؟ وأن يجعل فى ظنه أن يستطيع إسماعهم، بمثابة من يظن أنه قد أوتى قدرة على إسماع الصم)(٢).

ثم إن عبد القاهر قد وضع لتقديم الاسم - أيا كانت صفته النحوية - على الفعل، وتقديم الفعل عليه، ضابطا عاماً، وحاصله أنك إذا استفدت من تقديم الاسم على الفعل، فى أسلوب استفهامى، فائدة بلاغية كالقصر مثلا، وجب أن تستفيد هذه الفائدة بعينها، من اسلوب خبرى، قدم فيه الاسم على الفعل، ما دام النَظم فى الحالتين واحدا، وعبارة الشيخ فى ذلك هى: (واعلم أن معك دستوراً لك فيه، إن تأملت، غنى عن كل سواه، وهو أنه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه فى

---

(١) سورة الزخرف / الآية ٤٠ .

(٢) (دلائل الإعجاز) (ص: ١٢٠-١٢١) .

(الاستفهام) معنى لا يكون له ذلك المعنى في (الخبر). وذاك أن (الاستفهام) استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك. فإذا كان كذلك، كان محالاً أن يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في (الاستفهام)، فيكون المعنى إذا قلت: (أزيد قام؟) غيره إذا قلت: (أقام زيد؟)، ثم لا يكون هذا الافتراق في الخبر، ويكون قولك: (زيد قام)، (وقام زيد) سواء [1] .

فكلام عبد القاهر هنا واضح في أنه دعوة إلى التسوية بين تقديم الاسم على الفعل وعكسه في الاستفهام، وبين تقديم الاسم على الفعل وعكسه، في الخبر، فمتى كان أحد النظمين مفيدا لفائدة، فمن الواجب أن يفيدها النظم الآخر، لأنه لا فرق بينهما إلا أن أحدهما دخلت عليه أداة استفهام، فجعلته استخبارا، بعد أن كان خبرا .

---

(١) (دلائل الاعجاز) (ص: ١٤٠) .

وقد فهم المرحوم أنيس من هذا النص الذى سقناه من كلام عبد القاهر أنه لا يسوى بين نظم الاستفهام وبين نظم الخبر، من جهة المعنى أو المغزى البلاغى، بل يسوى بينهما من جهة اللفظ، وعلى أثر هذا الالتباس فى الفهم راح يتهم عبد القاهر بالمغالاة والتناسى لأشياء لغوية لم يقصد عبد القاهر إليها أصلا [1] .

---

(١) ذكر المرحوم أنيس أنه (يجب ألا نتصور أن الجمل المثبتة تكون كالجمل المنفية، وأشباهها من جمل استفهامية، فى نظامها وهندستها، وفيما تتطلب من ظواهر لغوية أخرى)، ثم قال: (وقد كنت اظن أن هذا الأمر بديهى، لا يحتاج إلى نزاع طويل، أو جدل عقيم، حتى قرأت لعبد القاهر ذلك النص الذى يفيد أن الجملتين فى رأيه تستويان) . وهذا ادعاء باطل من المرحوم أنيس، ولوى لأعناق كلام عبد القاهر، وتفسير له على غير وجهه، للنيل من الرجل، والتشويش على تراثه، كرمز من رموز هذه الأمة، وقمة من قممها العالية. إن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: (فى أى شئ كان الأسلوب الاستفهامى والأسلوب الخبرى يستويان فى كلام الشيخ؟) ، هل فى نص عبد القاهر إشارة إلى أنهما يستويان فى (نظمهما، وهندستهما، وما يتطلبان من ظواهر لغوية أخرى)، كما ادعى المرحوم أنيس ؟؟ . ليس فى نص عبد القاهر إشارة ما إلى شئ من هذه الجوانب اللغوية، أو استواء الخبر والاستفهام فى النظام اللغوى . إنما كان حديثه عن المغزى - أو المعنى - البلاغى لتقديم الاسم على الفعل، فى نظمى الاستفهام والخبر، وأنك إذا أفدت بتقديمك للمسند إليه على خبره الفعلى، فى اسلوب استفهامى، فائدة كالقصر مثلا، فإنك ستجد هذه الفائدة حاصلة من هذا التقديم، ولو أسقطت همزة الاستفهام من النظم المذكور، وصيرته خبرا، لكن الدكتور أنيس يأبى هذا الفهم لنص عبد القاهر، ويصر على تفسيره على هواه، وتحميله مالا يحتمل، بل ويتهم عبد القاهر فى ذلك بالمغالاة، والتناسى، و . ..الخ، يقول: (وفى الحق أن عبد القاهر يغالى فى هذا الدستور،ومتناسياً أن النفى يرتبط بالاستفهام ارتباطا وثيقا، وأن ذلك الاستفهام الإنكارى ليس فى حقيقته إلا نفيا، ومتناسياً أن جملة مثل: (كانوا يجادلون بالباطل فيضلون الناس عن الطريق السوى)، يصيبها ذاك التغيير اللغوى المعروف مع النفى والاستفهام، فتصبح (أكانوا يجادلون بالباطل فيضلوا الناس عن الطريق السوى)؟، ومتناسيا أنه مما يجوز الابتداء بالنكرة أن تكون معتمدة على نفى أو استفهام!!) وانظر(من أسرار اللغة) (ص:٣٠٩-٣١٠) .

هذا، والمفروض أن ما قيل فى مضمون تقديم المسند إليه المسبوق باستفهام، على خبره الفعلى الماضوى، فى الآيتين: (أأنت فعلت ..الخ) و(أأنت قلت ..الخ)، ينسحب على كل نظم يشبههما، كهذا الذى تراه فى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾(١) .

فقوله: (أالله أذن لكم) ، قد جاء على صورة الآيتين المذكورتين، مما يعنى أن يكون المتكلم والمستمع هنا يفترضان أن الإذن قد كان، وأن الاستفهام منصب على المسند إليه - وهو لفظ الجلالة - وكأنه عز وجل ينكر عليهم وقوع إذن منه فيما حللوا وفيما حرموا، وهذا يقتضى نسبة الإذن إلى مسند إليه آخر غير الله، ما دام الاستفهام الإنكارى عن الفاعل فى نظائر النظم الذى معنا يقتضى انتفاءه عن المسند إليه المذكور . ولما كان عبد القاهر قد ذهب فى هذه الآية إلى غير ما قرره هو بنفسه فى نظائرها، ومنها الآيتان المذكورتان قبلها، حيث جعل الاستفهام الإنكارى هنا منصبا على الفعل - وهو الإذن - بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فجعل إنكار الفعل بهذه الصورة التى فى الآية أبلغ مما لو جاء الفعل - أذن - بعد همزة الإنكار، بأن تقول مثلا: (أأذن الله لكم؟) ، وحجته فى هذا أن الفعل المذكور، لا فاعل له غير الفاعل المذكور، وهو الله، فإذا انتفى - بمقتضى الاستفهام الإنكارى الذى يتضمن النفى - كونه تعالى قد أذن لهم فى تحريم ما حرموه، وتحليل ما حللوه، فقد انتفى وقوع الإذن مطلقا .

---

(١) سورة يونس / الآية ٥٩ . - وراجع دلالة الإعجاز ص١١٥ .

فلهذا كله تمسك الأستاذ أنيس بظاهر نظم الآية، فطالب عبد القاهر أن يجعلها – من حيث وقوع المسند إليه فيها بعد همزة الاستفهام – مثل الآيتين المذكورتين، في كون السؤال عن الفاعل في مثل هذا الأسلوب يقتضي تصور وقوع الفعل المذكور من فاعل آخر غير المسند إليه المذكور، يقول المرحوم أنيس: (ولست أدرى لم تردد عبد القاهر في جعل قوله تعالى: ﴿ آلله أذن لكم؟ ﴾ من هذا النوع؟ – يقصد ما تقدم بيانه، من دلالة تقديم المسند إليه المسبوق باستفهام، في الآيتين السابقتين، على القصر، والإقرار بوقوع الفعل، وتصور نسبته إلى فاعل آخر غير المذكور – ولِمَ لم يعتبر أن الإذن بتحليل بعض الأشياء، وتحريم البعض الآخر، قد وقع فعلا من القسيسين والرهبان وأن موضع التساؤل والإنكار هو أن الإذن من الله سبحانه، فالله سبحانه وتعالى يقول قبل هذه الآية: (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا)، ثم يعقب عليها بقوله: (آلله أذن لكم ؟!!) [1] .

ويحق لنا أن نلاحظ شيئا جاء في هذا النص، ذلك أن قوله (ولست أدرى لم تردد عبد القاهر في جعل قوله تعالى (آلله أذن لكم؟) من هذا النوع؟)، يوحي بأن الشيخ قد ذهب إلى ما ذهب إليه، في الآية، بعد تردد أوشك !! مع أن هذا لم يحدث، فلا أثر في كلامه لتردد أوشك، ثم إن ما اعترض به الأستاذ أنيس على عبد القاهر، مذكور في حواشي المفسرين، فقد ذكر الشهاب أنه (قيل إن المراد من الإنكار في الآية نفي

(١) (من أسرار اللغة) (ص: ٣١٣) .

التحقق، لا نفى الانبغاء، فالمعنى على تقديم الفاعل المعنوى - وهو لفظ الجلالة - على الإذن: أن الإذن الموجود، لم يصدر منه تعالى، بل من شياطينهم، لا أنه ينتفى انبغاؤه من الله دون غيره)[1] وبهذا تعلم أن الصورة التى صاغ بها الأستاذ أنيس اعتراضه على عبد القاهر، تدل على خبث واضح، وتشويش متعمد، فهو يصفه بالتردد، ولا تردد هناك، وهو يتعمد إثارة القارئ على الشيخ، فى تجاهل الضابط الخاص الذى خصت به هذه الآية عن نظائرها فى كلام الشيخ، وهو أن يلى فاعل الفعل أو مفعوله همزة الإنكار، ثم يعطف عليه نظيره بأم، إن وجد، والحال أن الفعل المذكور محصور فى المعمول المذكور، فاعلا كان أم مفعولا، سواء كان واحداً أم متعددا، فيكون هذا إنكار للفعل من أصله .

٣ـ الجملة المضارعية المثبتة :

ولها صورتان: الأولى تبدأ بالمسند، يليه المسند إليه، مثل﴿يريد الله بكم اليسر﴾[2]، فهذه جملة فعلية لكونها صدرت بفعل، فإن قدمت المسند إليه صارت اسمية، مثلة ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾[3] والأستاذ أنيس لا يفرق بين أن تخبر عن اسم بفعل مضارع، وأن تخبر عنه باسم فاعل مشتق منه، فلا فرق عنده بين الآية، وبين أن تقول: (والله الداعى إلى دار السلام).

---

(١) راجع (حاشيه الشهاب على البيضاوى) (٥ : ٤٣) .

(٢) سورة البقرة / الآية ١٨٥ .

(٣) سورة يونس / الآية ٢٥ .

وقد نقبل منه هذا لو سوى بينهما فى وجوب التطابق مع المسند إليه فى التذكير والتأنيث، والتثنية والجمع، أما أن يهدر الفرق بينهما فى المعنى فمما لا نقبله، ولا نقبل اعتراضه الساخر على عبد القاهر فى ذلك، حيث يقول: (فلا فرق بين المضارع فى مثل هذه الجمل، حين يتقدم المسند إليه، وبين ما يشتق منه من صفة، لا فى معناهما، ولا فيما يصيب كلا منهما من تغيير مع التثنية أو الجمع أو التأنيث .. ، وقد أجهد عبد القاهر نفسه، وأجهدنا معه، حين حاول أن يتلمس فروقا بين استعمال الفعل المضارع، واستعمال ما اشتق منه، زاعماً لنا أن المعنى مع المضارع يفيد التجدد، ووقوع الحدث شيئا فشيئاً، فى حين أنه مع المشتق لا يكاد يعدو ثبوت الصفة وحصولها، ويجارى عبد القاهر فى هذا كل البلاغيين، ويسوقون لنا ذلك الشاهد المشهور :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة ∴ بعثوا إلى عريفهم يتوسم[1]

وفى الحق أن التجديد هنا مستفاد من التعبير بكلمة (كلما)، لا من استعمال المضارع (يتوسم) [2] .

ويذكر المرحوم أنيس أنه لا يكاد يشعر بهذا الفرق، الذى نوه به

---

(١) البيت لطريف بن تميم العنبرى، و (عكاظ): سوق بين نخلة والطائف، كان يجتمع فيها العرب، ويتعاكظون، أى يتفاخرون، والعريف: رئيس القوم، أو النقيب الذى هو دون الرئيس، و (التوسم): تفرس الوجوه وتصفحها وتخيلها، والمعنى: أن لى على كل قبيلة جناية، فمتى وردوا عكاظ طلبنى القيم بأمرهم. وراجع: (معاهد التنصيص) (١ : ٢٠٤) .

(٢) (من أسرار اللغة) (ص: ٣١٤-٣١٥) ، وينظر (دلائل الإعجاز) (ص: ١٧٦) .

عبدالقاهر بين المضارع (يرزق)، فى قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾[١]، وبين اسم الفاعل (رازق)، لو كانت الآية (هل من خالق غير الله رازق لكم) .

ثم يقول: (وربما يصدق كلام عبد القاهر مع تلك الصفات المشبهة التى تفيد الثبوت، والتى لا حيلة للمرء فيها، كالطويل والقصير ونحو ذلك، .. وإنما الذى تلحظه فى أساليب اللغة هو المناظرة بين المضارع وما اشتق منه، حين يكون الفعل اختياريا معبرا عن الحدث ..) ، (فالمضارع حين يقع بعد المسند إليه، لا يكاد يعبر إلا عما يعبر عنه الوصف المشتق فى مثل هذا الموضع)[٢] وعلى الرغم من أننى تناولت رأى الدكتور أنيس فى هذه القضية، فى سياق آخر[٣]، إلا أن ما نحن فيه، من متابعة كلام الرجل حول (نظم أجزاء الجملة)، قد فرض العودة لهذه الجزئية هنا، وينبغى – ونحن نتدرج لمناقشة ما قاله فى ذلك – أن نتذكر أن الفرق بين الإخبار بالاسم، والإخبار بالفعل (فرق لطيف، تمسُّ الحاجة إليه فى علم البلاغة) كما ذكر عبد القاهر .

ومن المفيد أن نسجل الحقائق الآتية :

١- أنه لا فرق عند عبد القاهر بين أن تخبر باسم فاعل، وبين أن تخبر

---

(١) سورة فاطر / الآية ٣ .

(٢) (من أسرار اللغة) (ص: ٣١٥) .

(٣) راجع (موقف إبراهيم أنيس من التقديم عند عبد القاهر) بحث بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط (العدد السادس) (ص: ٣٥٦ – ٣٦٠) .

بصفة مشبهة، فكلاهما اسم، والاسم يقتضى ثبوت الصفة وحصولها، بخلاف الإخبار بالفعل الذى يقتضى حدوث المعنى شيئا فشيئا .

وقد أقر المرحوم أنيس بالفرق بين الفعل والصفة المشبهة، دون الفرق بينه وبين اسم الفاعل، كما رأيت .

٢- أن عبد القاهر قد أورد شواهد خمسة، فى معالجته لهذا الموضوع: ثلاثة أبيات شعرية، وآيتين، أما الأبيات الشعرية فهى قول الأعشى يمدح المحلق:

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة ∴ إلى ضوء نار فى يفاع تحرق[١]

وقول النضر بن جؤية :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا ∴ لكن يمر عليها وهو منطلق

وقول طريف العنبرى: أو كلما وردت عكاظ .. البيت، وأما الآيتان فقوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[٢] وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾[٣] وقد اكتفى الأستاذ أنيس من هذه الشواهد بشاهدين، هما البيت الأخير، والآية الأخيرة، وأغلب الظن أنه تعمد ذكر

---

(١) وبعده: تشب لمقرورين يصطليانها ∴ وبات على النار الندى والمحلق

و (لاحت): نظرت، واليفاع: الجبل المرتفع، والمقروران: اللذان اشتد عليهما البرد، والاصطلاء: الاستدفاء بالنار .

(٢) سورة الكهف / الآية ١٨ .

(٣) سورة فاطر / الآية ٣ .

بيت العنبرى، حيث قرأ هذا الرأى الذى يجعل التجـدد مـن كلمـة (كلما)، لا من الفعل (يتوسم)، فأوهمنا أن هذا الرأى له هـو، مع أنه قد ورد فى كلام ابن السبكى حيث يقول: (وقد يقال: إن التجـدد فـى هـذا البيت فهم من (كلما)، الدالة على التكرار، الذى هو ملزوم التجدد، فإن كان المراد أن معنى (يتوسم) أنه فى كل مرة يتكرر التوسم فقد يمنع، إلا أن هذا البيت ذكره المصنف مثالا، لا شاهدا)[1] .

٣- والفرق بين الأستاذ أنيس، وبين (السبكى) أن الأول قد عرض هـذا الرأى عرض الواثق من صحته، فقد رأيته يقول: (وفى الحق أن التجديد هنا مستفاد من التعبير بكلمة (كلما)، لا مـن استعمال المضارع: يتوسم)، أما الثانى فقد عرضه بصيغة التمريض، حيث بدأه بعبارة (قد يقال: ..) .

والمعروف أن للتجديد معنيين :

الأول: دلالة الفعل على حصول حدث، لم يكن حاصلا من قبل .

الثانى: دلالة الفعل المضارع على تكرار الحدث وتجدده .

ولو نظرت إلى الفعل المضارع (يتوسم)، فى البيـت، لوجدته صالحا لإفادة التجدد، بالمعنيين المذكورين جميعا، فالتوسم يحدث من عرفاء القبائل، ويتكرر وقتا فوقتا، ولا ينكر أحد أن لـ (كلمـا) دوراً فـى هـذه الدلالة، لكـن هـذا لا يعنى أن يسلب المضارع من دلالته عليها، فهناك شواهد يدل فيها هذا الفعـل علـى التجـدد الاستمرارى، أو التجـدد

---

(١) (عروس الأفراح) (٢ : ٢٨) .

المتكرر، وليس في سياقها كلمة (كلما)، كقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[2]، وغير ذلك كثير، (فقد جئ في وصف الطير في الآية الأولى بـ "صافات" بصيغة الاسم، لأن الصف هو أكثر أحوالها عند الطيران، فناسبه الاسم الدال على الثبات، وجئ في وصفهن بالقبض بصيغة المضارع، لدلالة الفعل على التجدد، أي ويجددن قبض أجنحتهن في أثناء الطيران، للاستعانة به على مواصلة الحركة وسرعتها)[3] و (لم يقل: الله مستهزئ بهم في الآية الثانية ليطابق قول المنافقين، إيماءً إلى أن استهزاءه بهم يحدث حالا فحالا، ويتجدد حينا بعد حين، وهكذا كانت نكايات الله فيهم، كما قال:﴿ أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾[4] .

الصورة الثانية من صورتي الجملة المضارعية المثبتة: هي التي تبدأ بالمسند إليه، يليه النفي، ثم المسند، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[5] ، وقوله: ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[6] والأستاذ أنيس لا يفرق هنا بين المضارع المنفي، وبين وصف مشتق منه، كما صنع في

---

(١) سورة الملك / الآية ١٩ .

(٢) سورة البقرة / الآية ١٤ – ١٥ .

(٣) راجع (الكشاف) (٤ : ١٣٨)، و(البيضاوى مع الشهاب) (٨ : ٢٢٣)، و (التحرير والتنوير) (٢٩ : ٣٩).

(٤) راجع (الكشاف) (١ : ١٨٨)، و (البيضاوى) (١ : ٣٤٩–٣٥٠)، والآية من سورة التوبة : ١٢٦.

(٥) سورة البقرة / الآية ٢٠٥ .

(٦) سورة البقرة / الآية ٢٥٨ .

الصورة السابقة، لكن الأهم من هذا أن الجملة المكونة من مسند إليه، يليه فعل مضارع، سواء كان مثبتا أم منفيا، لا تفيد القصر عنده، وعبارته في ذلك: (ليس إذن في الجملة المضارعية، حين يتقدم فيها المسند إليه. أي نوع من القصر، أو ما يشبه القصر، وليس فيها ذلك التقوى في المحكوم عليه، كما يقول عبد القاهر، حين يتحدث عن مثله المشهور: (هو يعطي الجزيل)[1]، وفي هذا الكلام خطأ لا يخفى عليك، لأن عبد القاهر لم يقل: إن في مثل هذا التركيب تقوية للمحكوم عليه، بل قال: إن فيه تقوية للحكم، فتأكيد المحكوم عليه مثل قولك: (نجح الطلاب جميعهم)، ونحوه، فلفظ (جميع) تأكيد للمحكوم عليه، وهو المسند إليه، أما تأكيد الحكم وتقويته فيعني تدعيم نسبة المسند إلى المسند إليه، أي أن المسند إليه – وهو الضمير في مثال الشيخ – يكون موصوفا بإعطاء الجزيل، بصورة مؤكدة، وفي غاية القوة، وهذا التقوى للحكم لا ينافي قصد الاختصاص والقصر، وعبد القاهر يجعل هذا الأسلوب وأمثاله صالحا لإفادة المعنيين معا، أو أحدهما، بحسب المقام، أما رأى الأستاذ أنيس فشئ آخر، ولست أدرى لم فرق بين ما يكون الخبر فيه فعلا ماضيا، وبين ما يكون فيه فعلا مضارعا، فجعل الصورة الأولى طريقا جديداً من طرق القصر، ولم يفعل ذلك في الثانية .

٤ ـ الجملة المضارعية المنفية :

ولها صورتان: الأولى أن تبدأ بالمسند المنفي، الذى يليه المسند إليه.

---

(١) (من أسرار اللغة) (ص: ٣١٧) .

الثانية أن تبدأ بالمسند إليه المنفى، الذى يليه المسند. فمن الأولى قوله تعالى: ﴿لاَ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[١] ومن الثانية قوله: ﴿وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[٢]، وهذا أسلوب نادر فى اللغة العربية، كما يقول الأستاذ أنيس، لم يرد مع لفظ الجلالة إلا فى هذه الآية، وآية أخرى، هى﴿وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾[٣]، والتعميم الذى سبق فى الصورة السابقة يشمل هذا الأسلوب، أعنى أن هذا الأسلوب عند الأستاذ أنيس ليس من أساليب القصر، مع أنه عند عبد القاهر من أقوى أساليبه، لكون المسند إليه قد ولى حرف النفى، وأخبر عنه بخبر فعلى، فهو فى إفادة ذلك مثل قول المتنبى السابق:

وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كله ∴ ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر

٥ ـ الجمل الإسمية :

ومن المنطقى ألا تشتمل هذه الجمل الإسمية على أفعال، وقد نظر الدكتور أنيس فى صور نظمها المختلفة، وكانت له تعليقات بلاغية على بعض هذه الصور، ونرجو أن نوجز ذلك فيما يأتى :

أ- جمل اسمية يكون المسند إليه فيها معرفة، والمسند نكرة - سواء كان اسما أم وصفا مشتقا - نحو (العلم نور)، و ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٤].

---

(١) سورة النساء / الآية ١٤٨ . وانظر (من أسرار اللغة) (ص: ٣١٧) .

(٢) سورة غافر / الآية ٣١ .

(٣) سورة آل عمران / الآية ١٠٨ .

(٤) سورة الحج / الآية ٥٢ .

والأصل في نظم هذه الصورة أن يبدأ فيها بالمسند إليه، كما هو واضح في المثال والآية، ويعدل عن هذا إذا سبقت الجملة باستفهام، أو نفي. وانظر إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْراهِيمُ﴾[1]، فالمسند هنا وصف مشتق، قدم على المسند إليه، والسؤال منصب عليه، وكأن السائل هنا وهو أبو إبراهيم يستنكر الانصراف عن آلهته، أيا كان هذا المنصرف عنها، في حين أنه لو كانت الآية هكذا: ﴿أأنت راغب عن آلهتي يا إبراهيم؟﴾، لكان الاستنكار منصبا على (إبراهيم) بالذات، ولزوم تقدم المسند إليه في حالة عدم سبق الجملة باستفهام أو نفي مقصور على النثر، أما (الشعر) فقد قدم فيه (المسند)، وعلة هذا عند الأستاذ أنيس[2] هي رغبة الشعراء في التحرر، وحرصهم على التخلص من أي قيد، كقول المتنبي :

بـاد هـواك صـبرت أم لم تصـبرا ∴ وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

وكقول شوقي :

علـم أنـت فـي المشـارق مفـرد ∴ لـك فـي العـالمين ذكـر مخلـد

ب- جمل اسمية يكون المسند إليه فيها معرفة، والمسند شبه جملة، أي جار ومجرور، أو ظرف، نحو (الحمد لله)، ﴿والله مع الصابرين﴾[3]،

---

(١) سورة مريم / الآية ٤٦ .

(٢) راجع (من أسرار اللغة) (ص: ٣١٨ - ٣٢٠) .

(٣) سورة البقرة / الآية ٢٤٩ .

﴿ولله المشرق والمغرب﴾[١] ، ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾[٢] ، ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾[٣] ، ومن الغريب أن الأستاذ أنيس لا يفرق بين تقديم المسند في هذه التراكيب وبين تأخيره، فهو يقول: (ولا فرق هنا بين أن يتقدم المسند أو يتأخر، فالتعبيران جائزان مقبولان، غير أن الكاتب قد يؤثر أحدهما في موضع ما، ويؤثر الآخر في موضع ثان، ولا يكاد يختلف المعنى في كلتا الحالين، فالفرق بينهما فرق أسلوب، لا ذلك الفرق اللغوي الذي نهدف إلى بيانه هنا، ففي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبُعُ﴾[٤]، كان من الممكن أن يقال: (فالربع لكم)، وتؤدي الآية حينئذ نفس المعنى، فاختيار أحد الأسلوبين يرجع إلى تلك النواحي الفنية، التي تتأثر بمزاج الكاتب، وموسيقى الكلام، وعلاقة الجملة بما يليها وما يسبقها)[٥] .

جـ- جمل اسمية يكون المسند إليه فيها نكرة، والمسند نكرة أيضا، ويعنينا من هذه الجمل صورتان :

١- الأولى: أن يوصف المسند إليه بوصف يخصصه، نحو ﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك﴾[٦] ، ويلتزم في هذه الصورة تقديم المسند إليه على المسند .

---

(١) سورة البقرة / الآية ١١٥ .

(٢) سورة الشورى / الآية ٤٩ .

(٣) سورة آل عمران / الآية ١٨٠ .

(٤) سورة النساء / الآية ١٢ .

(٥) (من أسرار اللغة) (ص: ٣٢٠-٣٢١) .

(٦) سورة البقرة / الآية ٢٢١ .

٢- أن يكـون المسند إليه نكرة، والمسند جار ومجرور، أو ظرف، نحـو ﴿فيها فاكهة ونخل ورمان﴾[١] ، ويلتزم فـي هـذه الصـورة تقديم المسند، على المسند إليه. والعجيب أن الأستاذ أنيس يرى جواز التقديم والتأخير للمسند، في هذه الصورة الثانية، إذا سبقت بنفي أو استفهام، ويذكـر فـي هـذا قولـه تعـالى: ﴿أ إلـه مـع الله؟﴾[٢] ، ﴿ولا فيـها غـول ولا هـم عنـها ينزفون﴾[٣]، ﴿ومن قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾[٤]،﴿يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم﴾[٥] .

ويعود الأستاذ أنيس هنا ليكرر ما قاله من قبل، فيقـول: (ويظهر أن الفرق بين التقديم والتأخير هنا لا يعدو أن يكون فرق أسلوب، فالمعنى في الحالتين واحد)[٦] .

والذى عليه البلاغيون أن تقديم المسند يفيد القصر بمعونة السياق، إذا لم يتقدمه نفـي، فإن سبق بنفـي كـانت إفادتـه للقصر لازمة، فتسـوية الأستاذ أنيس بين تقديم المسند وتأخيره، في الحالتين، ليس مقبـولا، ولا مبررا، وطبيعة المعنى في أكثر الشواهد التى ذكرها تشير إلى أن القصد بتقديم المسند فيها هو القصر والتخصيص .

---

(١) سورة الرحمن / الآية ٦٨ .

(٢) تكررت هذه الجملة خمس مرات في سورة النمل، الآيات / ٦٠-٦٤ .

(٣) سورة الصافات / الآية ٤٧ .

(٤) سورة إبراهيم / الآية ٣١ .

(٥) سورة الطور / الآية ٢٣ .

(٦) (من أسرار اللغة) (ص: ٣٢٢-٣٢٣) .

د- جمل اسمية يكون كل من المسند إليه والمسند فيها معرفة، وقبل أن يستشهد الأستاذ أنيس لهذه الصورة، راح يهاجم عبد القاهر، هجوما ضاريا، وكأن الهجوم على الشيخ، وإثارة الشبه حول كلامه جزء من خطة هذا الرجل في معالجته لقضية (النظم اللغوى)، يقول: (وقد حاول عبد القاهر أن يفرق بين مثلين من صنعه، هما: (زيد المنطلق)، (والمنطلق زيد)، فلقي من العنت والمشقة ما أجهده، وأجهدنا معه، ويظهر أن صعوبة تمييز المسند من المسند إليه، في مثل هذه الجمل هو الذى ألجأ عبد القاهر وغيره إلى تكلف الشطط في علاجها)[1] فانظر كيف يحمل المرحوم أنيس على عبد القاهر، ولا يتأدب مع أمثاله من الرواد بأدب أهل العلم، بل تراه لا يتورع في نسبته إلى الشطط، والتكلف والاعتماد على الأمثلة المصنوعة، مما يؤكد أن هذا الرجل لم يكن حسن النية في تعقبه المتكرر لكلام شيخ البلاغيين، وتعليقه عليه .

موضع المتعلقات في الجملة :

كل ما ليس مسندا، أو مسندا إليه في الجملة العربية يطلق عليه البلاغيون كلمة (المتعلقات)، ويندرج تحتها الأمور الآتية: المفعول به، والمفعول المطلق، والمفعول لأجله، والمفعول معه، والحال، والتمييز، والمستثنى، والجار والمجرور، والظرف، وغير ذلك .

وقد نظر المرحوم أنيس في كتب النحاة والبلاغيين، ووقف على معالجتهم لهذه (المتعلقات)، وما قاله البلاغيون خاصة في أن الشائع

---

(١) (المرجع نفسه) (ص: ٣٢٣) .

والكثير الدوران أن ترد تلك المتعلقات في أواخر الجمل، ولا تتقدم على (المسند إليه أو الفاعل) إلا لنكتة بلاغية، ولا تتقدم على ركني الإسناد إلا لقصد القصر والتخصيص، أو لغرض بلاغي آخر، كالاهتمام، والتبرك، والاستلذاذ، ورعاية القافية أو الوزن الشعري، أو السجع والفاصلة النثرية .

وقد ادعى المرحوم أنيس أن هذا الذي صنعه البلاغيون (لا يشفي غليل الباحث المدقق)، فماذا يصنع، بعد هذا التقديم المشوق المثير؟ لقد اختار أن يتناول موضع اثنين من تلك المتعلقات من الجملة، على ضوء ما ورد من نصوص نثرية صحيحة، وهما: المفعول به، والحال المفردة، ولو نظرت إلى ما قاله عن (تقديم المفعول على الفعل)، لأدركت مدى حرص هذا الرجل على تفريغ الهيئات النظمية من مضامينها المعنوية، أو تضييق نطاق هذه المضامين، لإفساح المجال للأغراض الهشة، والنكات اللفظية، التي تعد عند البلاغيين بمثابة الضرورات عند النحاة، كمراعاة الوزن والقافية في الشعر، ومراعاة السجع والفواصل في النثر، يقول الدكتور أنيس: (ولست أغالي حين أقرر هنا أن المفعول لا يصح أن يسبق ركني الإسناد، في الجمل المثبتة، كما يزعم أصحاب البلاغة، في تلك الأمثلة المصنوعة، من نحو (زيدا ضربت، زيدا ضربته) !! أما التقديم في مثل الآيات القرآنية: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾[1]، و﴿إياي فاعبدون﴾[2] ، ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[3]،

---

(١) سورة الفاتحة / الآية ٥ .

(٢) هكذا وردت الآية في كلامه بالواو، والصواب (فإياي) (سورة العنكبوت : ٥٦) .

(٣) سورة البقرة / الآية ٥٧ ، والنحل / الآية ٣٣ .

﴿خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه﴾[1] ، ﴿فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر﴾[2] ، فالأمر فيه لا يعدو أن يكون رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنية، فهى إذن أشبه بالقافية الشعرية التى يحرص الشاعر على موسيقاها كل الحرص، أما فى الجمل الاستفهامية أو المعتمدة على نفى، فقد أمكن أن يتقدم المفعول على ركنى الإسناد، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[3] ، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[4] ، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[5] ، ففى مثل هذه التعابير المعتمدة على نفى أو استفهام وحدها، يصح أن نقول كما قال أهل البلاغة: إن التقدم لرد الخطأ فى التعيين، أورد الخطأ فى الاشتراك، حسب ما يقتضى سياق الكلام. فالإنكار فى الآيات السابقة منصب على المفعول به المتقدم. ففى الآية الأولى لا ينكر عليهم ابتغاء الحكم، وإنما الذى ينكر عليهم هو ابتغاء حكم معين، هو حكم الجاهلية بالذات، وفى الآية الثانية لا ينكر عليهم اتخاذ الولى وإنما الذى ينكر عليهم هو أن يكون الولى غير الله. وفى الآية الثالثة لا يدهش الكفار أو يعجبون من أن يكونوا تابعين أو مطيعين، وإنما هم يدهشون أو يأبون اتباع بشر مثلهم)[6].

---

(١) سورة الحاقة / الآية ٣٠-٣١ .

(٢) سورة الضحى / الآية ٩ - ١٠ .

(٣) سورة المائدة / الآية ٥٠ .

(٤) سورة الأنعام / الآية ١٤ .

(٥) سورة القمر / الآية ٢٤ .

(٦) (من أسرار اللغة) (ص: ٣٣٣-٣٣٤) .

وأذكر بما قلته في التعليق على هذا النص في سياق آخر، وهو أن (البلاغيين لا يبحثون في جواز التقديم وعدمه، بل ذلك غرض النحاة، فهم الذين أجازوا تقديم المفعول على الفعل، وهم الذين مثلوا له بهذه الأمثلة التي سماها المرحوم أنيس (مصنوعة)، فلما صح ذلك عند النحاة في هذه الجمل المثبتة، نظر البلاغيون فيها، حسبما يتفق مع منهجهم، فقالوا: إن تقديم المفعول على الفعل قد يفيد الاختصاص ..)[1] .

وقد يتسامح في جعل تقديم المفعول على الفعل لغير الاختصاص، في بعض الآيات التي ذكرها، مثل (فأما اليتيم فلا تقهر ..)، (ثم الجحيم صلوه)، لكن القول بأنه لغير هذا الغرض في (إياك نعبد)، و(فإياى فاعبدون)، (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ، فيه من الغفلة ما لا يخفى، فمقام آية الفاتحة مقام افتتاح الوحي والتشريع، واستهلال الوعظ والتقريع، وهذا المقام يناسبه تأكيد الحكم بالقصر، بل القصر الحقيقي التحقيقي، لأن المؤمنين المأمورين بالتعبد بحمد الله، وتخصيصه بالعبادة والاستعانة، لا يعبدون سواه في الواقع ونفس الأمر .

ولهذا يبدو الزعم بأن التقديم هنا لمراعاة الفواصل - كما قال إبراهيم أنيس، وابن الأثير من قبله - شاحبا وباهتا، لا يصدر إلا من رجل مشكوك في عقيدته، وكذلك الحال في الآية الثانية (فإياى فاعبدون)، فإن الفاء في (فإياى) للتفريع، أما الفاء في (فاعبدون) فهي في أرجح الرأيين مؤذنة بفعل محذوف، ناصب لضمير المتكلم، تأكيدا للعبادة،

---

(١) (مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط) العدد السادس (ص: ٣٦٣) .

والتقدير: (وإياى اعبدوا فاعبدون)، وهو مناسب لدلالة التقديم على الاختصاص، لأنه لما أفاد الأمر بتخصيصه بالعبادة كان ذكر الفاء علامة على تقدير فعل محذوف، قصد من تقديره التأكيد .

أما الآية الثالثة: (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)، وكذا شبيهتها: (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)، فإنك تلاحظ أنه قد قدم فيهما المفعول للقصر، وقد حصل القصر أولا بمجرد الجمع بين النفي والإثبات، ثم أكد بالتقديم[1] .

وبعد: فإن مداخلات الأستاذ أنيس النظمية كثيرة، ربما لا يكفى لدراستها بحث صغير، مثل هذا البحث، فقد تعرض لموضوعات بلاغية مختلفة، مثل تنافر الألفاظ، والفصل والوصل، والقصر بإنما وما وإلا، وتبادل الأفعال بعضها مواقع بعض، والسر البلاغي لأنواع البديع - ولا سيما اللفظى - وغير ذلك، وقد رأينا له وقفات فيما سبق تتعلق بالاستفهام والتقديم - على اختلاف صوره - ويعنينا فى هذا ما يوضح معنى (النظم اللغوى) عنده، الذى جره لتناول هذه الشعب النظمية، والتى لم تخل مداخلة منها من نقد مغرض، وتحامل مكشوف على عبد القاهر الجرجانى .

وليت هذا التحامل كان يأتى نتيجة غيرة دينية، أو نظرة ثاقبة، ورؤية راشدة، فى القضية التى عليها الخلاف، وإنما كان يأتى فى الأعم الأغلب دون مبرر من هدف نبيل، أو فهم واع، وكثيرا ما يوجه كلام عبد

---

(١) راجع (المثل السائر)(٢: ٢١٨-٢١٩)، و(التحرير والتنوير)(١: ١٨١-١٨٣)، (١: ٥١٢)، (٢١ : ٢٢).

القاهر توجيها طائشا، ويفسره تفسيرا غريبا، وقد رأينا لذلك أمثلة كثيرة في الصفحات السابقة، ونضيف هنا مثالا يتعلق بقضية :

الجمال في البديع اللفظي :

ونبادر في البداية إلى التنبيه على أن تقسيم (البديع) إلى لفظي ومعنوي، لم يعرف في البلاغة العربية، قبل عصر (السكاكي ت٦٢٦هـ) ، و(الخطيب ت٧٣٩هـ) . أما في عصر عبد القاهر فقد كان لفظ البديع يطلق على ألوانه اللفظية والمعنوية معاً، لكنه لم يقسمها هذا التقسيم، بل ولم يفرق بينها في المزية، فإن الحسن فيها عنده يرجع إلى المعنى، وقد سبق أن ألوان البديع – وصور البيان – عنده من مقتضيات النظم، كما سبق تناوله لشاهدين من شواهد (المزاوجة)، وهو أحد ألوان البديع المعنوي في اصطلاح السكاكي وتابعيه، وقد رأيناه يعد شاهدي هذا اللون من أرفع طبقات النظم، وها هو ذا يتناول الجناس والسجع – وهما من البديع اللفظي، في اصطلاح السكاكي ومدرسته – ويجعل الحسن فيهما راجعا إلى المعنى، لأن الألفاظ خدم للمعاني، وليس العكس، وينصح الأدباء أن يدعوا المعاني على سجيتها، ويتركوها تطلب الألفاظ المناسبة لها، ولا يتكلفوا السجع ولا الجناس، وبهذا نعلم أن مراد عبد القاهر بأن مرجع الحسن في السجع والجناس إلى المعنى هو أن حسن هذين اللونين وغيرهما من البديع اللفظي يرجع إلى النظم، لأنه لا يعقل أن يريد بالمعنى: (دلالة الكلمات على معانيها المعجمية)، وإنما أراد أن الفن الأدبي الذي يصنعه الأديب يأتي معبرا تماما عن المعنى

الذى قصده صاحبه، فإن تحقق هذا بعبارة فيها جناس أو سجع، كان كل منهما حسنا مقبولا، وإلا كان متكلفا مردودا .

أما الدكتور أنيس فقد ظن أن مراد عبد القاهر بالمعنى هنا هو المعنى الدلالى للكلمات، لذلك اضطرب فى فهم كلام الشيخ، وحمل عليه حملة ظالمة، لأنه للأسف لم يفهم كلامه على وجهه الصحيح، يقول: (وقد أبى عبد القاهر الجرجانى فى أسرار البلاغة، حين عرض للجناس والتجنيس، أن يعترف لصاحبه بفضل، ورأى أن الأمر كله يجب أن يكون مرجعه للمعنى، فهو ينكر الجمال فى جرس الأصوات، ويرجع سر الجمال فى الكلمة أو الكلام إلى دلالة الألفاظ)[1] .

وهذا الفهم لكلام الشيخ يبدو للوهلة الأولى صحيحا، ولا سيما لمن لا يقف على المواضع المختلفة التى يتكرر تعرض الشيخ فيها للقضية الواحدة، ولكنه فى الحقيقة غير صحيح: فبالنسبة للدعوى الأولى، وهى أنه ينكر الجمال فى جرس الأصوات، نقول: إن الشيخ فى موضع من كلامه قد قرر أن القول بأن الفصاحة تكون فى تلاؤم الحروف والكلمات، وعدم التنافر بينها قول "فاسد"، لما يترتب عليه من كون الفصاحة - بهذا المعنى هى سر الإعجاز، وهل القرآن معجز بخلوه من الثقل والتنافر؟ إن هذا القول يعنى استبعاد الأسباب الحقيقية للإعجاز، التى هى قوام (نظمه)، من وضوح الدلالة، وصواب بالإشارة، وحسن الترتيب، وتصحيح الأقسام، والإبداع فى التمثيل، والإجمال ثم التفصيل، وغير

---

(١) (موسيقى الشعر) د/ إبراهيم أنيس (ص: ٤٥-٤٦) .

ذلك[1]، فمعنى هذا أن الشيخ لا ينكر الجمال فى جرس الأصوات، كما زعم الدكتور أنيس، وإنما يعطى تلاؤم الحروف قدره الذى يستحقه من الفضيلة فقط، لكن لا يجعله مناط الإعجاز، وقد أكد هذا فى موضع آخر، فقال: (واعلم أنا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة، وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز، وإنما الذى ننكره ونُفَيِّلُ[2] رأى من يذهب إليه، أن يجعله معجزا به وحده، ويجعله الأصل والعمدة، فيخرج إلى ما ذكرنا من الشناعات)[3]، وأما دعوى المرحوم أنيس الثانية، وهى أن الشيخ أنكر أن يكون الجمال فى دلالة الألفاظ على معانيها، فهى فاسدة أيضا، وما أشبهها بالذى يقرأ قوله تعالى: ﴿فويل للمصلين﴾[3] ، ويقف، قاصدا الإيحاء بمعنى ليس مرادا، لحاجة فى نفسه، ذلك أن عبد القاهر لم ينكر أن يكون الجمال فى المعنى، وإنما أنكر أن يكون فيه وحده، دون ارتباط بالنظم، فهو يقول: (واعلم أنى لست أقول إن الفكر لا يتعلق بمعانى الكلم المفردة أصلا، ولكنى أقول إنه لا يتعلق بها مجردة من معانى النحو ..)[4] .

لكن المرحوم أنيس يأبى إلا أن يعلى من شأن اللفظ والشكل فى العمل الأدبى، فهو يقول بعدما سبق: (ولا شك أن عبد القاهر قد بالغ فى هذا مبالغة غير محمودة، فجمال الجرس فى الألفاظ أمر معترف به بين أهل

---

(١) راجع (دلائل الإعجاز) (ص: ٥٧-٦٣)، و (سمات البلاغة) (١ : ٨ ، ٩) .

(٢) فَيَّلَ رأيه: قبحه وخطأه لفساده، (دلائل الإعجاز) (ص: ٥٢٢) .

(٣) سورة الماعون / الآية ٤ .

(٤) دلائل الإعجاز) (ص: ٤١٠) .

الأدب ونقاده، في كل الأمم، ولا معنى لإنكاره كما يحاول عبد القاهر)[1].

وهذا الكلام يوضح مفهوم ووظيفة (البديع اللفظى) عند هذا الرجل، فأنت تراه يجاهر بإرجاع الحسن فيه إلى الجرس اللفظي، ويؤكد هذا بكلام آخر ذكر فيه أن (البديع اللفظى) (وثيق الصلة بموسيقى الألفاظ، والتفنن في طرق ترديد الأصوات في الكلام، حتى يكون له نغم وموسيقى، وحتى يسترعى الأذان بألفاظه، كما يسترعى القلوب بمعانيه)[2].

وهذا التصور للبديع اللفظى عند إبراهيم أنيس ليس مستغربا منه، فقد درج على تبنى المواقف المرجوحة، أو الشاذة، في الفكر اللغوى والبلاغي، فمن الطبيعى أن يكون له على طول الخط توجهات مخالفة لتوجهات عبد القاهر، وأمثاله من النقاد الحقيقيين، والبلاغيين الرواد، لذا لا نعجب حين نجده يتعقب كلام الشيخ، في معالجته لـ (نظم الكلام)، بعد أن قدم لذلك بمقدمة تتلخص في أن القدماء من اللغويين والنحاة، كانت إشاراتهم لما يتعلق بنظام الجملة العربية إشارات سريعة، ولم يحدث أن قصر واحد منهم على هذه القضية كتابا مستقلا، حتى جاء عبد القاهر، فعنى بهذا الأمر كل العناية، في كتابه دلائل الإعجاز[3].

وهنا أورد لنا الدكتور أنيس نص عبد القاهر الذى سبق أن أثبتناه في مفتتح الكلام عن مفهوم النظم عنده، وهو قوله: (واعلم أن ليس

---

(١) (موسيقى الشعر) (ص: ٤٦) .

(٢) راجع (المرجع نفسه) (ص: ٤٤-٤٥) .

(٣) راجع (من أسرار اللغة) (ص: ٣٠٢-٣٠٣) .

النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله .. الخ)، وما لبث أن عقب عليه ببعض الملاحظات، المتعلقة بمعالجته لتلك القضية بوجه عام، على ضوء هذا النص الوحيد !

ملاحظات إبراهيم أنيس على طريقة عبد القاهر فى دراسة النظم :

وهى أربع ملاحظات سجلها على الشيخ، بعد النص السابق .

الملاحظة الأولى:

(ميله - على طريقة المتكلمين - إلى الجدل المنطقى الفلسفى، ومحاولته التقريب بين أساليب الكلام والمنطق العقلى العام، ولذلك أكثر من التمثيل بعبارات من صنعه، لا نكاد نرى شواهد لها فيما روى من اللغة)[1].

وللرد على هذه الملاحظة نقول: إن عبد القاهر وإن كان فى أسلوبه نزعة جدلية، ونهج كلامى فلسفي، فإنه مع ذلك أديب موهوب، سليم الذوق، يحكمه في النصوص، على ضوء منهج علمي رائد، وفلسفة لغوية مبتكرة، ومن الطبيعي فيالنقد البلاغي التقريب بين أساليب الكلام، والمنطق العقلي العام، ومن الطبيعي أيضا التمثيل بعبارات مؤلفة، ما دام النقد والبلاغة من العلوم العقلية، وإنك لتعجب من هذا الرجل الذى يسجل على عبد القاهر تمثيله بأمثلة فرضية من صنعه، في علم عقلى كعلم البلاغة، مع أن هذا الرجل نفسه يصنع ذلك كثيرا، ولكن

(١) (من أسرار اللغة) (ص: ٣٠٣) .

فى علم لغوى، يحتاج إلى الاستشهاد بالمروى عن العرب، قبل عصر الاحتجاج باللغة .

ثم إن النزعة الجدلية والأسلوب المنطقى، لا نراهما عند عبد القاهر إلا فى كتابه (دلائل الإعجاز)، و (الرسالة الشافية)، اللذين عالج فيهما قضية الإعجاز، وجادل عنها جدلا بليغا، فهو فيهما ينصرف إليها انصرافا تاما، ويوظف مواهبه اللغوية والأدبية والمنطقية لتقديم الحجج، ويستخدم الأساليب الجدلية، مثل: (إن قلتم قلنا)، و (كيف لا يكون كذا، وما هو إلا كذا) ونحو ذلك، أما فى كتابه (أسرار البلاغة) فهو بليغ أديب، صانع كلام، فى عبارته بساطة، مع الإكثار من الشواهد الشعرية، والاعتماد على الحاسة الفنية فى النظر إلى النصوص .[1]

الملاحظة الثانية :

(أن عبد القاهر فى الكثير من مواضع الكتاب - دلائل الاعجاز - أديب وناقد، أكثر منه لغوى، فهو يشبه نظم الكلام وترتيب الكلمات بنظم اللؤلؤ والجوهر، فى سمط نفيس، ثم يعود ويشبهه بالأصباغ التى تعمل منها الصور والنقوش، حين يؤلف منها الفنان الماهر أبدع الرسوم وأجمل المناظر)[2] .

---

(١) راجع (مناهج تجديد) للأستاذ أمين الخولى (ص: ١٦٢-١٦٣) ، و(النقد المنهجى) د/ مندور (ص: ٣٣٧-٣٣٩) .

(٢) (من أسرار اللغة) (ص: ٣٠٢) .

وللرد على هذه الملاحظة نقول: إن هذا الكلام يحسب لعبد القاهر، لا عليه، لأن إبراهيم أنيس يعترف هنا للشيخ بأنه ناقد وأديب، أما أنه في نظره ليس جديرا بأن يكون لغويا فغير مفهوم، ولست أدرى كيف كان ينبغي أن يكون عبد القاهر، حتى يصبح في نظر إبراهيم أنيس لغويا محضا. لقد ذكر الدكتور مندور أن عبد القاهر قد اهتدى في العلوم اللغوية إلى مذهب يشهد له بعبقرية لغوية منقطعة النظير، وعلى أساس هذا المذهب كون مبادئه في إدراك دلائل الإعجاز، وقال: (إن مذهب عبد القاهر هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوربا لأيامنا هذه، هو مذهب العالم السويسرى الثبت- فردناند دى سوسير Ferdinand de Saussure المتوفى سنة ١٩١٣م) ، (لقد فطن عبد القاهر إلى أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل مجموعة من العلاقات)، وهذه العلاقات هي ما أطلق عليه عبد القاهر مصطلح النظم، وفسره بأنه صناعة الكلام على ما تقتضيه قوانين النحو وأصوله، ومن هنا يتبين لك(طريقة فهمه للنحو، وأنه لا يقف به عند الحكم بالصحة والخطأ، بل يعدو ذلك إلى تعليل الجودة والرداءة)[1] .

المرحلة الثالثة :

يقول المرحوم أنيس: (كان عبد القاهر يهدف - بعلاجه لنظم الكلام-إلى أمور أوسع مما نهدف إليه في هذا الفصل، ومما يهدف إليه اللغوى الأوربى حين يعالج ترتيب الكلمات في الجمل Word-order

---

(١) مراجع (النقد المنهجى) (ص: ٣٣٣-٣٣٦) .

فنرى عبد القاهر يعقد فصلا عنوانه: (فى النظم يتحد فى الوضع ويدق فيه الصنع)، عرض فيه لأنواع من البديع وطرق البيان، وبعد فيه عن النظام النحوى والتركيب اللغوى من حيث صحته أو خطؤه، فهو يتلمس فى النظم نواحى من الجمال، وأموراً لطيفة دقيقة، ولذا لم ير فى نثر الجاحظ، إذ يقول: (جنبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسبا، وبين الصدق سببا ..الخ) ذلك النظم الكلامى الذى ينشده هو)[1].

ونعتقد أن هذه الملاحظة تكمل التى قبلها، فحاصل هذه أن عبد القاهر يتغيا من معالجته لنظم الكلام غايات أوسع مما يسعى إليه الأستاذ أنيس وأضرابه من اللغويين الأوربيين المحدثين، وحاصل الملاحظة التى سبقتها أن عبد القاهر - فى دلائل الإعجاز - كان ناقدا أديبا أكثر منه لغويا. والأستاذ أنيس - بهاتين الملاحظتين - يحدد لنا هدفه من دراسة (النظم اللغوى)، وهو التعرف على صور التراكيب اللغوية، والنظم النحوية، طبقا لقواعد النحو المقررة، كما لمسنا ذلك فى دراسته لصور الجملة الفعلية والاسمية، وموضع المتعلقات من الجمل، فقد كان فى هذه الدراسة يهتم بما يصح وما لا يصح، لا بما يحسن وما يقبح، وهذا يعنى أن غايته من دراسة النظم تقف عند الحكم بالصحة والخطأ، ولا تعدو ذلك إلى تعليل الجودة والرداءة، بخلاف عبد القاهر، فإن دراسته-كما اعترف الأستاذ أنيس-أوسع من ذلك وأرحب .

---

(١) (من أسرار اللغة) (ص: ٣٠٣-٣٠٤) .

وإنك لتعجب من أمر الأستاذ أنيس، فإذا كان مفهوم النظـم اللغوى عنده محصورا فى هذا النطـاق النحـوى، فلماذا نجده يكرر اعتراضاته على عبـد القاهر، فـى جوانـب نظمية معنوية؟ إنـه بذلـك ينـاقض نفسه، صحيح أن (النظم اللغوى) عنده، و (النظم) عند عبد القاهر، يشتركان فى سمات عامة، سبق أن أحصيناها فى بداية هذا البحث، إلا أن هدف عبد القاهر من نظريته يختلف عـن هـدف المرحـوم أنيس، فـالأول ينشـد مـن النظم النحوى أغراضه ومعانيه، والثانى ينشد النظم النحوى نفسـه، ومـن هنـا دخلـت طـرق البيان وألـوان البديـع فـى إطـار النظـم عنـد الشـيخ، فكلاهما (من مقتضيات النظم، وعنه تحـدث، وبـه تكـون، إذ لا يتصـور أن يدخـل شئ منها فـى الكلم وهـى أفراد لم يتوخ فيما بينها حكـم مـن أحكام النحو) [1] .

ولا يفوتنا أن نسجل على الأستاذ أنيس أنه باعتراضاته المتكررة على عبد القاهر، يخلط بين مصطلحين، إذ أنـه حين يعـترض علـى جزئيـة نظمية عند الشيخ، يحتكم فى هذا إلى معايير (النظم اللغوى) عنـده هـو، وفـى ذلـك مـا فيه مـن الخلـط والتدليس، اللذيـن يتـورع عنهما البحـث العلمى الموضوعى النزيه .

أمّا ما ذكره الأستاذ أنيس، وهو أن عبد القـاهر (يتلمس فـى النظم نواحـى مـن الجمـال، وأمـورا لطيفـة، ولـذا لم يـر فـى كلمـة الجـاحظ المذكورة ذلك النظم الذى ينشده)، فهذا صحيح، لكنه لا يعنى أن عبد

---

(١) راجع (دلائل الإعجاز) (ص: ٣٩٣) .

القاهر قد هاجم بهذا الكلام (فن الجاحظ، وأدبه)، وإنما يعنى أنه جعل هذه العبارات النثرية المذكورة فى أدنى مستويات النظم، وأقلها صنعة، لأن هذه العبارات وردت على هيئة أو صورة نظمية واحدة، وقد عطف بعضها على بعض بالواو، ومثل هـذه العبارات لا يحتاج فـى وضعها إلى فكر وروية، كالذى يحتاجه بيت البحـترى فـى المزاوجـة، أو بيـت كثير عزة فى هيامه بمحبوبته، أو بيت بشارة فى تصوير مثار النقع، والأسياف تلمع من خلاله، وغير ذلك مما مر بنا بعضه فى الطبقتين الأولى والثانية مـن طبقـات النظـم، فالمعيـار الـذى احتكـم إليـه الشـيخ فـى تصنيـف الشـواهد النظميـة إلى طبقـات هـو مـدى الحاجـة إلى الفكـر والرويـة والصنعة، وهـو مـراده بقولـه: (ولا فضيلـة حتـى تـرى فـى الأمـر مصنعـا، وحتى تجد إلى التخير سبيلا)[1]، وحظ عبارة الجاحظ من الصنعة قليل، وإن كـان فيها فضـل مـن وجـه آخـر، وهـو (معناهـا، ومتـون ألفاظـها)، ومشابهتها فى ضم كلماتها بعضها إلى بعض بـاللآلئ يخرطها النـاظم فـى سلك، ليمنعها من التفرق .

ولم يمنع تشخيص عبـد القـاهر لعبـارة الجـاحظ، مـن جهـة النظـم أن يثنى عليها فى سياق آخر، بعدم تحـرى السـجع، ولـزوم سـجية الطبـع، إذ أن الجاحظ أنشأها فى خطبة كتابه (الحيوان)، وهو موضـع مـن شـأنه أن يعنى فيه بالسجع والموازنة، فترك الجاحظ لهذا الجانب اللفظى لحساب المعنى وصحته مستحسن عند ذوى التحصيل .

---

(١) (دلائل الإعجاز) (ص: ٩٨) .

الملاحظة الرابعة :

أن عبد القاهر - كغيره من اللغويين القدماء - لم يفرق بين نظم النثر، ونظم الشعر، بينما يذهب الأستاذ أنيس مذهب أساتذته، من اللغويين في أوربا، وهو أن للشعر نظاما خاصا في ترتيب كلماته، يختلف عن نظام النثر، ويبرر ذلك بأن الشاعر يحرص على موسيقى شعره، مما يضطره أحيانا إلى أن يلجأ لنظام فيه، غير مألوف في النثر، ولا سيما عندما يمتلئ قلبه بالعواطف والمشاعر التي تدفعه إلى التحرر من قيود الوزن الشعري، فلا يعبأ بترتيب الكلمات المعهود في النثر، ويودع شعره معاني زاخرة بالظلال والتصوير، حتى أنك إذا نثرت بيتا واحدا احتجت إلى كلام كثير [١] .

ويدعم الأستاذ أنيس موقفه، بذكر ثلاثة أبيات للمتنبي، أثارت في ذهن الدكتور طه حسين كلاما كثيرا، جاء في أكثر من صفحة، ويصل من هذا إلى أن (الإيجاز) من معالم الشعر، لكن (الإيجاز) الذي يقصده ليس الإيجاز الاصطلاحي المعروف عند البلاغيين، ولا يلبث أن يوصينا - لمعرفة الإيجاز والإطناب في شعر شاعر من شعراء - أن (نعيد التعبير بألفاظنا عن معانيه، وعن ظلال هذه المعاني، وعما توحي به ألفاظه إلى أذهاننا من صور وأفكار، فبهذا وحده يمكن أن ندرك الإيجاز الحق، والإطناب الحق)[٢] .

---

(١) راجع (من أسرار اللغة) (ص: ٣٠٤-٣٣٦) .

(٢) راجع (من أسرار اللغة) (ص: ٣٣٧-٣٣٩) .

والواقع أن ترتيب الكلمات في الشعر لا يختلف عن ترتيبها في النثر، فالنظم هنا هو النظم هناك، ولا يستطيع باحث - مهما اجتهد في ذلك - أن يجد فواصل محددة، تفصل بين النظم في هذا عن النظم في ذاك، وقد شعر إبراهيم أنيس بهذا بعد حماسه في الكلام السابق، فقال: (ولسنا نزعم أن للشعر نظاما خاصا في ترتيب كلماته، لا يمت لنظام النثر بأي صلة)، ثم يقول: إن (ما نشهده في نظام الشعر لا يصل عادة إلى أن يصبح ذاكيان مستقل عن نظام النثر في كل التعابير والتراكيب، بل يشترك مع نظام النثر حينا، ويفر منه حينا آخر، دون أن يعمد الشاعر إلى مثل هذا الخروج عمدا، أو يلتمسه قصيدا، بل يرد في نظمه وهو لا يكاد يشعر بوروده، حتى يفد إليه أحد اللغويين فيدله عليه، ويلفت نظره إليه ..)[٢].

ومما يرى فيه الأستاذ أنيس أن الشاعر قد فر فيه من نظام النثر المعهود، إلى نظم شعري حر طليق، قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا ∴ أبو أمه حي أبوه يقاربه

يقول: (ألست ترى معي أن المعاني قد تزاحمت في ذهن الفرزدق، فتزاحمت الألفاظ، واختلط بعضها ببعض، بينما الشاعر في شغل عنها، وقد تملكته العاطفة، وسيطرت عليه الفكرة، فلم يعبأ بنظام الكلمات على النحو المألوف للناس؟ لسنا نبالغ إذن حين نقرر أن الشاعر يفر من كل ما هو مألوف معهود، محلقا في سماء الخيال، لا يكاد يشعر بالألفاظ كما يشعر بالمعاني، فإذا سيطرت عليه الصور سيطرة تامة، فقد يسوق لنا

---

(٢) المرجع (ص: ٣٣٩-٣٤٠).

مثل هذا النظام الغريب الذى نراه فى بيت الفرزدق)[١] .

وهذا الذى ادعاه أقرب إلى السفسطة، منه إلى المنطق الصحيح، فلا المعانى تزاحمت فى ذهن الشاعر، ولا الصور الشعرية تملكته، وإلا فإن البيت يتضمن معنى ساذجا لا عمق فيه ولا تصوير ولا صنعة، وأى صنعة فى أن يمدح الشاعر خال الخليفة بأنه لا مثيل له إلا ابن أخته (الخليفة نفسه) ؟! إن هذا المعنى تتداوله العامة، ثم إنه لو كان كل من تملكته الفكرة وسيطرت عليه، اختل كلامه، لكان مقياس الجودة فى الكلام هو اختلاله، ولما كان هناك موجب للإعجاب بالنماذج الرائعة من الشعر والنثر، التى نراها تعمل عمل السحر فى النفوس، وتحيل البخيل إلى كريم، والقاسى إلى رحيم[٢] ، ونظن أن الأستاذ أنيس قد استعان فيما برر به الخلل النظمى فى بيت الفرزدق، بكلام مثله، كان قد ذكره ابن جنى فى ذلك، فقال: (فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها، وانخراق الأصول بها، فاعلم أن ذلك على ما جشمه منه وإن دل من وجه على جوره وتعسفه، فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمطه[٣] وليس بقاطع دليل على ضعف لغته، ولا قصوره عن الوجه الناطق بفصاحته)[٣] .

ونحن نرفض هذا الاعتذار، وسابقه، لأن الشعر وسيلة بيانية بين الشاعر وغيره من الناس، بها ينقل مشاعره، وعن طريقها يصور أفكاره، فإذا جاء

---

(١) المرجع (ص: ٣٤٧) .

(٢) راجع (سمات البلاغة عند الشيخ عبد القاهر) (١ : ٤٤-٤٥) .

(٣) تخمط الفحل: هدر وثار، وتمخط: تكبر، (اللسان): خمط، و(الخصائص) (٢ : ٣٩٢) .

هذا التعبير الشعرى مختلا، فاسد النظم، معقد النسج، فكيف يصل معناه إلى الناس؟ وكيف يشاركونه أحاسيسه، ويطربون لطربه، ويستاءون لحزنه؟

لقد نظر الأستاذ أنيس فى كلام البلاغيين القدماء، ليعثر على شئ يعضد به موقفه الذى قدمناه، فى الفصل بين النظم فى الشعر، والنظم فى النثر، وكان ما قاله فى الاعتذار عن الخلل النظمى فى بيت الفرزدق أحد هذه الدعائم، وقد رأيت ما فيه .

لكنه لم يلبث أن عثر على شئ آخر، عند السبكى، حول ما سماه المتأخرون (ضعف التأليف)، وهو أحد الوجوه المخلة بفصاحة الكلام، ويتحقق بمجئ الكلام مخالفا للقانون النحوى المشهور، عند جمهور النحاة، كالإضمار قبل الذكر لفظا، فى قول الشاعر :

جزى بنوه أبا لغيلان عن كبر ∴ وحسن فعل كما يجزى سنمار

ولقد علق السبكى على هذا البيت بكلام هلل له الأستاذ أنيس وكبر، باعتباره أول صوت عند القدماء، ينادى بشبه ما يدعو هو إليه، من وجوب الفصل بين نظم الشعر ونظم النثر، قال السبكى: (ثم ذلك الضعف ربما كان فى النثر دون الشعر، لأن ضرورة الشعر كما تجيز ما ليس بجائز، فقد تقوى ما هو ضعيف، فعلى البيانى أن يعتبر ذلك، فربما كان الشئ فصيحا فى الشعر، غير فصيح فى النثر)[1].

ولا يخفى عليك أن صلة كلام السبكى هذا بدعوة الأستاذ أنيس،

---

(١) (عروس الأفراح) (١ : ٩٨-٩٩) ، وانظر (من اسرار اللغة) (ص: ٣٤٦-٣٤٧) .

إلى الفصل بين النظم في الشعر، والنظم في النثر، صلة غير مباشرة، فكلام السبكي يتضمن دعوة إلى الفصل بين ضعف التأليف في الشعر، وضعفه في النثر، وهذا في ذاته يختلف عن الدعوة إلى الفصل بين النظم في الشعر، والنظم في النثر، فالذى جعل إبراهيم أنيس يسوق هذا النص هنا، مع اختلاف موضوعه عما هو فيه، أنه وجد فيه دعوة للفصل بين الشعر والنثر، بوجه عام، ولهذا قال: (هذا هو أول صوت، بين علمائنا الأقدمين، ينادى بشبه ما ندعو إليه هنا، من وجوب الفصل بين النثر والشعر، في استنباط أحكام اللغة)[1] .

ومهما احتال الأستاذ أنيس لدعوته، والتمس في كتب التراث ما يدعمها به، دعما مباشرا أو غير مباشر، فستظل هذه الدعوة في أدبنا العربى ذنيمة هزيلة لا يلتفت إليها إلا الذين يهللون لكل ما هو غربى المنبت، أوربى النزعة، وهؤلاء لا يعبأ بهم، ولا يسمع لكلامهم .

وبعد: فلعله قد اتضح لنا مما ذكرناه في هذا البحث (موقف إبراهيم أنيس من النظم عند عبد القاهر)، ويتلخص ذلك في النقاط الآتية :

١- أن هذا الرجل لم يشأ أن ينظر إلى (النظم) عند الشيخ نظرة موضوعية منصفة، تجلى جهوده المبهرة، وبراعته اللغوية والنقدية المبكرة، التى استعان بها أساتذته، من اللغويين الأوربيين المحدثين، في وضع نظرياتهم اللغوية الحديثة بل سلك طريقا آخر، يتسم بغير قليل

---

(١) (من أسرار اللغة) (ص: ٣٤٧) .

من التعصب الأعمى، والبعد عن الموضوعية، ولهذا وجدناه يعترض على (النظم) عند الشيخ بمعايير (النظم اللغوى) عنده هو، ويفسر كلام الشيخ على غير وجهه، وينظر في الجمل الاسمية والفعليةن وموضع المتعلقات، فيفرق بين أساليب نظمية، لا فرق بينها عند الشيخ، إلا كون المسند في بعضها ماض، وفى بعضها مضارع، ثم لا يلبث أن يعكس موقفه، فيسوى بين أساليب نظمية، بينها عند الشيخ بون واسع، ويدعى أن المعنى فيها جميعا واحد، وأن الفرق بينها فرق أسلوب، بمعنى أنه يخضع لتلك النواحى الفنية، التى تتأثر بمزاج الكاتب، وموسيقى الكلام، وعلاقة الجملة بما يليها وما يسبقها .

٢- وقد وجدناه يكرر اعتراضاته على عبد القاهر، وينسب لنفسه فى كل موقف من هذه المواقف رأيا، فإذا بحثت فى كتب القدماء وجدت هذا الرأى بعينه، وكأن هذا الرجل يتحرى تصيد هذه الآراء المرجوحة للاستئناس بها فى مواضع اعتراضه على الشيخ، وهذا يدلك على أنه كان يفكر فى الأمر مليا، ويدبر الأمر، بقصد التشويش والإثارة، وزعزعة الثقة فى المقررات الثابتة، التى أرسى الشيخ قواعدها فى الأذهان، ويمكنك أن تراجع موقفه مَن تقديم المفعول به على الفعل، فى نحو (إياك نعبد)، وذهابه إلى أن ذلك لمراعاة الفواصل، وموقفه من التجدد فى بيت طريف العنبرى، وذهابه إلى أن ذلك قد أفاده لفظ (كلما)، وليس الفعل المضارع (يتوسم)، وموقفه من تقديم المسند إليه المسبوق باستفهام على خبره الفعلى الماضوى المثبت، فى (آلله أذن لكم)،

وإنكاره استثناء الشيخ لهذه الآية من نظائرها، وموقفه من السر في الخلل النظمي في بيت الفرزدق، وموقفه من الفصل بين النظم في الشعر، والنظم في النثر، فستجده في كل هذه المواقف يدعي لنفسه آراء مذكورة في كتب القدماء، وأنه جد في العثور عليها ليلقي بها في وجه الشيخ، مما يدل على أنه (كان يحرص دائما على التشويش على مقالة القدماء، ويوهم النفوس الصغيرة بأن له في البلاغة والنظم فقها جديدا، والواقع خلاف ذلك)[1] .

٣- وقد وجدناه في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي (الماضوي المثبت)، يزعم أن القصر المستفاد من هذا النظم ليس بحاجة إلى قرينة تدل عليه من المقام أو السياق، وهو ما لا يستقيم مع ما استقر عند البلاغيين، من أن طرق القصر، وأساليب التأكيد، ترتبط في دلالتها بالمقام، ولا تستغني عن السياق .

٤- وقد وجدناه يتحمس للأغراض البلاغية اللفظية الهشة، ولو على حساب الأغراض البلاغية النابعة من المعنى، والمرتبطة بالمقام والسياق، ففضلا عن تعميم القول بمراعاة الوزن أو القافية، ومراعاة السجع أو الفاصلة، وترديد ذلك في مواطن كثيرة، فإنا نجده ينكر على عبد القاهر ما قرره، في حسن البديع اللفظي، وأنه يرجع إلى المعنى، ويذهب إلى أن الحسن في ذلك يرجع إلى الجرس الصوتي، والموسيقي، بل ويتهم عبد القاهر فيما صنع هنا بالمبالغة والمغالاة،

---

(١) راجع (دلالات التراكيب) (ص: ١٦٢-١٦٣) .

وكثيرا ما تجده يصف الشيخ بأوصاف من هذا القبيل، كالتكلف، والشطط، وإجهاد النفس، والإكثار من التمثيل بأمثلة مصنوعة، مع أن كتابه مشحون بأمثلة مؤلفة، وأساليب عامية.

٥- وقد وجدناه لا يعبأ عند الاستشهاد بآية قرآنية، أن يسبقها بعبارة: (قال الله تعالى) مثلا، ولا يذكر اسم السورة، ولا رقم الآية فيها، وهذا كله يجعلنا نوصي بالحذر الشديد، لمن يدرس هذا الرجل .

أهم مصادر البحث ومراجعه

١ - الإتقان في علوم القرآن - للسيوطي، طبع الحلبي (الرابعة) ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

٢ - أساس البلاغة - للزمخشري ، ط (الهيئة) (الثالثة) ١٩٨٥م .

٣ - أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني، ط(دار المدني) ١٤١٢هـ-١٩٩١م .

٤ - إعجاز القرآن - للباقلاني، ط (دار المعارف) (الرابعة) ١٩٧٧م .

٥ - إعجاز القرآن - للرافعي، (دار الكتاب العربي) (التاسعة) ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م .

٦- الإعجاز القرآني، وجوهه وأسراره ، د/ عبد الغني بركة، ط (وهبة) ، (الأولى) ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٧- البرهان في علوم القرآن للزركشي، ط (مكتبة التراث) بالقاهرة، تحقيق محمد أبي الفضل .

٨ - بيان إعجاز القرآن للخطابي، ضمن (ثلاث رسائل) ط دار المعارف .

٩- تحرير التحبير لابن أبي الأصبع ، ط (المجلس الأعلى) ١٩٨٣م، تحقيق د/حفني شرف .

١٠ - تفسير البيضاوي - دار إحياء التراث - بيروت .

١١- تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، طبع الدار التونسية .

١٢ - حاشية الشهاب على البيضاوي - دار إحياء التراث - بيروت .

١٣ - حجج النبوة، للجاحظ، ضمن (رسائل الجاحظ)، نشر (الخانجي)، تحقيق عبد السلام هارون .

١٤ - الحيوان للجاحظ، ط (دار صعب) بيروت (الثانية) ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م .

١٥ - الخصائص، لابن جني، دار الهدى بيروت، تحقيق محمد علي النجار .

١٦- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق (محمود شاكر) (الخانجي) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٧ - دلالات التراكيب، للدكتور أبو موسى، نشر مكتبة وهبة ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .

١٨- سمات البلاغة عند ا لشيخ عبد القاهر، د/محمد جلال الذهبي (الأمانة) بمصر.

١٩ - الطراز للعلوي - دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٠- عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني، د/ البدراوي زهران، ط (دار المعارف) (الثانية) ١٩٨١م .

٢١ - عروس الأفراح، للسبكي، ضمن (شروح التلخيص) ط (الحلبي) ١٩٣٧م .

٢٢- القاموس المحيط، للفيروز آبادي (الطبعة الثانية) ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

٢٣ - قضية اللفظ والمعنى، د/ على العماري، ط (الأولى) ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

٢٤ - الكشاف للزمخشري - دار الفكر - ط الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

٢٥ - لسان العرب، لابن منظور، ط (دار المعارف) بمصر .

٢٦- المثل السائر، لابن الأثير (ضياء الدين) ط (نهضة مصر) ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م .

٢٧ - معاهد التنصيص، لعبد الرحيم العباسي (السعادة) ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م.

٢٨ - المغني في أبواب التوحيد والعدل، جـ١٦ (إعجاز القرآن)، للقاضي عبد الجبار، ط (مطبعة دار الكتب) ١٩٦٠م ، تحقيق (أمين الخولي) .

٢٩- مناهج تجديد، للأستاذ أمين الخولي، دار المعرفة (الأولى) سبتمبر ١٩٦١م .

٣٠ - من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس ط (الأنجلو) (السابعة) ١٩٩٤م .

٣١ - من حديث الشعر والنثر، د/ طه حسين (دار المعارف) ط (التاسعة) .

٣٢- موقف الدكتور أنيس من التقديم عند عبد القاهر، بحث بمجلة كلية اللغة بأسيوط لكاتب هذا البحث .

٣٣ – موسيقى الشعر للدكتور ابراهيم أنيس، ط (الأنجلو) ١٩٩٧م (السابعة) .

٣٤ – نظرية العلاقات أو النظم د/ محمد نايل، ط (دار المنار) ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

٣٥ – نظرية المعنى فى النقد العربى ، د/ مصطفى ناصف – دار الأندلس .

٣٦– النقد المنهجى – د/ محمد مندور ، ط (نهضة مصر) ١٩٧٢م .

٣٧ – النكت فى إعجاز القرآن، للرمانى – ضمن ثلاث رسائل – ط (دار المعارف) .

أ.د / عبد المنعم سيد عبد السلام الأشقر

أستاذ البلاغة والنقد بالكلية

الاشتقاق والأصوات فى اللغة العربية
وأثر كل منهما فى الآخر

إعداد

د/ محمد عبد اللطيف على

أستاذ أصول اللغة المساعد

فى كلية اللغة العربية بأسيوط

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين . أما بعد ،،

فمن المعروف أن الاشتقاق هو عبارة عن توليد وتخليق لعدة صيغ لغوية من جذر لغوى واحد، وتلعب الأصوات اللغوية دوراً مهماً فى هذا التوليد، إذ على أكتافها يتم إيجاد هذا التعدد فى الصيغ اللغوية عن طريق الزيادة، أو الحذف، أو الاستبدال، ولذلك تكونت "كلمة جديدة من جذر يتضمن فكرة معينة باضافة عنصر جديد إلى الجذر، وهذه الكلمة الجديدة المشتقة تتضمن المعنى الأول القائم فى الجذر مع زيادة مفيدة"(١) .

وعلى هذا التصور فقد عرف الاشتقاق بأنه "أخذ لفظ من آخر مع تناسب بينهما فى المعنى، وتغيير فى اللفظ يضيف زيادة على المعنى الأصلى، وهذه الزيادة هى سبب الاشتقاق (٢) .

ويتضح من هذا أن الاشتقاق "يجعل اللغة جسماً حياً تتوالد أجزاؤه ويربطها بأواصر قوية، ولذا لم ينقطع سيل الألفاظ الجديدة فى العربية من مواد قديمة"(٣) ، وقد أشار العلماء الذين آمنوا بأن اللغة نشأت عن طريق المحاكاة على أن اللغة قد ارتقت من محاكاة الطبيعة، والانفعالات النفسية إلى الثروة اللفظية التى عليها اللغة الآن عن طريق

---

(١) فى اللغة العربية وبعض مشكلاتها د/ أنيس مزيحة ص١١١ طبع سنة ١٩٨٠م .

(٢) فى أصول النحو تأليف سعيد الأفغانى ص١٣٠ طبع المكتب الإسلامى – بيروت – سنة ١٩٨٧م .

(٣) عوامل تنمية اللغة العربية د/توفيق شاهين ص٩٦ طبع مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٩٨٠م .

الاشتقاق"[١]، "بل كل الاشتقاق عندهم كالعصارة المعدية تخالط كل غذاء فتهضمه وتمثله للجسم متحولاً إلى جنس دمه، فقد صبت هذه العصارة على الأعلام العربية فقالوا تنزر، وتقحطن بمعنى انتسب إلى نزار وقحطان، بل صبوها حتى على الأسماء الأعجمية وما زالت بها حتى لينتها للعربية، وطوعتها فاشتقت منها"[٢] .

ودور الاشتقاق كبير في خدمة العربية لكي تستوعب الحضارة الحديثة، وما يستجد من معلومات جديدة "فالاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة أن تؤدى معاني الحضارة الحديثة على اختلافها، والاشتقاق في العربية يقوم بدور لا يستهان به في تنويع المعنى الأصلي وتلوينه، إذ يكسبه خواص مختلفة بين طبع وتطبع، ومبالغة، وتعدية، ومطاوعة، ومشاركة، ومبادلة، مما لا يتيسر التعبير عنه في اللغات الآرية مثلاً إلا بألفاظ خاصة ذات معان مستقلة"[٣] .

ولأهمية الاشتقاق في اللغة فقد أفرده الأقدمون والمحدثون بمؤلفات خاصة، أو أنهم أفردوا له أبوابا خاصة في مؤلفاتهم "وقلما نجد أحدا من أعلام العربية ممن يذكر في فهرست ابن النديم، أو غيره من كتب الطبقات إلا عالج هذا الموضوع، إن لم يكن في كتاب مستقل ففي ضمن بحث آخر، وعاد إلى طرقه في هذا العصر المشتغلون باللغة في

---

(١) دراسات في فقه العربية د/صبحي الصالح ص١٤٨ ط دار العلم للملايين سنة ١٩٨١م ط٩.

(٢) في أصول النحو ص١٤٧ .

(٣) فلسفة اللغة العربية د/ عثمان أمين ص٤٦ مطبوعات المكتبة الثقافية عدد ١٤٤ سنة ١٩٦٥م .

مناسبات شتى فى الصحف والمجلات العلمية"[1] وفى هذا البحث سنتعرف على الدور الذى تلعبه الأصوات اللغوية فى الاشتقاق وكذلك أثر الاشتقاق فى المقاطع الصوتية والنبر.

أولاً: الدور الذى تؤديه الأصوات اللغوية فى الاشتقاق :

وكما أشرنا من قبل بأن عملية الاشتقاق هى توليد لعدة صيغ من جذر لغوى واحد، وهذا ينطبق على معظم اللغات، وهو عمل يقوم بدور هام فى التثبت من بنية اللغة الأساسية، وكذلك تحديد العناصر اللغوية الطارئة على الكلمة "وتختلف اللغات فيما بينها فى طريقة صوغ الكلمات من هذا الجذر، ولكن معظمها تشترك فى شئ واحد، وهو ثبات هذا الجذر فى معظم الكلمات المشتقة، بحيث يمكن الاعتماد عليه فى تحديد العناصر اللغوية الطارئة على الكلمة، وبالتالى التثبت من بنيتها الأساسية"[2].

وثبات هذا الجذر يعطى حرية الحركة للأصوات فى التغيير، بأن تكون الزيادة المؤدية لتغير المعنى فى الصدر أو الحشو أو أن تكون فى العجز، وهذا الأمر يظهر واضحا فى اللغات الهندية والأوربية، ويزاد عليه فى اللغة العربية وبعض أخواتها الساميات أن يبقى الجذر دون زيادة ولكن يتم التغيير بإبدال موقع أحد الأصوات الصامتة أو الصائتة من موقعه إلى موقع

---

(١) فى أصول النحو ص١٥٣.

(٢) الكلمة دراسة لغوية معجمية د/ حلمى خليل ص٦٧ طبع دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٩٨م.

آخر، أو بصوت آخر قريب في المخرج أو الصفة، أو هما معا "ففي بعض اللغات يقوم الاشتقاق على نظام السوابق واللواحق، والدواخل كما في معظم لغات العائلة الهندية الأوربية . أما في اللغات السامية، واللغة العربية بوجه خاص، فإن الاشتقاق في هذه اللغات يقوم على تغير حركات الجذر الأصلي وتبديلها. ويتكون الجذر فيها في الأغلب الأعم من ثلاثة حروف صامتة، غير أن هذا الأصل الثلاثي غير ثابت، بل هو عرضة للتغير، ويتم تغييره بتغيير حركات حروفه، فإذا تغيرت تكونت كلمات ذات دلالات مختلفة، مع تغير هذه الحركات، فكل تغير في حركات الأصل يعقبه تغير في الدلالة كذلك، فجذر مثل (ك + ت + ب) مكون من حروف ثلاثة صامتة، من الممكن أن نشتق منها فعلا ماضيا مثل "كتب" عن طريق تغيير حركات هذا الجذر، وهو فعل يختلف الدلالة والصيغة عن كلمة "كتب" التي هي مبني للمجهول، وهما معا يختلفان عن كلمة "كتاب" وهي اسم، وقد حدث هذا الاختلاف من تغير الحركات" (١).

وهذا ما أشار إليه المحدثون في الأسباب التي تؤدي إلى تكوين الوحدات الصرفية "يتكون المورفيم عن طريق التغيرات الاستبدالية، فلا يضاف عنصر صوتي جديد ليعطي قيمة صرفية، وإنما يكتفي بتغيير نوع الحركة للدلالة على القيم الصرفية مثال ذلك في اللغة العربية صورة المفرد في مقابل صورة جمع التكسير مثل: "رجل – رجال: علم – علوم" ، وأيضا صورة الفعل المبني للمعلوم في مقابل صورة الفعل

---

(١) الكلمة د/ حلمي خليل ص٦٧-٦٨ .

المبنى للمجهول مثل: "قَرأ – قُرِئَ: ضَرَبَ – ضُرِبَ" ، وكذلك فى التفريق بين اسمى الفاعل والمفعول من الفعل غير الثلاثى، مثل : مُكْرِم – مُكْرَم: مُحْتَرِم – مُحْتَرَم" ، فهذه الصيغ المختلفة لا تختلف فيما بينها إلا فى نوع الحركة، وهذا الاختلاف يؤدى دور المورفيم، فهو وحده يشير إلى قيمة الكلمة الصرفية"(١) .

والمتأمل لصيغ الاشتقاق من جذر لغوى واحد يجد أن الصوائت اللغوية والتى تحتوى على ما يسمى بالحركات وأصوات اللين، أو الصوائت الطويلة، والصوائت القصيرة وهى: ألف المد، وياء المد، وواو المد، والفتحة، والكسرة والضمة، عليها الدور الأكبر فى تعدد الصيغ وتنوعها واختلاف دلالاتها "وإذا كانت الحروف الصحيحة تنفرد بأنها أصول فى الكلمات العربية، وهى من ثم أساس للتفريق بين مادة، ومادة أخرى من المعجم، فإن حروف العلة تعتبر مناطاً لتقليب الاشتقاق المختلفة فى حدود المادة الواحدة، فالفرق بين "قتل" و "قُتل" و "قتيل" و "قتول" وهلم جرا من مشتقات "قتل" فرق يأتى عن تنوع حروف العلة لا الحروف الصحيحة، ومن هنا تتحمل حروف العلة بالتعاون مع حروف الزيادة، وموقعية الكمية التشديد والمد أخطر الوظائف فى تركيب الصيغ الاشتقاقية العربية"(٢) .

---

(١) أنظر علم اللغة بين التراث والمعاصرة د/ عاطف مدكور ص١٦٧-١٦٩ طبع دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة سنة ١٩٨٧م .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان ص٧٢ طبع الهيئة العامة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٩م .

"إن الوظائف الصرفية لأصوات المد فى العربية تتم وفق قانون صوتي يطلق عليه قانون "المعايرة" ، أى أن التحول من معنى صرفى لأصل ما إلى معنى صرفى آخر إنما يتم عن طريق تغيير أصوات المد التى تتداخل مع عناصر الأصل"[1] .

ولم يتوقف تغير الصيغ في الاشتقاق على الصوائت بنوعيها الطويلة والقصيرة، بل إن الصوامت تتدخل فى تغير الصيغة بالزيادة أو النقص أو الإبدال "ومن الممكن اشتقاق كلمات جديدة في بعض اللغات السامية، ومنها العربية ذات صيغ ومعان جديدة بإضافة زوائد تتألف من حرف أو أكثر، فنشتق مثلاً من وزن "فعل" كلمات على أوزان "أفعل" و "نفعل" و "تفعل" و "تفاعل" و "افتعل" و "انفعل" و "استفعل" .. الخ . كما يصلح هذا الوزن بدوره لأن نشتق منه مختلف الصيغ الفعلية مثل: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، واسماء الزمان والمكان، كما يمكن أن نشتق المصادر، مثل المصدر العادى، والمصدر الميمى، والمصدر الصناعى، وهذه الزوائد تتألف من حرف أو أكثر تضاف إلى الجذر الثابت، فتتغير الدلالة، والصيغة، ومع ذلك فالكلمات المشتقة، مهما تغيرت صيغتها ودلالاتها، نتيجة لتغير حركات الجذر، أو إضافة زوائد إليه، فإنها في جميع الأحوال لا تتخلى عن الحروف الثلاثة الصامتة، بل تبقى دائماً فى صلب كل كلمة، مهما كانت صيغتها، أو دلالتها، وعلى نفس ترتيب الجذر الأصلى" [2] .

---

(١) الكلمة د/ حلمي خليل ص٦٨ .

(٢) فى الأصوات اللغوية دراسة فى أصوات المد العربية د/ غالب فاضل المطلبى نشر دائرة الشؤون الثقافية والنشر بالعراق سنة ١٩٨٤ .

وقد أورد السيوطي في مزهره التغيرات التي تتم في الاشتقاق وجمعها في خمسة عشر تغيراً جميعها يدور حول الحركة والحرف بالتغير من خلال أحدهما، أو بهما معاً .

"رد السيوطي تغييرات الاشتقاق إلى خمسة عشر" .

١- زيادة حركة: علم وعلم .

٢- زيادة مادة: طالب وطلب .

٣- زيادتهما: ضارب وضرب .

٤- نقصان حركة: الفرس والفرس .

٥- نقصان مادة: ثبت وثبات .

٦- نقصانهما: نزا ونزوان .

٧- نقصان حركة وزيادة مادة كغضبى وغضب .

٨- نقصان مادة وزيادة حركة كـ حرم وحرمان .

٩- زيادتهما مع نقصانهما كـ استنوق والناقة .

١٠- تغاير الحركتين كـ بطر بطرا .

١١- نقصان حركة وزيادة حركة وحرف كـ اضرب من الضرب .

١٢- نقصان مادة وزيادة أخرى كـ راضع من الرضاعة .

١٣- نقصان مادة وزيادة أخرى وحركة فقط كـ خاف من الخوف .

١٤- نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط ل "عد" من "الوعد" فيه نقصان الواو وحركتها ، وزيادة كسر العين .

١٥- نقصان حركة وحرف وزيادة حرف كـ "افخر" من "الفخار" نقصت ألف وفتحة وزادت ألف" . [١]

وعن ذلك يقول السراج بعد أن وضح فضل الاشتقاق على اللغة، أن الحركة والحرف هما اللذان يفرقان بين الأبنية "ولو جمدت المصادر، وارتفع الاشتقاق في كل الكلام، لم يوجد في الكلام صفة لموصوف، ولا فعل لفاعل، وفضل لغة العرب على سائر اللغات بهذه التصاريف وكثرتها، وإن بالحركة من الحركات التي هي الضمة، والفتحة، والكسرة، وبالحرف نفرق بين معان، لولا هذه الأبنية لاحتيج إلى كلام كثير [٢] .

ويشبه الدكتور إبراهيم أنيس الصوت في الاشتقاق العام بأنه الأساس الذى تبني به مواد اللغة وصيغها، كما أن مواد البناء هي أساس القصور والعمارات حيث يقول "وليس مثل الأصوات في هذا النوع من الاشتقاق إلا مثل مواد البناء التي منها قد تؤسس العمارة، والقصر، والسجن، أو كتلك المعادن التي تصنع منها الطائرات والسيارات والقنابل والساعات .. إلخ" [٣] .

---

(١) في أصول النحو ص١٥٠-١٥١ . وقارن بالمزهر للسيوطى ٣٤٨/١-٣٤٩ .

(٢) الاشتقاق لأبي بكر محمد بن السرى السراج ص٣٩ تحقيق محمد صالح التكريتي مطبعة المعارف بغداد سنة ١٩٧٣م .

(٣) من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس ص٦٣ مطبعة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٨م .

ولا شك أن اللحن أو التصحيف يخلق لفظا بدلالة مختلفة، وهذا اللحن أو التصحيف ما هو إلا اختلاف في نطق الحركة، أو الحرف، ولذلك كانت مهمة المعجمات هي الحفاظ على ألفاظ اللغة بمادتها، واشتقاقها، وطريقة نطقها، وبيان معانيها وقد عرفه العلماء بقولهم "المعجم: عبارة عن كتاب يضم ألفاظ اللغة ومفرداتها، مرتبة على طريقة معينة، ومشروحة شرحا وافيا يزيل إبهامها، ويوضح غموضها ببيان معانيها، واشتقاقها، وطريقة نطقها وذكر شواهد تبين مواضع استعمالها، لإفادة الباحث، وإعانة الدارس على الوصول إلى فهم ما يريده" [1].

وطريقة النطق والضبط تحدد الصيغة بدقة، وتحدد معناها بدون لبس ولذلك ينبه العلماء إلى الضبط في الأطروحات العلمية، والدروس العلمية، والخطب، وغيرها من المجالات الجادة، ومن ذلك تنبيه الدكتور محمود فهمي حجازي على ضبط المصطلحات حتى لا يلتبس معناها فيقول: "وتثبت المصطلحات العربية الواردة بصيغة التصغير أهمية الضبط بالحركات، لئلا يختلط وزن "فُعيل" بضم الفاء بوزن "فعيل" بفتح الفاء، مثل ذلك كلمة "قسيم" قد تكون "قُسَيْم" بالتصغير للدلالة على جزء صغير من المادة، وهي كلمة تختلف بدورها عن كلمة "قَسِيم" على نحو ما نقول الفعل قسيم الاسم وقسيم الحرف عند الحديث على أنواع الكلم إلى اسم وفعل وحرف" [2].

---

(١) دراسات في المعجمات العربية د/ ناجح عبدالحافظ مبروك ص٧ مطبعة الأمانة بالقاهرة سنة ١٩٨٧م.

(٢) الأسس اللغوية لعلم المصطلح د/ محمود فهمي حجازي ص٧١ ط دار غريب بالقاهرة.

"التصحيف عند اللغويين على قسمين: تصحيف نظر، وتصحيف سمع، وإن كان أصله الأول من أخطاء النظر فى الصحف، وأكثر ما يقع تصحيف النظر فى الأحرف المتشابهة رسما إذا لم تعجم، كالباء، والتاء، والثاء، والنون / والجيم، والحاء، والخاء / والدال، والذال/ والراء، والزاى/ والسين، والشين/ والصاد، والضاد/ والطاء، والظاء/ والعين، والغين/ والفاء، والقاف، وأكثر هذه الأحرف متباعدة المخارج، وبعضها متقارب فى الصفات .

أما تصحيف السمع فأكثر ما يقع فى الأحرف المتقاربة صفة أو مخرجا، وهى غالبا لا تتشابه رسما عند إهمال نقطها: كالهمزة والهاء، والباء والميم، والتاء والطاء، والثاء والفاء والسين، والجيم والشين"[١] .

"وأن التحريف هو : "تغير فى شكل الحروف المتشابهة فى الرسم، كالدال والراء والدال واللام .. غير أن الكلمتين مترادفتان عند جمهرة القدماء من علماء العربية، إذ يستعملان عندهم بمعنى التغير فى الحروف أو الحركات"[٢] .

واللحن كما عبر عنه الدكتور حسن ظاظا لا يخرج عن التصحيف أو التحريف بل إنه يعبر به عنهما، لأن التصحيف والتحريف هو انحراف عن النطق الصحيح للصوت، فكلاهما محصور فى الخطأ الصوتى فى الحروف

---

(١) دراسات فى فقه اللغة د/ صبحى الصالح ص٢٣٦، ٢٣٧ .

(٢) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين د/ رمضان عبد التواب ص١٢٤ نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة سنة ١٩٨٦م .

أو الحركات وهذا ما عرف به الملحون" هو لفظ دخل عليه تغير صوتي انحرف به عن الفصيح"[1] .

وإن كان الاشتقاق يؤدى إلى تغير فى بنية الكلمة وفى دلالتها، واللحن يؤدى إلى تغير الدلالة وأحيانا فى بنيتها، فإن التغير فى الاشتقاق يقوم على القياس لما هو صحيح فى اللغة "وليس الاشتقاق بمنأى عن القياس، بل بينهما وشيجة وثيقة، ذلك أن الاشتقاق، هو استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من صيغة، والقياس هو الأساس الذى تبنى عليه هذه العملية، ليصير مقبولا معترفا به لدى علماء "اللغة" [2] .

كما أن الاشتقاق له أصول فى بنية الكلمة لا يمكن المساس بها، وتأتى تغيرات الاشتقاق بعيدا عن الصوامت الأصول وهذه هى الطريقة المتبعة فى اللغة العربية" وذلك أن مادة الكلمة فيها تتكون من مجموعة من الصوامت، ثلاثة، أو أربعة، أو خمسة، ثم يرد على هذه الصوامت مصوتات أو حركات متغيرة، وهى التى تؤدى لنا الصور المختلفة، ذات المعانى المختلفة أيضا" [3] .

---

(١) كلام العرب من قضايا اللغة العربية د/ حسن ظاظا ص٨٠ طبع دار النهضة العربية لبنان سنة ١٩٧٦م .

(٢) فقه اللغة العربية د/ كاصد ياسر الزيدى ص٢٩٦ مكتبة دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل - بغداد سنة ١٩٨٦ .

(٣) فى علم اللغة العام د/ عبد الصبور شاهين ص١١٢ طبع مؤسسة الرسالة ١٩٨٤م ط ٤ .

ولذلك وضع العلماء قواعد وشروطا لتحقيق الاشتقاق، فقد نقل الدكتور إميل بديع يعقوب هذه الشروط عن التهانوى فى كشافه وهى "أعلم أنه لابد فى المشتق، اسما كان أو فعلا، من أمور :

أحدها: أن يكون له أصل، فإن المشتق فرع مأخوذ من لفظ آخر، ولو كان أصلا فى الوضع غير مأخوذ من غيره لم يكن مشتقا .

وثانيها: أن يناسب المشتق الأصل فى الحروف، إذ الأصالة والفرعية باعتبار الأخذ لا تتحققان بدون التناسب بينهما، والمعتبر المناسبة فى جميع الحروف الأصلية، فإن الاستسباق من السبق مثلا، يناسب الاستعجال من العجل، فى حروفه الزائدة والمعنى، وليس مشتقاً منه بل من السبق .

وثالثها: المناسبة فى المعنى سواء لم يتفقا فيه، أو اتفقا فيه، وذلك الاتفاق بأن يكون فى المشتق معنى الأصل إما مع زيادة كالضرب فإنه للحدث المخصوص، والضارب فإنه لذات ما له ذلك الحدث، وإما بدون زيادة سواء كان هناك نقصان كما فى اشتقاق الضرب من ضرب على مذهب الكوفيين، أو لا بل يتحدان فى المعنى كالمقتل مصدر من القتل. والبعض يمنع نقصان أصل المعنى فى المشتق، وهذا هو المذهب الصحيح، وقال البعض لابد فى التناسب من التغاير من وجه، فلا يجعل المقتل مصدرا مشتقا لعدم التغاير بين المعنيين، وتعريف الاشتقاق يمكن حمله على جميع هذه المذاهب" [1] .

---

(١) فقه اللغة العربية وخصائصها د/ إميل بديع يعقوب ص١٨٧ طبع دار العلم للملايين لبنان سنة ١٩٨٢ / وقارن بكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ص٧٦٦-٧٦٧ طبع جمعية البنجال الأسيوية – كلكته .

"ومن ناحية أخرى كان لوجود الاشتقاق في العربية على هذه الصورة، شأن كبير في تحديد أصالة الكلمات فيها، وسبيلا لمعرفة الأصيل من الدخيل، لأن الكلمة الدخيلة في العربية تبقى غالبا في معزل عن سلسلة المشتقات المتجانسة المترابطة، حيث لا نجد لها أصلا، لا من ناحية البنية، ولا من ناحية الدلالة، يمكن أن يلحقه بها إلا ما تعسف اللغويون فيه، فكلمات مثل "الصراط" و "الفردوس" وغيرها من الألفاظ المعربة" (١).

وبما أن الاشتقاق يقوم على قواعد وأركان تعمل على توسعة اللغة، ويجعلها تفي بأغراض متطلبات الحياة واحتياجات المتكلمين باللغة، ولا يدخل في اللغة ما ليس من لحمتها "فقد كان المعجميون يرون عملهم متكاملا مع جمهور علماء النحو والصرف، فكانت المعجمات لا تتعرض لكثير من الألفاظ القياسية، اكتفاء بأقيسة النحو والصرف، مثل النص على اسمي الفاعل والمفعول القياسيين، ومثل النص على جموع السلامة، ومشتقات أسماء الزمان والمكان والمصادر الميمية، ونحو ذلك" (٢).

وهذا ما دفع مجمع اللغة العربية بالقاهرة ألا يقصروا هذه الوسيلة على عصر معين أو زمن معين، طالما أنه يسير على أقيسة ما ورد عن العرب، ويفتح المجال للنحويين وغيرهما في مجالات العلم المختلفة "وفي الوقت نفسه نظر مجمع اللغة العربية في الألفاظ المولدة، وأقر صحة ما جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق، أو نحوها،

---

(١) الكلمة د/ حلمي خليل ص٦٩ .

(٢) الأسس اللغوية لعلم المصطلح د/ محمود فهمي حجازي ص٣٨ .

كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك، أما ما خرج عن أقيسة العرب، فهو غير جائز في فصيح الكلام" .

ومن هذا المنطلق تجاوز مجمع اللغة العربية فكرة الاقتصار على مرحلة من تاريخ اللغة العربية، وأقر حقيقة النمو المعجمي للعربية محددا ضوابط السلامة اللغوية في أن تكون المفردات المستحدثة على أقيسة كلام العرب، وعلى نحو ما أفاد النحويون، والعروضيون، والفقهاء، وعلماء الرياضيات، والأطباء، والمهندسون العرب في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية من الاشتقاق في تنمية المفردات العربية بتكوين المصطلحات، فإنه يمكن الإفادة منه في العصر الحديث أيضاً "[١] .

وهذه الكثرة، وتلك التوسعة التي تشمل كل أنواع العلوم، وتفي بأغراضها، تتم عن طريق التغير في الحروف أو الحركات عن طريق الإبدال، أو الزيادة، أو النقص مع الاحتفاظ بالصوامت الأصول، وهذا التغير يتم عن طريق أمور ثلاثة هي: "الإلصاق، والتضعيف، والتحول الداخلي" إن أهم ما يميز النظام الاشتقاقي في العربية في ما انتهى إليه المعاصرون يرجع إلى :

١- الإلصاق: هو أن يزاد حَرف على الأصل "الجذر" ، وهذا الحرف إما أن يكون تصديرا، أو توسطا، أو إلحاقا، أو بعبارة أخرى إما أن يكون في أول الصيغة، أو وسطها، أو آخرها، فالأفعال العربية التي تصاغ على وزن "أفعل" مثل "أكمل ، وأنجز" تتكون من الجذر "فعل" الثلاثي + حرف

---

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح د/ محمود فهمي حجازي ص٣٨-٣٩ .

البدء وهو الهمزة ..

٢- التضعيف: هو أن يضعف الحرف الثانى من الفعل الثلاثى، لأداء معان وأغراض معينة، تفهم من قرائن السياق والحال ونحوهما فمن المعانى والأغراض التكثير: مثل "غلّق، وقطّع" .. ومن هذه المعانى: النسبة كقولك "جبنته وكذبته، وصدقته إذا نسبته إلى الجبن والكذب والصدق .. ومنها الجعل مثلا فطرته فأفطر ..

٣- التحول الداخلى: ويحدث عند اشتقاق الأوصاف من الفعل الثلاثى، كاسم الفاعل، مثل لعب، لاعب، وكتب وكاتب، مثل صيغة المبالغة: مفعول نحو: ضحوك وصبور وشكور، أو بعبارة أخرى، إن التحول يعنى زيادة فى حشو الوصف .

وقد تجتمع صفتان فى لفظة واحدة، كالتضعيف، والتحول الداخلى كما فى صيغة المبالغة "فعال - مثل: كفار، ومناع" قال تعالى:﴿ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّار أثِيمٍ﴾ (البقرة : ٢٧٦) وقال: ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أثِيمٍ﴾ (القلم : ١٢) فاجتمع فى هاتين اللفظتين تضعيف عين كل منهما، وزيادة حرف المد وهو الألف، ليتأدى بذلك معنى المبالغة فى الصفة"[1] .

وإن كان علماء اللغة المحدثون يرون أن "المورفيمات" المقيدة، وهى الوحدات الصوتية التى تحمل معنى، أى أنها تضيف معنى جديدا للفظ، عن طريق صوت أو أكثر، ولكنها لا تستقل بنفسها للدلالة على معنى، وإنما تضيف هذا المعنى عندما تلصق بغيرها ، "فالمورفيم الذى

---

(١) أنظر فقه اللغة العربية د/ كاصد ياسر الزيدى ص٣٠٨-٣١١ .

يدل على أن الفعل "يشرب" مسند إلى المفرد الغائب هو المقطع "ب" الذى يوضع فى رأس الكلمة، والمورفيم الذى يرشدنا إلى أن الفعل "شربتما" مسند إلى المخاطب المثنى هما المقطعان "تما" اللذان ثبتا فى ذيل الفعل الماضى، وهذه المورفيمات ليس لها وجود مستقل، بل لابد أن تكون متصلة بمورفيمات أخرى، ولذلك يطلق عليها اسم "المورفيم المقيد أو المتصل" [٢] .

يرون أن هذه التغيرات تتم عن طريق الإلصاق فى الصدر أو الحشو أو العجز دون تقسيمها إلى إلصاق، وتضعيف، وتحول داخلى، رغم أنها تحتويها، وقد أشاروا إلى ذلك بقولهم "ويمثل هذا النوع فى اللغة العربية اللواصق وهى ثلاثة أنواع :-

١- السوابق: وهى المورفيمات التى تسبق الكلمة مثل حروف المضارعة، وهمزة التعدية، وهمزة السلب والإزالة .

٢- الأحشاء: وهى المروفيمات التى تحشى بها الكلمة: مثل تضعيف عين الفعل والألف فى صيغة "فاعل" التى تدل على المشاركة، وفى الأسماء ألف اسم الفاعل، وياء التصغير، والياء فى صيغة "فعيل" والواو "فعول" والتضعيف والألف فى صيغة "فعال" وغير ذلك .

٣- اللواحق: وهى تلك التى تلحق بآخر الكلمة مثل :

التنوين الذى هو علم التنكير، والألف والنون، أو الياء والنون للدلالة على التثنية، والواو والنون، أو الياء والنون للدلالة على جمع

---

(٢) علم اللغة بين التراث والمعاصرة د/ عاطف مدكور ص١٧١ .

المذكر السالم، والتاء المربوطة للدلالة على معنى التأنيث، والألف والتاء للدلالة على الجمع المؤنث السالم، الياء المشددة للدلالة على النسب، والنون الخفيفة أو الثقيلة الدالة على التوكيد، وغير ذلك. [١]

وهذا التنوع في الصيغ اللغوية، والكثرة في ثروة اللغة، تتم عن طريق ثلاثة أنواع من الاشتقاق وهي الاشتقاق العام أو الأصغر، أو الصرفي، والاشتقاق الكبير والاشتقاق الأكبر، وأضاف البعض رابعا وهو الاشتقاق الكبار "النحت" وهذه الوسيلة في خلق الألفاظ، وتجديد الدلالات ونموها نجدها في أنواع من الاشتقاق ذكرها القدماء والمحدثون من علماء العربية، وهي الاشتقاق الأصغر، أو الاشتقاق العام وهو أكثر أنواع الاشتقاق دورانا في اللغة العربية، ويحتج به لدى أكثر علماء اللغة القدماء، ثم الاشتقاق الكبير والأكبر"[٢]. وقد أضاف الأستاذ عبد الله أمين النوع الرابع: الاشتقاق الكبار: "النحت" [٣] .

"فإذا كان الاشتقاق هو الآلة، والجذر هو المادة الخام التي تشكل منها هذه الآلة الكلمات، فإن الصيغ الأوزان هي القوالب التي تصب فيها هذه المادة" [٤] .

---

(١) علم اللغة بين التراث والمعاصرة د/ عاطف مدكور ص١٧١-١٧٢ .

(٢) الكلمة د/ حلمي خليل ص٦٩ .

(٣) الاشتقاق تأليف عبد الله أمين ص٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥٦م الطبعة الأولى .

(٤) الكلمة د/ حلمي خليل ص٧٠ .

وعلى هذا ففى الصفحات التالية نستعرض من خلال أنواع الاشتقاق الصيغ والأوزان اللغوية، وكيف تدخلت فيها الأصوات اللغوية؟ لتحولها إلى صيغ جديدة تحمل مدلولات جديدة .

أولا: الاشتقاق الصغير :

وهو "انتزاع كلمة من كلمة أخرى بتغيير فى الصيغة مع تشابه بينهما فى المعنى واتفاق فى الأحرف الأصلية وفى ترتيبها، وذلك يشمل مباحث كثيرة .. كأبنية الأفعال والأسماء وأوزانهما، والمجرد والمزيد من الأفعال والأسماء، والجمود والاشتقاق فى الأفعال والأسماء، واشتقاق الأفعال، واشتقاق المشتقات السبعة المشهورة، وغير ذلك" . (١)

ولأهمية الاشتقاق الصغير فى اللغة العربية، دعا بعض العلماء أن يقدم فى دراسته على النحو، ولأثره فى بنية اللغة وتعددها طالب بعضهم أن يطلق عليه مصطلح الصرف، بل إن الاشتقاق إذا أطلق بدون تخصيص انصرف الذهن إلى الاشتقاق الصغير وهذا لأهميته فى اللغة "وليس الاشتقاق من خصائص العربية وحسب، بل إنه من أهمها، فالأوزان العربية كثيرة جداً، حتى أنها بلغت عند بعضهم عشرة ومائتين وألفاً، وقد دعا بعض الباحثين إلى استبدال مصطلح "الاشتقاق" بمصطلح "الصرف" وإلى تقديم دراسة الاشتقاق على دراسة النحو". (٢)

---

(١) الاشتقاق عبد الله أمين ص١ .

(٢) فقه اللغة العربية وخصائصها د/ إميل بديع يعقوب ص١٩٠ .

ومما يدل على أن الأصوات تقوم بدور وظيفى فى الاشتقاق الصغير، وتعطى معنى جديدا، لا يمكن إفادته قبل إدخال هذا الصوت "فكلمة رجال" مثلا كلمة مفردة، ولكنها تفيد فى الحقيقة معنيين هما :

١- الدلالة على رجل، أو معنى الرجولة .

٢- الدلالة على الجمع الذى حدث من إضافة "الفونيم" "أ" الألف إلى كلمة رجل مع إبدال "فوينم" آخر، هو حركة الراء فى أول الكلمة من الفتح إلى الكسر .

أما كلمة "يعلمون" ففيها بالإضافة إلى الدلالة على العلم والتعليم، وهى دلالة ثابتة لا تتغير، عدة دلالات أخرى، دلت عليها إضافات وتغيرات فى جذر الكلمة، ففيها ما يشير إلى الزمن الحاضر والمستقبل، وفيها ما يدل على أن الفاعل غائب، وفيها ما يدل على الجمع" . [١]

وعلى هذا فإن المدلول الصرفى للاسم، والفعل، والصفة، مجرداً يختلف باختلاف المدخلات عليه من الأصوات ليعطى وزنا جديداً، ومعنى جديداً فمعنى الاسم مجرداً الدلالة على المسمى، ومعنى الفعل الدلالة على الحدث والزمن ومعنى الصفة الدلالة على موصوف بالحدث .

فإن كان الاسم يدل على المسمى، فإن التصريفات التى تتم عليه عن طريق الاشتقاق تعطى معان جديدة عن طريق المورفيمات المحددة لذلك "أما حين تتصرف الأسماء تصرفات مختلفة بحسب اختلاف الإفراد، والتثنية، والجمع، والتذكير، والتأنيث، والتعريف،

---

(١) الكلمة د/ حلمى خليل ص٥٢ .

والتنكير، وذلك بواسطة المورفيمات الخاصة بذلك مثال "ضاربة" من "ضارب" ، حيث نجد في الأول مورفيمين يحددان نوع الكلمة، وهو أنها اسم مؤنث، وهذان المورفيمان هما فتحة الباء، والمقطع "تن" وهو لاحقة، وهما يدلان هنا على العدد المفرد، ويقابل هذا "ضاربان" و"ضاربتان" بزيادة المقطعين الأخيرين "أن"و"تان"مع فتح الباء للدلالة على التثنية المذكرة، فالمؤنثة، كما يقابل هذا "ضاربون" و "ضاربات" أو "ضوارب" بزيادة "ون" ، وضم الباء في الأول، وبزيادة "ات" وفتح الباء في الثانية، أو بإدخال المقطع "وا" وفتح الضاد، وكسر الراء في "ضوارب" وكلها أنواع من المورفيمات تأتي إما كسابقة، أو لاحقة، أو مقحمة، وكل ذلك دل على وظائف فرعية أخرى للأسماء، بجانب وظائفها العامة، وهي تؤدى هذه الوظائف الفرعية في حالة التصاقها بهذه الزوائد، أو صيغ التصرف المختلفة" . (١)

وإذا كانت وظيفة الفعل الصرفية الدلالة على الحدث والزمن، إلا أنها "تؤدى وظيفة الإسناد، بجانب وظيفتها الأساسية في الدلالة على الحدث والزمان وهذا الإسناد يختلف بحسب المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، وبحسب الإفراد، أو التثنية، أو الجمع، وكذلك بحسب التذكير، أو التأنيث، وذلك بواسطة المورفيمات، أو الصيغ والأوزان الصرفية المختلفة التي يمكن أن تستخدم في التفريق بين هذه الكلمات" . (٢)

---

(١) الكلمة د/ حلمي خليل ص٥٩-٦٠ .

(٢) السابق ص٥٩ .

"فحين نقسم الفعل إلى ماض ومضارع وأمر، فسنجد مثلاً أن الفعل "ضرب" بمفرده يؤدى وظيفة الإسناد للغائب، لأنه عبارة عن الفعل والضمير "ضرب + هو" أى أنه أدى وظيفة أخرى غير وظيفته الأساسية وهى الدلالة على الحدث والزمن، ومثل ذلك أيضاً فى الفعل المضارع بمفرده حيث يدل المورفيم "يـ" وهو سابقة على أن الفعل مسند إلى المفرد الغائب، ومثل ذلك فى "التاء" فى "تضرب"، والهمزة فى "أضرب" والنون فى "نضرب" ووظيفة الإسناد هذه، غير الوظيفة الأساسية للفعل المضارع، وهو ما يشير إليه النحاة باستتار الضمير بمعنى أن .

يضرب	يضرب + هو تضرب	تضرب + هى
نضرب	نضرب + نحن أضرب	أضرب + أنا
أضرب	أضرب + أنت	

وكل ذلك تم بواسطة المورفيم الذى يكون السابقة" . (١)

ولم تقتصر المعانى الجديدة التى يمكن الحصول عليها من الاشتقاق من الأفعال على إيضاح الإسناد، بل تتعداه إلى وظائف أخرى متعددة تتعدد بتعدد حالات الزيادة "علىأن الأفعال بشكل عام لا تقتصر على أداء وظيفة الإسناد على اختلاف أنواعه، بل تتعدى وظائفها إلى أكثر من ذلك عندما تتصل بها مورفيمات هى ما يسمى بالزوائد، بمعنى أن الوظائف الصرفية للأفعال تتعدد بتعدد الحالات التى تقبل فيها

---

(١) الكلمة د/ حلمى خليل ص٥٨-٥٩ .

الأفعال المجردة مورفيمات الزيادة، فالتعدية، والمطاوعة، والمشاركة، والتحويل، والصيرورة وغير ذلك، كلها في الحقيقة مورفيمات تؤدى وظائف صرفية معينة، يؤديها الفعل عند اتصاله بهذه المورفيمات المناسبة لكل وظيفة من هذه الوظائف ولهذا قال علماء العربية القدماء إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى [1].

"فصيغ الأفعال - بأنواعها الماضي والمضارع والأمر - تدل على الحدث وزمنه، وما يتصل بهذه الأفعال من حروف الزيادة والتوكيد، واللواحق الأخرى، وما يدخلها من التضعيف وغيره كل ذلك له أثره في توجيه المعنى.

فمثلاً: تزاد الهمزة - في أولها - للتعدية كأكرمت محمداً، وللدلالة على حلول وقت الشئ كأحصد الزرع، والدخول في زمن أو مكان كأمسى، وأتهم، وللإزالة كأشكيته وأعجمته إلى ذلك، وتضعيف العين - مثلاً - يفيد قوة الحدث وكثرته كقولهم: قطع، وكسر - بتشديد الطاء والسين - واعشو شب المكان واخضوضر الزرع ونحوهما" [2].

ولاشك أن كتب التصريف قد تضمنت التحويلات المختلفة الناتجة عن الاشتقاق من الفعل، ومن أراد التوسع في معرفة ذلك فعليه بها، وقد جمع محي الدين عبد الحميد في نهاية شرح ابن عقيل "تكملة في

---

(١) الكلمة د/ حلمي خليل ص٥٩.

(٢) علم اللغة بين القديم والحديث د/ عبدالغفار حامد هلال ص١٩٩-٢٠٠ مطبعة الجبلاوى بالقاهرة سنة ١٩٨٦م.

تصريف الأفعال " [1] ، أوضح من خلالها المجرد والمزيد وأوزانهما، ومعاني الأبنية فيهما، والوجوه التي يأتي عليها المضارع من الماضي، وبيان الصحيح والمعتل، وأنواع المعتل، وما يحدث لكل نوع في الاشتقاق - اشتقاق المضارع والأمر من الماضي - وكذلك في تأكيد الفعل وعدم تأكيده، وما يحدث للفعل عند إلحاقه بالضمائر، ووجوه تصرفه، والمطالع لهذه التكملة يجد أن الصوت - صامتاً أو متحركاً - هو الأساس في تشكيل هذه البنية وتلك الأوزان، لاستيفاء ألوان التصريف .

وقد أورد محمد الأنطاكي في أبنية الثلاثي المزيد في "للثلاثي المزيد فيه اثنا عشر بناء: ثلاثة لزيادة الحرف الواحد، وخمسة لزيادة الحرفين، وأربعة لزيادة الثلاثة، وهي :

١- أفعل	٢- فعل	٣- فاعل
٤- تفاعل	٥- تفعل	٦- إنفعل
٧- إفتعل	٨- إفعل	٩- إستفعل
١٠- إفعال	١١- إفعوعل	١٢- إفعول

وقد أورد المعاني التي يرد عليها كل وزن من هذه الأوزان، والأمثلة التي توضحها [2] .

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٥٩٧/٢-٦٥٩ طبع المكتبة العصرية - بيروت .

(٢) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها تأليف محمد الأنطاكي ١٧٨/١-١٨٣ طبع دار الشرق العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة .

وفى كتاب "الاشتقاق لعبد الله أمين - تفصيل وتوضيح وأمثلة من بطون الكتب العربية للاشتقاق الصغير من الأسماء والأفعال المجرد منها والمزيد وما يشتق من كل نوع منهما من صيغ مثل أفعال المضارع والأمر من المجرد والمزيد ومصادرهما، واشتقاق الأسماء منهما كاسم المرة، والهيئة، والزمان والمكان والفاعل، والمفعول، والصفة المشبهة باسم الفاعل، والتفضيل، والآلة، والتعجب، ومن الأسماء مفردها وتثنيتها وجمعها، والنسب والتصغير" [1] .

"وتشترك الصفات مع الأسماء والأفعال أيضاً فى أن لها وظائف فرعية بجانب وظائفها العامة، وهى الدلالة على موصوف بالحدث، أما حين تتصرف الصفات حسب الإفراد، والتثنية، والجمع والتذكير، والتأنيث، والتعريف، والتنكير، بواسطة حروف الزيادة لكل حالة أيضاً، فحينئذ تكون دالة على وظائف فرعية بجانب وظائفها الأساسية .

وإذا كانت الصفات تؤدى مثل هذه الوظائف العامة والفرعية، فإن صيغها مثل صيغة اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل، والصفة المشبهة، تؤدى إلى جانب ذلك - أيضاً - وظائف أخرى تتضح من دلالة اسمَ الفاعل مثلاً علىوصف الفاعل بالحدث على سبيل الانقطاع والتجديد . ومثل ذلك صيغ المبالغة والتكثير وأفعل التفضيل يدل على وصف الفاعل بالحدث على سبيل تفضيله على غيره ممن يتصف بنفس الصفة، والصفة المشبهة تدل على وصف الفاعل

---

(١) الاشتقاق عبد الله أمين ص١٨٢-٣٣٠ .

بالحدث على سبيل اللزوم والثبات" [١] .

ولذلك أكد الدكتور محمود السعران أن الأصوات أمر هام فى الدراسات الصرفية، وقد تنبه إلى ذلك اللغويون القدامى وعلى رأسهم سيبويه، وفى ما يعرف بعلم الصرف معلومات صوتية، فقد حاول الصرفيون محاولاتهم الأولى ماثلة فى كتاب سيبويه أن يصفوا ما يطرأ على بنية الكلمة العربية المعربة من تغيرات: إما فى تصرفاتها المختلفة من إفراد وتثنية وجمع، وتذكير وتأنيث، وتصغير، ومبالغة، ونسب، وماضى، ومضارع، وأمر .. إلخ .

وأما عند وقوعها فى درج الكلام فى سياقات صوتية معينة كالإدغام والوصل، إلى ذلك من المباحث الصرفية" [٢] ويؤكد هذا فى موطن آخر بأنه من المحال أن تتم دراسة البنية دون التحقيق الصوتى لمكوناتها "من المحال إذن دراسة بنية الكلمة دون التخفيف الصوتى للعناصر المكونة للكلمات" [٣] .

ويوضح ذلك بالمثال حيث يقول وندرك من قولنا "ضرب" و"ضربت" و "يضرب" و "يضربون" و "اضرب" و "اضربى" و "ضارب" و

---

(١) الكلمة د/ حلمى خليل ص٦٠ .

(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى د/ محمود السعران ص٩٥ طبع دار النهضة العربية – لبنان – من أمثلة على ذلك انظر الكتاب لسيبويه ٨٧/٤ وما بعدها "اشتقاق الأسماء بمواضع بنات الثلاثة" ، ٢٤٢/٤ وما بعدها "باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال" ، ٤٣١/٤ وما بعدها "الإدغام" .

(٣) علم اللغة – د/ السعران ١٢٤ .

"ضاربة" و "ضاربون" و "ضوارب" أو "ضاربات" إلخ . ندرك من هذه الكلمات جميعاً أنها متصلة بمعنى الضرب فثمة عنصر مشترك بينها هو "ض ر ب" ، ولكننا نجد فضلاً عن هذا عدداً من العناصر الصوتية المحددة لكون الكلمة فعلاً أو اسماً والمحددة كذلك لفصيلتها النحوية من حيث النوع: مذكر أو مؤنث، ومن حيث العدد : مفرد أو مثنى أو جمع، ومن حيث الشخص: متكلم، أو مخاطب، أو غائب هذه العناصر الصوتية "مورفيمات" المورفيم الذى يحدد أن "ضربت" فعل مسند إلى المفردة الغائبة هو الصوت "ت" وفى "يضرب" مورفيم هو العنصر الصوتى "يـ" وهو سابقة يحدد أن الفعل مسند إلى المفرد الغائب فى مقابل "تضرب ، وأضرب ، ونضرب" . (١)

"ثم تمتاز" ضاربة " من "ضارب" بأن فى الأولى علامتين "فورفيمين" تحددان نوعها، وهو أنها اسم مؤنث، هاتان العلامتان هما فتحة الباء، والمقطع "تن" "ـة" وهو لاحقة .

ثم إن ضارب "وضاربة" من حيث العدد مفرد، ويقابل هذا "ضاربان" و "ضاربتان" بزيادة المقطعين الأخيرين "أن" و "تان" مع فتح الباء للدلالة على التثنية مذكرة فمؤنثة، كما يقابل هذا كذلك "ضاربون" و "ضاربات" أو " ضوارب "بزيادة" " ون" وضم الباء فى الأول، وبزيادة "ات" وفتح الباء فى الثانية، أو بإدخال المقطع "وا" حشوا، وفتح الضاد وكسر الراء فى "ضوارب" . (٢)

---

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ص٢١٩ .

(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ص٢٢٠-٢٢١ .

والاشتقاق بهذه الصورة أفضل وسيلة لتنمية اللغة، ومساعدتها للقيام بدورها في التواصل بين أفراد المجتمع، والتعبير عن احتياجاتهم، وما يستجد من معلومات، وإن كان القدماء قد استخدموا هذه الوسيلة، ونبهوا على أهميتها، فإن المحدثين هم في أشد الحاجة إلى هذه الوسيلة في عصر تتدفق فيه المعلومات في كل يوم، ومطلوب من اللغة أن تعبر عنها بما يتوافق مع أوزانها "وعن طريق الاشتقاق تكونت في اللغة العربية آلاف الكلمات للحياة العامة ولمصطلحات العلوم على مدى عدة قرون، وثبت أنه من أكثر طرق التنمية المعجمية فاعلية وأهمية. يختلف مفهوم الاشتقاق بهذا المعنى عن دلالات كثيرة ارتبطت به عند اللغويين العرب، ويتجاوز - أيضا - المشتقات بالمعنى الاصطلاحي النحوي الذي يقصرها على اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة واسم التفضيل واسم الزمان، واسم المكان، واسم الآلة. ذلك أن متطلبات العلوم والحضارة الحديثة لا تقتصر على هذه الأنواع من المفردات، فثمة حاجة أيضا إلى أفعال جديدة، ومصادر جديدة". [١]

وهو يعني بهذا أصل المشتقات المصدر، أو الفعل، والخلاف المعروف بين البصريين والكوفيين، ويدعو إلى توسيع دائرة الاشتقاق، ليكون الاشتقاق من أسماء الأعيان، والأسماء الجامدة، والحروف، لينتج من ذلك الفعل والمصدر وهو بذلك يسير مع الرأي القائل "إن أصل الاشتقاق في العربية ليس واحداً، فقد اشتق العرب من الأفعال، والأسماء

---

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح د/ محمود فهمي حجازي ص٣٦-٣٧.

(الجامد منها والمشتق) والحروف، ولكن بأقدار تقل حسب ترتيبها هذا، فأكثر ما اشتق منه الأفعال ثم الأسماء فالحروف" [١] .

ولذلك يرى الدكتور صبحي الصالح أن الاشتقاق من أسماء الأعيان فقدم على أسماء المعاني والذى دفع العرب إلى الانتصار للمصدر هو التقليد حيث يقول "إن الاشتقاق من أسماء الأعيان مقدم على الاشتقاق من أسماء المعاني، ولكن الروح الذى وجه علماءنا إلى القول بأن المصدر لا الجواهر هي أصل الاشتقاق، هو الروح نفسه الذى وجههم أيضاً إلى ترجيح أصل على أصل إذا ترددت الكلمة بين رابطين أو أكثر من روابط الاشتقاق، وهذا هو الروح التقليدى الذى يأبى أن يقيس الحقائق اللغوية إلا بمقاييس الشرف، واللياقة والسهولة والتقييد والتخصيص" [٢] .

وهذا التوسع أعطى المساحة الواسعة إلى المجامع اللغوية لكي تستفيد من هذه الوسيلة الخلاقة حيث "يهدف عمل مجامع اللغة العربية في الاشتقاق تلبية للحاجة المعاصرة، إلى تكوين كلمات عربية لم ترد في المعجمات العربية وتصلح للتعبير عن المفاهيم المستحدثة في العلوم والصناعات [٣] .

وبناء على هذا نظر مجمع اللغة العربية في موضوع الاشتقاق بهدف الأخذ بالرأى النحوى الذى يعتمد على واقع اللغة في نصوصها

---

(١) فقه اللغة العربية وخصائصها د/ إميل بديع يعقوب ص١٩٦ .

(٢) دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح ص١٨٥ .

(٣) الأسس اللغوية لعلم المصطلح د/ محمود فهمي حجازى ص٣٨ .

الفصيحة، ويمكن في الوقت نفسه من الوفاء بالمتطلبات المعاصرة، ولهذا يعتمد النظر في قضايا بنية المصطلحات على ما ورد في كتب النحو والصرف وعلى محتوى المعجمات العربية وعلى ما ثبت في نصوص العربية الفصيحة في عصور الاحتجاج وبعدها، حتى تكون القرارات في أصول اللغة مطابقة لبنية العربية، دون التقيد برأى البصريين، أو الإلتزام بمذهب الكوفيين، ومن ثم لا تقتصر البحوث على آراء النحاة، بل تستوعب أيضا النصوص العربية على مدى القرون، وفوق هذا كله، فإن ثمة ألفاظا عربية صحيحة متداولة في كتابات المحدثين، وهذه الألفاظ رصيد مهم عند تكوين المصطلحات وإقرارها . ولهذا كان القرار المجمعي بأن : يقبل السماع من المحدثين، بشرط أن تدرس كل كلمة على حدتها قبل إقرارها" . (١)

وتطبيقا لذلك أجاز المجمع اللغوى اشتقاق الفعل من الاسم الجامد المعرب الثلاثي "وزن" فعل "له دلالات كثيرة منها التعدية والتكثير، وله أهمية في تكوين المصطلحات، فقرر المجمع جواز استعمال هذا الوزن لأداء هذه المعاني، وتكونت مصطلحات كثيرة مثل: خدر، حضر، ورد، شخص، جسم، حلل، شرع وهو أحد وزنين أقرهما المجمع لاشتقاق الفعل من الاسم الجامد المعرب الثلاثي فيكون الفعل على وزن فعل متعديا ولازمه تفعلل، ولهذا أقر المجمع الفعل "جبس" والفعل "يود" بمعنى إدخال اليود في مركب ما ". (٢)

---

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ص٤٠ .

(٢) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ص٤١ .

ومثال آخر المصدر الصناعي "ضرورة التعبير الدقيق عن المفاهيم والاتجاهات والمذاهب جعلت كلمات كثيرة تتكون بصيغة المصدر الصناعي في إطار ازدهار الحضارة الإسلامية منها: الكيفية، والهوية، والماهية، والخصوصية، واللصوصية، والفروسية، وبذلك اتسع مجال الإفادة عن المصدر الصناعي، فاعتمد مجمع اللغة العربية على هذه الصيغة اعتمادا كبيرا لتكوين مصطلحات تعبر عن مفاهيم كثيرة تطلبها العلم بالحديث نص قرار المجمع" إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء .

وقد دلت صيغة المصدر الصناعي في المصطلحات الحديثة على مجموعات من المفاهيم منها: المذاهب والنظم والاتجاهات مثل: الفردية، والاشتراكية، والعنصرية، والمعنويات مثل، الملكية والحرية، والظواهر الطبيعية وخصائص المادة مثل: الكهربية والفسفورية، والممدودية، وأسماء الأمراض مثل: الصدفية، والتعبير عن الجمع مثل: البشرية، وأسماء العلوم مثل: المغناطيسية .

وقد أثبتت الصيغة من حيث التركيب مرونة كبيرة فقد أمكن إلحاقها بأنواع شتى من المفردات والتراكيب :

الاسم الجامد مثل: عنصرية وفردية، والمصدر مثل: إقطاعية، وتسلطية والصفة مثل: حرية وصفراوية، واسم الفاعل مثل: عاطفية وجاذبية واسم المفعول مثل: مسئولية، معكوسية، واسم الجمع مثل: جمهورية وقومية والكلمة المركبة مثل: رأسمالية، والكلمة الدخيلة مثل:

ديناميكية وكلاسيكية وصيغة المبالغة مثل: حساسية، أى النوع + ية" [1] .

وقد استفادت المعجمات العربية من التجريد وهو الاعتماد على الأصول في ترتيب مواد المعجمات، ثم عالجت المشتقات تحت كل مادة، وهذا يوضح "اشتراك التأليف المعجمى مع الصناعة الصرفية والاشتقاق أبرز أقسامها، وتتبدى هذه المشاركة فى مسألتين واحدة منها هى التجريد وإثبات الأصول عند ترتيب المواد المعجمية كما هو الشأن فى تمييز أصل واحد، وفروع اشتقاقية تتعدد فى الاشتقاق .

والمسألة الأخرى هى استعانة بعض أصحاب المعاجم بالصيغ الصرفية للتقسيمات الجزئية فى مصنفاتهم وذلك فى العين، والجمهرة لابن دريد، والمجمل لابن فارس والمحكم لابن سيدة، ومع أن هذا النهج كان يربك العمل بعض الشئ، إلا أن الاتجاه إليه يدل على تنبه مبكر للعلاقة بين المفردات وتصنيفها، والاشتقاق والصرف، فالعربية الفصحى تنتظمها قوانين كلية تجعل منها كيانا يتصل فيما بينه بشبكة، أو بمجموعة من المسارب تمتد من منبع أو منابع وتتشعب لتتقاطع وتتلاقى فى حركة متكاملة تحفظ لهذه اللغة حيويتها، والاشتقاق هو الفارق بين اللغة النامية المتطورة ، وتلك اللغة التراكمية المتغيرة" [2] .

---

(١) انظر الأسس اللغوية لعلم المصطلح ص٥٨-٥٩ ، ولمن أراد الاستزادة من الأوزان التى استفاد منها المجمع اللغوى فعليه بهذا الكتاب السابق من ص٤١ - ٧١ .

(٢) علم الدلالة العربى النظرية والتطبيق د/ فايز الداية ص٢٣٥-٢٣٦ طبع دار الفكر - دمشق سنة ١٩٨٥م .

وما ذهب إليه مجمع اللغة العربية بالقاهرة في التوسع بالاشتقاق – دون خروج عن قواعد اللغة وأركانها – ليعبر عن الجديد من المعلومات "يؤكد لنا أن الاشتقاق أداة تطورية دائمة للعربية، وهي تقتضي منا أن نحسن فهم حركتها في العربية الفصحى أولا، ومن ثم نتمكن من استعمالها، وإنها تعطينا طبقات متعددة من الدلالات المميزة إلا أنها غير منفصلة، ولا تحجب الواحدة منها الأخريات من المنبع الأول" . [1]

"فالمشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها، وقد يسبق بعضها بعضا في الوجود ولهذا يجدر بنا ألا نتصور أن الأفعال أو المصادر حين عرفت في نشأتها عرفت معها مشتقاتها، فقد تظل اللغة قرونا وليس بها إلا الفعل وحده، أو المصدر وحده، حتى تدعو الحاجة إلى ما يشتق منهما، فما يسمى بالاشتقاق العام ليس في الحقيقة إلا نوعا من التوسع في اللغة يحتاج إليه الكاتب، وتلجأ إليه المجامع اللغوية للتعبير عما قد يستحدث من معان، مما يساعد اللغة على مسايرة التطور الاجتماعي، وليس مثل الأصوات في هذا النوع من الاشتقاق إلا مثل مواد البناء التي منها قد تؤسس الأبنية" . [2]

ثانياً : الاشتقاق الكبير :

الاشتقاق الكبير، أو الأكبر، أو القلب اللغوي هو أن يكون بين كلمتين تناسب في اللفظ والمعنى دون ترتيب الحروف نحو: جذب وجبذ، وحمد

---

(١) علم الدلالة العربي د/ فايز الداية ص٢٣٧،٢٣٨ .

(٢) انظر من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس ص٦٣ .

ومدح، اضمحل وامضحل، وأول من اهتم بهذا النوع من الاشتقاق وسماه هو ابن جني الذى أفرد له باباً خاصاً سماه الاشتقاق الأكبر [١] .

ويبدو أن أصحاب الاشتقاق قد اقتبسوا فكرة تقلبات الأصول من معجم العين وأمثاله، فقد سلك صاحب العين، وصاحب الجمهرة وغيرهما مسلكاً عجيباً فى ترتيب الكلمات، فكان كل منهم حين يعرض لشرح كلمة من الكلمات يذكر معها تقلباتها، ويذكر معنى كل صورة من صورها دون التعرض للربط بين دلالات تلك الصورة. فهى طريقة إحصائية، أو قسمة عقلية لجأ إليها أصحاب هذه المعاجم بغية حصر كل المستعمل من كلمات اللغة، وخشية أن يند بعضها عن أذهانهم. فلما جاء أصحاب الاشتقاق من أمثال ابن جنى وابن فارس ربطوا أيضاً بين دلالات تلك الصور، واستنبطوا معانى عامة مشتركة بينها، وسمى هذا بالاشتقاق الكبير" [٢] .

"وقد يشكك فى جدوى هذا الضرب بسبب من العمومية التى نلحظها فى الأمثلة "ش ذ ذ - ط ر د - ك ل م - ق و ل " إلا أنه ظل نوعاً من البحث الاشتقاقى يمكن الإفادة منه على الرغم من عدم تحديد بداية السلسلة التى تتداخل حلقاتها، فأيها طالعنا يعد بداية للأخريات، وقد يفلح منهج التتبع المقترح فى المعجمات وألفاظها فى حل هذا الإشكال" [٣] .

---

(١) فقه اللغة العربية وخصائصها ص١٩٨-١٩٩ . وينظر الخصائص ١٣٣/٢ .

(٢) من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس ص٦٦ .

(٣) علم الدلالة العربى د/ فايز الداية ص٢٣٤ .

ولا شك أن القائلين بالاشتقاق الكبير يؤمنون بقيمة الصوت ودلالته في حالتي البساطة والتركيب "وللولوع بالاشتقاق الكبير ارتباط وثيق بمذهب المؤمنين بدلالة الحرف السحرية، وقيمته التعبيرية الموحية، عند أولئك الذين مالوا إلى الاقتناع بوجود التناسب بين اللفظ ومدلوله، في حالتي البساطة والتركيب، حتى رأوا إثبات القيمة التعبيرية للصوت البسيط، وهو حرف واحد في كلمة، كإثبات هذه القيمة نفسها للصوت المركب، كيفما كانت صورة تركيبه" . (١)

"فإذا كان كل حرف في كل مادة يتمتع بهذه الدلالة السحرية الذاتية، فلا ضير في تقليب كل مادة على وجوهها المحتملة، ولا ضير أن تأتي فاء الكلمة في موضع العين أو اللام، ولا أن تأتي اللام في موضع الفاء أو العين، ولا أن تحل العين محل اللام أو الفاء، فإن كل حرف منها - قدم أو أخر - يوحي بمدلوله الذاتي الخاص .

والفروق الدقيقة التي قد تنشأ أحيانا عن هذا التقديم أو ذاك التأخير، إنما تنبئ عن أسرار هذه اللغة العجيبة المعجزة، من غير أن تؤثر في المعنى العام الذي تدل عليه المادة بمجموع حروفها المعبرة"(٢) .

وعلى هذا فإن الصوت الذي يتقدم أو يتأخر يؤدي إلى التمييز بين الكلمتين، وفي كل تقليب يعطي كلمة جديدة "فتقاليب مادة" ضرب "

---

(١) دراسات في فقه اللغة ص٢٠٤ .

(٢) دراسات في فقه اللغة ص٢٠٥ .

مثلاً، إذا أخذنا فى الحسبان المستعمل منها دون المهمل، ما هى إلا تغير فى ترتيب الفورنيمات بحيث يؤدى هذا التغير إلى حدوث كلمات جديدة، وهى الفكرة التىبنى عليها الخليل بن أحمد معجمه العين، غير أننا لابد أن نلاحظ أنه إذا كان وضع صوت مكان آخر يؤدى إلى كلمة جديدة أى يميز كلمة عن أخرى، فإن كلا من هذين الصوتين يعتبر فونيماً مختلفاً [١] .

والصوت فى نظام التقليبات هذه يمثل وحدة لغوية عن طريقها يتم التمييز بين الكلمات على هذه الصورة نجد أن الفونيم، من حيث هو وحدة لغوية مميزة، له وظيفة نستطيع بها أن نميز بين الكلمات، وبالتالى نحدد عن طريقها جانبا هاما من جوانب الكلمة" [٢] .

واعتراف ابن جنى بصعوبة تطبيق هذا النوع على اللغة كلها، وأنه لم يستطع تطبيق ذلك إلا على بضع مواد فى اللغة التى تحوى آلاف المواد دليل على أن تقديم الصوت وتأخيره له تأثيره فى المعنى وعن ذلك يقول ابن جنى "واعلم أنا لا ندعى أن هذا مستمر فى جميع اللغة، كما لا ندعى للاشتقاق الأصغر أنه فى جميع اللغة، بل إذا كان ذلك متعذرا صعبا كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهبا وأعز ملتمسا" [٣] .

---

(١) الكلمة د/ حلمى خليل ص٣٨ .

(٢) الكلمة د/ حلمى خليل ص٣٩ .

(٣) الخصائص لأبى الفتح بن جنى ١٣٨/٢ تحقيق محد على النجار ط عالم الكتب - لبنان .

واختلاف المعانى الناتج عن تقليب المادة هو الذى احتج به السيوطى فى نقده لابن جنى حيث يقول "وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جنى . وكان شيخه أبو على الفارسي يأنس به يسيرا، وليس معتمدا فى اللغة، ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق فى لغة العرب، وإنما جعله أبو الفتح بيانا لقوة ساعده، ورده المختلفات إلى قدر مشترك مع اعترافه وعلمه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ، وأن تراكيبها تفيد أجناسا من المعانى مغايرة للقدر المشترك، ولا ينكر مع ذلك أن يكون بين التراكيب المتحدة المادة معنى مشترك بينها، هو جنس لأنواع موضوعاتها، ولكن التحيل على ذلك فى جميع مواد التركيبات كطلب لتنقاء مغرب" [١] .

وقد أوضح سعيد الأفغانى أن التقليبات الناتجة عن الاشتقاق الكبير وإن اشتركت فى المعنى العام، إلا أن هذا لا يمنع من أن يكون لكل كلمة معنى تنفرد به ليس فى سائر التقليبات حيث يقول "إذا قلبت فعلا ثلاثيا على أوجهه الستة، فأنت واجد بين معانيها قدرا تشترك فيه الكلمات المستعملة منها، فكأن هذا القدر هو المعنى الأساسى لها جميعا، ثم تنفرد كل منهما بمعنى ليس فى سائرها، وهذه حال تشبه حال المشتقات مع المصدر فى الاشتقاق الأصغر" [٢] .

---

(١) انظر المزهر فى علوم اللغة تأليف جلال الدين السيوطى ٣٤٧/١ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم وآخرون طبع مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٥٨م .

(٢) فى أصول النحو ص١٣٦ .

وكما أن الاشتقاق يلجأ إليه العلماء للوصول إلى أصل الكلمة، فإن الاشتقاق الكبير يستعين به العلماء إذا أشكل عليهم الحرف "كانوا يخلدون أحيانا إلى هذا الاشتقاق الكبير إذا أشكل عليهم الحرف: الفاء أو العين أو اللام، فيستعينون بتقليب أصول المثال الذى ذلك الحرف فيه. وقد شاهد ابن جنى غير مرة شيخه أبا على الفارسي يقلب الأصول لمعرفة بعض المواد، فيعينه هذا التقليب ويأخذ بيده، ويفتح عليه من آفاق البحث ما لم يكن يحتسب "ألا ترى أن أبا على رحمه الله كان يقوى كون لام" "أثفية" فيمن جعلها "أفعولة واوا بقولهم" جاء يثفه؟ ويقول: من الواو لا محالة كيعده، فترجح بذلك الواو على الياء التى ساوقتها في يثفوه ويثفيه. أفلا تراه كيف استعان على لام ثفا بفاء وثف؟ وإنما ذلك لأنها مادة واحدة شكلت على صور مختلفة فكأنها لفظة واحدة " [1].

ثالثاً : الاشتقاق الأكبر :

وسماه الأستاذ عبد الله أمين "الاشتقاق الكبير"[2] ويعنى به عند الكثرة من العلماء "الإبدال اللغوى"[3] وتعريفه "هو ارتباط بعض المجموعات الصوتية ببعض المعانى ارتباطا عاما لا يتقيد بالأصوات نفسها، بل بترتيبها الأصلى والنوع الذى تندرج تحته، وحينئذ متى

---

(١) دراسات فى فقه اللغة د/ صبحى الصالح ص٢٠١-٢٠٢ . وقارن بالخصائص ١١/١ .

(٢) الاشتقاق الأستاذ عبد الله أمين ص٣٣١ .

(٣) الاشتقاق عبد الله أمين ص٣٣١، فقه اللغة العربية وخصائصها ص٢٠٥ .

وردت إحدى تلك المجموعات الصوتية على ترتيبها الأصلى، فلابد أن تفيد الرابطة المعنوية المشتركة، سواء احتفظت بأصواتها نفسها، أم استعاضت عن هذه الأصوات، أو بعضها بحروف أخر تقارب مخرجها الصوتى، أو تتحد معها فى جميع الصفات" [(١)].

ومن التعريف يتضح أن الاشتقاق الأكبر يقوم على الإبدال بين الأصوات التى تقاربت فى مخرجها أو اتحدت فى صفاتها، والإبدال فى العربية ينقسم إلى نوعين أحدهما الصرفى والآخر اللغوى "والإبدال الصرفى: ضربان: إبدال للإدغام ويكون فى جميع حروف الهجاء إلا الألف، وإبدال لغير الإدغام ويكون فى حروف جمعت فى قولهم "هدأت موطيا" ، والإبدال الاشتقاقى[(٢)] يكون فى جميع حروف الهجاء إلا الألف، كالإبدال الصرفى لأجل الإدغام، والإبدال الاشتقاقى أوسع دائرة، وأجدى عائدة على اللغة من الإبدال الصرفى، لأنه يزيدها ثروة وغنى"[(٣)] والإبدال بنوعيه الصرفى واللغوى يقوم على العلاقة بين صوتين يحل أحدهما فى موقع الآخر، كالنون واللام فى التهتان والتهتال بمعنى سقوط المطر، ولذلك فإن الأستاذ عبد الله أمين حينما عالج الاشتقاق الأكبر فى كتابه بدأ أولا بذكر مخارج الحروف وصفاتها

---

(١) فقه اللغة د/ على عبد الواحد وافى ص١٨٤ طبع دار نهضة مصر ط٨ وانظر دراسات فى فقه اللغة ص٢١٠-٢١١ ، وفقه اللغة العربية وخصائصها ص٢٠٥ .

(٢) هو الإبدال اللغوى وهذه تسمية عبد الله أمين له أنظر الاشتقاق ص٢ .

(٣) الاشتقاق لعبد الله أمين ص٢ .

والعلاقات بينها وكذلك أعضائها وعن ذلك يقول "والعلاقات بين الحروف لا تدرك إلا بمعرفة مخارج الحروف، وصفاتها، وهذه المخارج، لا تدرك هي الأخرى إلا بمعرفة أعضاء النطق، فلابد قبل الكلام على الإبدال من الكلام على أعضاء النطق، ومخارج الحروف، وصفات الحروف، والعلاقات بين الحروف" [١]

والدكتور إبراهيم أنيس يرى أن ما يسمى بالاشتقاق الأكبر، أو الإبدال ناتج عن التطور الصوتي إذ يقول "حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حينا، أو من تباين اللهجات حينا آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفا من حروفها، نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل، والأخرى فرع لها أو تطور عنها"[٢]

ولذلك فإن الدكتور صبحي الصالح رأى بأن اللغويين قد غالوا في هذا النوع حتى جعلوه من سنن العرب حيث يقول "إن كل تكلف ارتكبه اللغويون في باب الاشتقاق بقسميه السابقين الأصغر، والكبير، لا يعد شيئا إذا قيس بما اضطروا إلى ارتكابه لدى كل خطوة فيما سموه بالاشتقاق الأكبر" . [٣]

---

(١) انظر الاشتقاق ص٣٣٣ .
(٢) من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس ص٥٨ .
(٣) دراسات في فقه اللغة ص٢١٠ .

وعليه فهو يؤكد رأى الدكتور إبراهيم أنيس فى أن هذا النوع من الاشتقاق هو تطور صوتى حيث يقول "ورأى المحدثين على جراءته - أسلم - اتجاها، وأصح نتيجة، من رأى تلك الطائفة من المتقدمين الذين ذهبوا إلى إكثار العرب من الإبدال، كأنه سنة أو عادة، وكأن النطقين المختلفين عندهم متساويان يوضع أحدهما مكان الآخر، وكأنهم يتعمدون هذا الإبدال إعجابا به، وتفننا فيه" (1) .

ويؤكد ذلك الدكتور إميل بديع يعقوب حيث يقول "وأغلب الظن. أن الإبدال اللغوى فى معظم أمثلته الواردة فى كتب اللغة والنحاة، أقرب أن يكون ظاهرة صوتية، من أن يكون اشتقاقية، ومرد تلك الظاهرة الصوتية تقارب الحروف المبدلة بالمخرج والصفة أو بأحدهما، والخطأ فى السمع، والتصحيف، واللثغة وما إليها . وهى موجودة فى اللغات السامية، لكنها أكثر وضوحا فى اللغة العربية" (2) .

ويرى الدكتور كاصد الزيدى أنه لا يصدق عليه مصطلح الاشتقاق، وإنما هو الإبدال اللهجى حيث يقول "الاشتقاق ثلاثة أنواع عام، وكبير، وأكبر، وواضح أن الأخير هو الإبدال اللهجى الذى أشرنا إلى أمثلة منه فى الكلام على ما يتعلق بالأصوات من اللهجات، وليس اشتقاقا بالمعنى المتعارف عليه فى الاصطلاح" (3) .

---

(1) دراسات فى فقه اللغة ص٢١٣ .

(2) فقه اللغة العربية وخصائصها ص٢٠٨ .

(3) فقه اللغة العربية ص٣٠٣ .

واقرب ما يكون إليه هو الإبدال اللهجي بمعنى أن لهجـة ما نطقت باللفظ ولهجة أخرى نطقت به مع تغير في أحد حروفه، فوجـد في اللغة لفظان لمعنى واحد، والفارق بينهما صوت أبدل مكـان الآخـر، قد يكـون صوتا واحدا وقد يكون أكثر، ولذلك اشترطوا في هذا الإبدال أن تكون الحروف المبدلة قريبة في المخرج، أو متحـدة في الصفات" ولقد أدرك العلماء ما في ضروب الإبدال هذه من تنوع اللهجات، فلـم يفسـرها المحققون منهم بالمصادفة والاتفاق، ولا يعتمد العرب تعويض حـرف من حرف، وإنما هي كما قال أبو الطيب اللغوى: لغات مختلفة لمعان متفقـة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد، حتى لا تختلفا إلا في حرف واحد، قـال والدليـل على ذلك أن قبيلة واحـدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة، وطـورا غير مهموزة، ولا بالصاد مرة، وبالسين أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميما، والهمزة المصدرة عينا، كقولهم في "أن" "عن" لا تشترك العرب في شئ من ذلك، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون" . [١]

وإذا لم يكن من قبيل الإبدال اللهجي "أيـن تذهـب إذن تلـك القيمة التعبيرية الموحية للحرف العربى؟ [٢] " إذ لم يعنهم مـن كل حرف أنه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحـرف أنه معبر عـن غرض، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتيـة التي يمكـن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة، فكل حرف منها يستقل ببيان

---

(١) دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح ص٩٦ .

(٢) دراسات في فقه اللغة ص٢١٨ .

معنى خاص ما دام يستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظل وإشعاع، إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع" [١] .

بل إن العربية يفرق فيها بين الكلمتين عن طريق الحركة "فإن العربية تدل بالحركات على المعاني المختلفة، من غير أن تكون تلك الحركات أثرا لمقطع أو بقية من أداة . فيكون ذلك في وسط الكلمة، وأولها، وآخرها : فهم يفرقون بالحركة بين اسم الفاعل واسم المفعول في مثل مكرم، ومكرم، وبين فعل المعلوم، وفعل المجهول، نحو: "كتب وكتب، وبين الفعل والمصدر في مثل: علم وعلم، وبين الوصف والمصدر في مثل: فرح وفرح، وبين المفرد والجمع في مثل: أسد وأسد، وبين الفعل والفعل في مثل: قدم وقدم، وبين الاسم والاسم في مثل: سحور وسحور، وهذا من الشيوع والكثرة في اللغة العربية بحيث لا نستطيع جمعه، وبحيث نراه أصلا من أصولها، ساريا في كثير من تصرفاتها، ظاهرا في سبيل الأداء وتصوير المعاني" [٢] .

والحركات أو الصوائت القصيرة صفاتها موحدة، ومخرجها هوائي، وفي اللهجات يبدل بين الحركات فتختار القبائل البدوية الحركة القوية كالضمة وتختار قبائل الحضر الكسرة، وإن هذا ليس بضربة لازب، ولكن على العموم يجرى هذا الحكم وكتب اللهجات فيها الكثير من ذلك، "ففي اللغة العربية حدث تناوب واسع النطاق بين أصوات اللين القصيرة

---

(١) السابق ص١٤٢ .

(٢) فلسفة اللغة العربية د/ عثمان أمين ص٤٨-٤٩ .

التى يرمز إليها بالفتحة والكسرة والضمة، ويمثل هذا التناوب انقلابا من أهم الانقلابات التى اعتورت هذه اللغة، فقد كان من آثاره أن انحرفت أوزان الكلمات وانقلبت أشكالها رأسا على عقب، حتى لا نكاد نجد فى اللهجات العامية كلمةواحدة باقية على وزنها العربى القديم" [١] .

ولذلك فإن الأقدمين ذكروا الإبدال ولم يدرجوه من أنواع الاشتقاق "وقد ذكر القدماء الإبدال والتصاقب، ولم يعتبروهما من أقسام الاشتقاق، لأننا نواجه مع كل منهما جذرين لا جذرا واحدا، وقد عقد القدماء كابن جنى وابن فارس وغيرهما أبوابا للإبدال، لكنهم لم يسموه اشتقاقا، كما ذكروا الاشتقاق فى مباحث، ولم نر الإبدال عندهم قسما منه، وإنما أدخل الإبدال فى مباحث الاشتقاق طائفة من المتأخرين ممن اعتبروا كل توسع فى اللغة اشتقاقا" [٢] .

وسواء أكان من قبيل التطور الصوتى، أو الإبدال اللهجى، فإن أحدهما وسيلة لإيجاد الآخر، أو حتى الاشتقاق كما هو فى نظر من يرون كل توليد للفظ جديد هو من قبيل الاشتقاق، فإن الأداة المحققة لكل منهم هى الصوت، صامتا كان أو متحركا، فى صدر الكلمة، أو وسطها، أو آخرها يحل أحد الصوتين محل الآخر متى اشتركا فى المخرج، أو اتحدا فى الصفات وقد رأى البعض أنه يقع حتى مع التباعد

---

(١) علم اللغة د/ على عبد الواحد وافى ص٣٠٨ طبع دار نهضة مصر بالقاهرة ط٧ .

(٢) النحت والتركيب فى اللغة العربية د/ أحمد رزق مصطفى السواحلى ص٢٦ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م .

في المخرج والصفات [1] .

رابعاً : الاشتقاق الكبار :

إن من ينظر إلى الاشتقاق على أنه توليد وتخليق لصيغة من أخرى، وأن إحداهما الأصل والأخرى الفرع فإنه يرى أن النحت نوع من أنواع الاشتقاق حيث إنه "أن تعمد إلى كلمتين" أو جملة، فتنزع من مجموع حروف كلماتها، كلمة فذة، تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها"[1] ، وهناك من يرى أن النحت غريب عن نظام اللغة العربية الاشتقاقي، ولذلك الأقدمون أفردوا له بابا خاصا، ولم يجعلوه من ضروب الاشتقاق، وهناك من توسط بين الفريقين فقال أنه اشتقاق لأنه يدخل في نطاق التوليد والأصل والفرع، ولكنه ليس اشتقاقا بالفعل، لأنه يختلف عن الاشتقاق المعهود عن قدامى اللغويين" [3]. ولا يسوغ عدة من الاشتقاق إلا بتجوز وتسامح[4] ويرى الذين يجعلون النحت من ضروب الاشتقاق أن تغيير البنية من خلاله يتشابه مع التغيير في الاشتقاق حيث يتم التغير من خلال الإلصاق، أو التضعيف أو التحول الداخلي وعن ذلك يقول عبد الله أمين "والنحت – وهو تكوين كلمة من كلمتين أو أكثر – قد يتم أحيانا بالكسع، نحو ما في: بسمل : ضمت اللام من لفظ

---

(١) أنظر دراسات في فقه اللغة ص٢١٥ .

(١) فصول في فقه العربية د/ رمضان عبد التواب ص٢٦٦-٢٦٧ مكتبة دار التراث بالقاهرة سنة ١٩٧٧م

(٣) انظر فقه اللغة العربية وخصائصها ص٢٠٩-٢١٠ .

(٤) النحت والتركيب في اللغة العربية د/ السواحلي ص٢٨ .

الجلالة إلى "بسم" ، وقد يتم بالتصدير، نحو ما فى "بلقين" ضمت الباء من "بنى" إلى أول "القين" وقد يكون بضم حرفين من كلمة إلى حرفين من كلمة أخرى، نحو ما فى "طلبق" من طال بقاؤك، وذلك أن تقدر المضمومين من الأول، أو من الآخر، وقد يكون من غير ذلك" [١]، وكذلك له أصول يبنى عليها كما أن الاشتقاق له أصول يبنى عليها ويتم من خلالها "فقد اشترط العلماء فى النحت انسجام الحروف عند تأليفها فى الكلمة المنحوتة وتنزيل هذه الكلمة على أحكام العربية، وصياغتها على وزن من أوزانها" [٢]. ويتحقق الانسجام بأن يخلو اللفظ المنحوت من حرفين أو أكثر من الحروف التى تحاشى العرب جمعها فى كلمة واحدة بدون فاصل كحروف الصفير مثلا، ويتضح ذلك فى خفتها على الألسنة، وتقبل الأذن لها، وكذلك أن تحتوى الكلمات الخماسية والسداسية على أصوات الذلاقة كما اشترط علماء الصرف، لكى تكون الكلمة عربية .

وأما الأوزان فهى التى أوردها علماء الصرف للأبنية الثلاثية، والرباعية والخماسية، المجرد منها والمزيد، وهى كثيرة جدا قد زادت عن بضع ومائتين وألف – كما ذكر من قبل – وعلى ذلك فالأصوات هى الوسيلة التى يتم بها إيجاد الصيغة الجديدة سواء أكان عن طريق الإضافة – كما سبق – أم عن طريق الحذف" ففى النحت تفقد العناصر

---

(١) الاشتقاق – عبدالله أمين ص٤١٩ .

(٢) دراسات فى فقه اللغة ص٢٧٤ .

المكونة بعض صوامتها وحركاتها، وفي التركيب تحتفظ العناصر المكونة بكل صوامتها وحركاتها"[١]. أو من خلال انسجام هذه الأصوات وتأليفها بما يتوافق مع الأوزان العربية والحس العربي الذى ينفر من الثقل، والتنافر، والوحشية، ومخالفة القياس، وعن طريق ذلك "اكتسبت الكلمة المنحوتة وضعا جديدا ومعنى جديدا، صارت بالنحت - أيضا - ذات وزن صرفي جديد، بصرف النظر عن مواقع الحروف المختارة فى أصلها السابق الذى نحتت منه، فقد يتحول ما كان فى الحروف المختارة فى أصلها السابق الذى نحتت منه، فقد يتحول ما كان فى موقع العين إلى موقع اللام، أو ما كان فى موقع الفاء إلى العين وهكذا"[٢] .

وكذلك فإن "بنية الكلمة المنحوتة كما اكتسبت بالنحت معنى جديدا، فقد اكتسبت أيضا وضعا جديدا، ولذا لا يجوز حلها إلى أجزائها المكونة لها قبل النحت لتفسيرها أو معرفة معناها بلصق معانى ما تركبت منه الكلمة المنحوتة، غاية ما هنالك أنه يمكن الاستعانة بأصول المنحوت، لتقريب معناه من الذهن، لا لاجتثاث المعنى الجديد من خلال معانى تلك الأصول ذلك لأن ترتيب الكلمة على هيئتها التى نحتت عليها قد أكسبها إيحاءات وظلالا جديدة لم تكن بالضرورة ماثلة فى تلك الأصول"[٣] .

---

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ص٧٧ .

(٢) النحت والتركيب فى اللغة العربية ص٢١٣ .

(٣) النحت والتركيب فى اللغة العربية ص٢١١-٢١٢ .

وإذا كانت الكلمة تكتسب معنى جديدا، وظلا وإشعاعا جديدا، وجرسا وإيقاعا مختلفا بعد انتزاعها من كلمتين أو أكثر، فإن الحرف فيها يحمل - أيضا - القيمة التعبيرية التى تتميز بها حروف العربية فى حالتى البساطة والتركيب "الحروف فى المنحوت دوال على أصولها التى تم النحت منها، أو بقايا كلمات مستعملة تناسب ما لمح فى الصوت العربى من قيمة بيانية تعبيرية إذ يرمز للكلمة المختزلة بحرف أو حرفين منها، ويكونان من أوضح الحروف بيانا وتعبيرا، ويتعلق بهما جل المعنى العام" (١).

"إن من يستعرض أمثلة النحت المروية عن القدماء، أو عن ابن فارس خاصة يدرك أن كل الأصوات، أو حروف الهجاء بالأحرى قد وردت معوضا بها عن كلمات كوامل فما من حرف إلا وقد اختزل مادة على طريقة الاشتقاق الكبار ولو نادرا، وقد ناب الحرف وحيدا، أو مع أخ له من الكلمة ذاتها عن جملة الكلمة . والأصوات، أو الحروف التى يقضى لها بالبقاء فى المنحوت تتمتع غالبا بسمات وخصائص تجعلها أثيرة دون ما عداها من الأصوات التى يتم الاستغناء عنها من أهمها: أن يكون الحرف ذا دلالة خاصة على المعنى المراد فى اللفظ المنحوت، وأن يكون له الصدارة فى أصله الذى نحت منه، وأن تكون هذه الأصوات أقوى من غيرها فى الكلمة من حيث الصفة، وأن تكون هذه الأصوات غير مكررة فى الكلمة، وأن تكون هذه الأصوات أركانا فى الأصول التى تم النحت منها" (٢).

---

(١) النحت والتركيب فى اللغة العربية ص٢٠١ .

(٢) انظر المرجع السابق ص٢٠٣-٢٠٦ .

"وبناء على يقيننا بالقيمة التعبيرية للحرف المفرد، وهى قيمة قال بها القدماء نشعر بالحاجة الملحة إلى تثبيت معانى حروف العربية وتحريرها، وأخذ ذلك بعين الاعتبار فى مجامعنا اللغوية والهيئات العلمية المعنية بوضع الألفاظ الجديدة للمخترعات، والأفكار الجديدة لئلا يوضع اللفظ المنحوت لضد ما تدل عليه حروفه المفردة، فليس من المنطقى أو المقبول أن ينحت من حروف "ث-ش-ذ-ر-س-هـ" لفظ يدل على معنى التعقد، والتماسك، والتجمع، وهى التى يغلب استعمالها فى معانى تدل على التسبب والانتشار والتفرق" [١] .

ثانياً: أثر الاشتقاق فى الأصوات اللغوية :

عرفنا - فيما مضى - أن التغيرات التى تحدث عن طريق الاشتقاق تتركز فى الإلصاق، أو التضعيف، أو التحول الداخلى، ويتم ذلك بالزيادة، أو الحذف أو الاستبدال، وهذا بدوره يؤدى إلى أن تتغير مواقع الحروف، وكذلك أن تتغير مجاوراتها من الحروف، وكما أوردنا من قبل أن كل صوت له قيمة تعبيرية وله ظل وإشعاع، وأن الصوت يكتسب صفات أخرى عن تجاوره وتفاعله مع الأصوات فى الكلمة، وهذا ما أفصح عنه العلماء فى دراسة "الفونولوجيا" والذى يعنى به "دراسة الأصوات من حيث وظيفتها فى البنية اللغوية"[٢] وهذا الموضوع فى عمومه يعالج قضية كبرى وهى قضية بنية الكلمة، أو بناء الكلمة فى

---

(١) النحت والتركيب فى اللغة العربية ص٢٢٦ .

(٢) علم اللغة بين التراث والمعاصرة ص١٢١ .

العربية وما يصيبه من زيادة، أو حذف، وما يعرض للكلمة من عوارض مبنى على قوانين صوتية مرجعها الأثر المتبادل بين الأصوات حيث تأتلف ويتصل بعضها ببعض" [١] .

ولذلك فإن "ماريو باى" يرى أن الحدود بين عناصر اللغة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية غير واضحة ومتشابكة لتأثر كل منها بالآخر حيث يقول "إن الحدود بين هذه المستويات الأربعة غير واضحة تماما ومتشابكة، فأصوات اللغة مثلا تتأثر كثيرا بالصيغ، والعكس كذلك صحيح، والصوت والصيغة كلاهما يتأثران - غالبا - بالمعنى، كذلك يوجد تبادل مطرد بين الصرف والنحو" [٢] .

ومن هنا فإن الدكتور محمود السعران يرى أن أصوات أى لغة منطوقة لا حد له فى واقع الأمر، لأن الصوت الواحد ينطق بأشكال متعددة من خلال نوع وصفة الصوت الذى يجاوره وعن ذلك يقول "أن أصوات أى لغة من اللغات لا حد لها فى واقع الأمر، وإن ما نسميه صوتا واحدا قد يتردد بنفسه أكثر من مرة فى كلمة من الكلمات ولكنه ينطق فى كل مرة بصورة خاصة فالفتحة الأولى فى قولنا "بطر" مثلا غير الفتحة الثانية من الناحية الصوتية، وغير الفتحة الثالثة" [٣] .

---

(١) فى علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق د/ البدراوى زهران ص٣١٧ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٩٤م .

(٢) أسس علم اللغة تأليف "ماربوباى" ص٤٤ ترجمة د/ أحمد مختار عمر طبع عالم الكتب بمصر سنة ١٩٨٣م .

(٣) علم اللغة العربية مقدمة للقارئ العرب ص١٩٤-١٩٥ .

"ولذلك فإن الصوت يتغير ويتنوع على حسب موقعه في الكلمة "في أولها، أو في وسطها، أو في آخرها" وحسب ما يجاوره من أصوات مجهورة أو مهموسة، مفخمة أو مرققة، صامتة أو صائتة .. إلخ . فصوت النون مثلا في اللغة العربية في صورته التجريدية صوت لثوى، ولكن هذا الصوت يتحقق في الواقع المنطوق في صور مختلفة على حسب الإطار الصوتي الذى يقع فيه، فيكون شفويا إذا جاء بعده "الباء" كما في "ذنب" فإنها تنطق "ذمب" ، و "عنبر" فتنطق "عمبر" ، وحتى إنبابة ينطق "إمبابة" ، وهو شفوى أسنانى إذا جاءت بعده "فاء" كما في كلمة "منف" أو "أنف" حيث تنطق النون بوضع الشفة عند الثنايا العليا، وهو أسنانى إذا جاء بعده "ثاء" أو "ذال: أو "ظاء" كما في "نثور" و "إن ثاب" أو "إن ظهر" وهو حنكى إذا جاءت بعده أصوات الجيم والشين كما في "نجر" و "نشر" ، وهو لهوى إذا جاء بعده القاف في مثل "نقترب" وصوت النون في "أنا" يختلف عن "نرضى" من حيث إن الأولى مرققة والثانية مفخمة .. وإذا تنبهنا إلى الفتحة الطويلة في كلمتى "العالمين" و "الضالين" نجد أنها في الكلمتين ليست شيئا واحدا، فهى في الكلمة الأولى مرققة بينما هى في الثانية مفخمة، أو هى في كلمة "باب" تختلف عنها في كلمة "بابل" فهى في الكلمة الأولى أطول منها في الثانية من حيث الزمن " (١) .

---

(١) علم اللغة بين التراث والمعاصرة ص١٢٣ .

وهذا يؤكد على أن الصوت وهو مجرد يختلف عن الصوت في سياقه، لتأثره بالأصوات السابقة عليه، أو اللاحقة به، أو كمية الجهد المبذول في إنتاجه، واللغات تختلف في قوانين هذا التأثير .

وهذا التأثير الناتج عن تغير الحروف، أو تأثرها بما يجاورها، إذا أدى إلى تغير في المعنى، فإن ذلك يعد "فونيما" وإذا لم يؤد إلى تغير في المعنى فيكون ذلك "فونا" أو "ألوفونا" "والاختبار" "والاختبار المتبع في حالة كهذه أن يجرب الصوتان بأن يوضع كل منهما مكان الآخر في كلمة ما . مع الاحتفاظ بباقي حروفها، فإذا حدث ووجد اختلاف في المعنى فهما فونيمان، وإذا لم يحدث أي اختلاف في المعنى نتيجة هذا التغير فهما فونان لفونيم واحد"[(١)]. وعلى ذلك فتكون الألوفونات" هي التنوعات الصوتية التي يتحقق بها الفونيم، وذلك يتوقف على موقع الصوت في الكلمة، وعلى الأصوات المجاورة له، مثل مجيئه قبل صامت، أو قبل صائت، أو وروده بين صائتين، أو كونه ملاصقا لصوت مجهور، أو لآخر مهموس"[(٢)]. ولم يكن الصوت مفردا هو الذي يتأثر بالاشتقاق، بل إن المقطع الصوتي يتأثر - أيضا - بالاشتقاق "واللغة العربية حين النطق بها تتميز فيها مجاميع من المقاطع، تتكون كل مجموعة من عدة مقاطع ينضم بعضها إلى بعض، وينسجم بعضها مع بعض، فهي وثيقة الاتصال، وبذلك ينقسم الكلام العربي إلى تلك

---

(١) أسس علم اللغة تأليف "ماريو باي" ص٨٩-٩٠ .

(٢) علم اللغة بين التراث والمعاصرة ص١٢٤ .

المجاميع من المقاطع. وكل مجموعة اصطلح عادة على تسميتها بالكلمة . فالكلمة ليست في الحقيقة إلا جزءا من الكلام، تتكون عادة من مقطع واحد، أو عدة مقاطع وثيقة الاتصال بعضها ببعض، ولا تكاد تنفصم في أثناء النطق، بل تظل مميزة واضحة في السمع . ويساعد بلا شك على تمييز تلك المجاميع معانيها المستقلة في كل لغة" (١) .

" ولا توجد كلمة في أي لغة تحوى أقل من مقطع واحد. أما أكبر عدد من المقاطع التي تكون كلمة فهي تختلف من لغة إلى لغة أخرى، ومع ذلك فكلمات كل لغة تتكون في نهاية الأمر من عدد محدود من المقاطع لا تتجاوزه، فالكلمة المشتقة في اللغة العربية، سواء أكانت اسما أم فعلا، حين تكون مجردة، لا تكاد تزيد على أربعة مقاطع، ويندر أن تتكون من خمسة مقاطع" (٢) .

والاشتقاق له أثره على تغير المقاطع فمثلا لو أخذنا الفعل "كتب" نجد أنه مكون من ثلاثة مقاطع من النوع الأول وهي "كَ" ص ح + "ت" ص ح + "ب" ص ح ولو أننا اشتققنا منه فعلا مضارعا "يكتب" فقد تغير المقطع الأول من كونه مقطعا من النوع الأول إلى مقطع من النوع الثالث فأصبح "يك" ص ح ص + "ت" ص ح + "ب" ص ح . ولو اشتققنا منه اسم فاعل فقلنا "كاتب" وهو يختلف على حسب الحركة التي على الباء، فإن كان "موقوفا عليه بالسكون، فإنه يتكون من مقطعين

---

(١) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص١٦١-١٦٢ ط الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٤م ط٦ .

(٢) الكلمة د/ حلمي خليل ص٤٢ .

الأول من النوع الثانى "كا" ص ح ح ، والثانى من النوع الثالث "يب" ص ح ص . ولو كان متحركا بالتنوين فإنه يتكون من ثلاثة مقاطع وهى "كا" من النوع الثانى ص ح ح ، و "ت" مقطع من النوع الأول ص ح ، والمقطع الثالث من النوع الثالث "بن" ص ح ص . ولو اشتققنا منه اسم مفعول "مكتوب" فإن وقفنا عليه يكون مكونا من مقطعين "مك" ص ح ص ، "توب" ص ح ح ص ، الأول من النوع الثالث والثانى من النوع الرابع، وإذا كان متحركا بالضم "مكتوب" فإنه يتكون من ثلاثة مقاطع "مك" ص ح ص ، و "تو" ص ح ح ، و "ب" ص ح ، الأول من النوع الثالث والثانى من النوع الثانى، والثالث من النوع الأول، والمصدر منه "الكتب فلو أخرجنا" "ال" التعريف، يتكون من مقطعين "كت" و "ب" الأول من النوع الثالث والثانى من الأول .

وبهذا المثال اتضح تأثير الاشتقاق على المقاطع المكونة للكلمة، وإن كان هذا يصدق على الاشتقاق الصغير، أو العام، فإنه فى الكبير، أو الأكبر لم يتحقق، لأنه فى الكبير لم تحدث إضافة تؤثر على مقاطع الكلمة، وكل ما يحدث هو تقليب أحرف الكلمة، فيحل أحد الحروف محل الآخر آخذا حركته فمثلا "كتب، تبك، بتك، بكت، كبت، تكب" هذه التقلبات الستة كل كلمة منها تتكون من ثلاثة مقاطع من النوع الأول "ص ح " ، وكذلك فى الاشتقاق الأكبر حيث أنه يحل صوت فى محل آخر مع اتفاقهما فى المخرج أو اتحادهما فى الصفات كمثال "تهتان وتهتال" أو "أز" و "هز" ، نجد أنه لا يوجد تغيير يتغير على أثره

المقطع، وأما بخصوص "الاشتقاق الكبار، النحت فهو تخليق كلمة جديدة وزنا ومعنى من كلمتين أو اكثر، ولم تقف على تغيير مقاطع كلمة بعينها، فقد تبقى كلمته كاملة ويؤخذ من الأخرى مقطعا واحدا مثل "بسمل" ، "حمدل" فى بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، أو يأخذ مقطعا من كل كلمة، أو مقطعين من كلمة ومثلها من أخرى، أو مقطعين ومقطع، وهذا أمر ليس له قاعدة مطردة، وإنما يحكم بأنه يكون على الوزن. العربى وأن تنسجم أصواته .

وكما أن المقاطع تتأثر فى الاشتقاق كذلك النبر فإنه يتأثر بالاشتقاق "فاشتقاق كلمة من أخرى يؤدى إلى تغير النبر فالفعل الماضى "كتب" يحمل النبر على المقطع "كـ" فإذا جئنا بالمضارع "يكتب" لاحظنا أن النبر قد انتقل إلى المقطع الذى يليه وهو "ت" ، وكذلك إذا اشتققنا من المصدر "انكسار" فعلا ماضيا مثل "انكسر" نلحظ أن النبر ينتقل إلى المقطع الذى قبله، لأنه فى الكلمة الأولى على المقطع "سا" وفى الثانية على المقطع "كـ" [١] .

والنبر "بالنسبة للكلمة يعد من مميزاتها التى تأتى فى مرتبة تالية للفونيم والمقطع، غير أننا لا نستطيع أن نتجاهل دور النبر كمميز صوتى فى المساعدة على التعرف على حدود الكلمات" [٢] .

---

(١) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص١٧٦ .

(٢) الكلمة د/ حلمى خليل ص٤٥-٤٦ .

وتعريف النبر "وهو الضغط على مقطع معين من الكلمة، ليصبح أوضح في النطق من غيره لدى السمع" [١] .

وقد اعتمد المحدثون على قراءات مجيدى القراءات القرآنية للوصول إلى تحديد موضع النبر فى الكلمات، لأنه لا توجد نصوص فصيحة منطوقة مأثورة عن العرب الذين أخذت عنهم اللغة، واستطاعوا من خلال ذلك وضع قواعد توضح مواطن النبر فى الكلمة العربية" لمعرفة موضع النبر فى الكلمة العربية، ينظر أولا إلى المقطع الأخير، فإذا كان من النوعين الرابع والخامس، كان هو موضع النبر، وإلا نظر إلى المقطع الذى قبل الأخير، فإن كان من النوع الثانى أو الثالث، حكمنا بأنه موضع النبر، أما إذا كان من النوع الأول نظر إلى ما قبله، فإن كان مثله أى من النوع الأول مثله، كان النبر على هذا المقطع الثالث حين نعد من آخر الكلمة . ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد من الآخر إلا فى حالة واحدة وهى أن تكون المقاطع الثلاثة التى قبل الأخير من النوع الأول" [٢] .

وبما أن النبر يتضح من خلال المقاطع، إذ إن الذى يتضح من النبر هو مقطع من مقاطع الكلمة، وإذا كانت المقاطع تتغير بالاشتقاق، فلابد أن يتبع ذلك تغير فى النبر - غالبا - لأن مقاطع الكلمة تتغير وتغيرها يستلزم تغير فى موضع النبر فمثلا "كتب" النبر فيها يكون على المقطع الثالث الكاف، فإذا اشتققنا منه المضارع "يكتب" كان النبر على المقطع

---

(١) أصوات اللغة العربية د/ عبد القادر حامد هلال ص١٥٨ مطبعة الجبلاوى بالقاهرة سنة ١٩٨٨م .

(٢) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص١٧٢ .

الثاني التاء وذلك إذا عددنا المقاطع من الآخر . "ونلحظ في كل هذا أن انتقال النبر لا يتجاوز مقطعا واحدا، على أنه في بعض الأحيان قد ينتقل النبر مقطعين، ففي إسناد الفعل الماضي "سمع" إلى جماعة المخاطبات يصبح "سمعتن"، فينتقل النبر من "س" إلى "تن" مجاوزا في انتقاله مقطعين . ولا يكاد يجاوز في تنقله أكثر من مقطعين، والقاعدة التي نعرف بها موضع النبر - والتي سبق شرحها - هي هي في كل الحالات مهما أصاب الكلمة من تغير في نسجها" (١) .

"وتغيير موضع النبر في الكلام، أو بعبارة أخرى انتقال النبر" يؤثر في صيغ الكلمات، وسقوط بعض أصوات الكلمة، أو طول الحركات وما إلى ذلك" (٢) .

ولم يقف تاثير النبر على صيغة الكلمة، أو معناها فحسب، بل يؤثر في أصوات المد من حيث الطول والقصر" فقد لوحظ أن النبر يؤثر تأثيرا كبيرا في الجانب الصوتي بغض النظر عن الجوانب الصرفية والنحوية، فهو مثلا قد يزيد في طول صوت المد في المقطع المنبور نبرا كميا، ويقصر من هذا الطول في المقطع غير المنبور بل أن هذا الضرب من النبر قد يؤدى إلى حذف الصوت المد في مقطع مجاور غير منبور أو إلى انحرافه، ونلاحظ - أيضا - أن النبر التوترى قد يؤدى إلى تقصير صوت المد أو حذفه من المقطع المنبور" (٣) .

---

(١) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص١٧٧ .

(٢) التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه د/ رمضان عبد التواب ص٨٩ طبع الخانجي بمصر سنة ١٩٨٣م .

(٣) في الأصوات اللغوية د/ غالب فاضل المطلبي ص٥٤-٥٥ .

"ويؤثر وجود النبر - أحيانا - في سقوط الحركات من المقاطع التالية للنبر، فقد دلت الملاحظة مثلا، على أنه إذا توالى في اللغات السامية، مقطعان قصيران أولهما منبور، فإن حركة المقطع الثاني تسقط في الكلام، ففي العربية مثلا يقال كثيرا "وهو" بدلا من "وهو" ، و "معه" بدلا من "معه" ، و "فليذهب" بدلا من "فليذهب" و "يذكر" الناتجة عن قانون المماثلة من "يتذكر" بدلا من "يتذكر" [١] .

"وللنبر أهمية جليلة ولكنها ليست على نسق واحد في جميع لغات البشر، ويتضح لنا ذلك بالرجوع إلى كل لغة لنتبين مدى أثره فيها، واحتياجها إليه، والغرض الذي يحققه في تلك اللغة لينبني عليه أهميته فيها: فالصينيون يهتمون به اهتماما بالغا لاعتمادهم عليه في فهم مدلول الألفاظ، وخاصة إذا كان اللفظ دالا على معان متعددة فمثلا كلمة "فان" وهي تدل على النوم، والشجاع، والواجب، والمسحوق، وهذه من فصيلة الأسماء، وتدل على الأفعال في معنى يحرق، ويقسم، فإذا أريد فهم المعنى المراد من تلك اللفظة نظر إلى المقطع الذي نبر، وأوضح صوته، نتيجة نشاط جميع أعضاء النطق، ليبدو لنا المعنى المراد .

وكذلك نجد اللغة الإنجليزية تهتم بالنبر وتستعين به لتحدد الكلمة فإذا نظرنا إلى الكلمة الانجليزية "Sub fictto" فإنها تكون اسما وفعلا، وتتنوع تبعا لموضوع النبر "فإن نبر المقطع الأول كانت اسما، وإن نبر الثاني كانت فعلا" [٢] .

---

(١) التطور اللغوي د/ رمضان عبد التواب ص٩٠ .

(٢) التجويد والأصوات د/ إبراهيم محمد نجا ص٧٨-٧٩ طبع سنة ١٩٧٢م .

"وللنبر معنى ثانوى – فى كل اللغات تقريبا – هو التأكيد أو الدلالة على الانفعال" [١] وأما بخصوص اللغة العربية الفصيحة فإن تغير النبر فيها لا يؤثر على معناها ولذلك يقول الدكتور إبراهيم أنيس "ولحسن الحظ لا تختلف معانى الكلمات العربية ولا استعمالها باختلاف موضع النبر منها" [٢] . والدكتور حلمى خليل يرى إن صدق ذلك على العربية الفصيحة، فإنه لا يصدق على العربية المعاصرة، إذ استخدم النبر كوسيلة للتفريق بين المعانى، وذلك فى قوله "ولعل ذلك يصدق على العربية الفصحى، إلا أننا نستطيع أن نرى لتغير مواضع النبر فى اللغة العربية المعاصرة ما يفرق بين الكلمات ودلالاتها، كالذى يحدث عندما نسمع كلمة "نعم" حين يراد بها الإثبات فإن النبر حينئذ يكون على المقطع الأول، أما إذا استخدمت ليراد بها الاستفهام أو الاستنكار فى العامية، فإن النبر ينتقل إلى المقطع الثانى، وبشكل عام فإن العامية تستخدم مواضع النبر فى التفريق بين الكلمات ودلالتها بشكل واسع، وهو ما يشير إليه علماء اللغة من استخدامات للنبر للدلالة على معان إضافية كالتأكيد، ويسمى النبر حينئذ انفعالى" [٣] .

---

(١) أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار هلال ص٢٦٢ .

(٢) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص١٧٤ .

(٣) الكلمة د/ حلمى خليل ص٤٥ .

وبعد ،،،

فهذه دراسة تناولت فيها أثر الأصوات اللغوية ودورها في الاشتقاق ليتم له القدرة على توليد الصيغ المختلفة عن طريق الإلصاق، والتضعيف، والتحول الداخلي، والتي يظهر من خلالها بيان القيمة التعبيرية للصوت في حالة الإفراد والتركيب، كما تناولت أيضا أثر الاشتقاق في الأصوات اللغوية وذلك من حيث تأثير الأصوات بعضها ببعض عند التلاحم، وكذلك تأثيره على المقاطع وتغيرها، وتغير النبر وانتقاله . وأدعو من الله أن أكون قد وفقت في معالجة ذلك وعلى الله قصد السبيل .

المصادر والمراجع

١- أسس علم اللغة - تأليف "ماريوباي" ترجمة د/ أحمد مختار عمر طبع عالم الكتب بالقاهرة سنة ١٩٨٣م .

٢- الأسس اللغوية لعلم المصطلح - د/ محمود فهمي حجازي طبع دار غريب للطباعة والنشر بالقاهرة .

٣- الاشتقاق - لأبي بكر محمد بن السري السراج تحقيق محمد صالح التكريتي - مطبعة المعارف - بغداد سنة ١٩٧٣م .

٤- الاشتقاق - تأليف عبد الله أمين - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥٦م .

٥- الأصوات اللغوية - د/ إبراهيم أنيس طبع مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٤م الطبعة السادسة .

٦- أصوات اللغة العربية - د/ عبد الغفار حامد هلال طبع مطبعة الجبلاوى بالقاهرة سنة ١٩٨٨م الطبعة الثانية .

٧- التجويد والأصوات - د/ إبراهيم محمد نجا طبع كمبيوتر بدون ذكر مطبعة سنة ١٩٧٢م .

٨- التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه - د/ رمضان عبد التواب طبع مطبعة الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٨٣م الطبعة الأولى .

٩- الخصائص - تأليف أبي الفتح بن جني تحقيق محمد على النجار - طبع عالم الكتاب لبنان - بيروت .

١٠- دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح طبع دار العلم للملايين - لبنان - بيروت سنة ١٩٨١م الطبعة التاسعة .

١١- دراسات في المعجمات العربية د/ ناجح عبد الحافظ مبروك طبع مطبعة الأمانة بالقاهرة سنة ١٩٨٧م .

١٢- شرح ابن عقيل لبهاء الدين عبد الله بن عقيل على ألفية ابن مالك طبع المكتبة العصرية - لبنان .

١٣- علم الدلالة العربى النظرية والتطبيق د/ فايز الداية طبع دار الفكر - دمشق سنة ١٩٨٥م .

١٤- علم اللغة د/ على عبد الواحد وافى طبع دار نهضة مصر الطبعة السابعة .

١٥- علم اللغة بين التراث والمعاصرة د/ عاطف مدكور طبع دار الثقافة للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٧م .

١٦- علم اللغة بين القديم والحديث د/ عبد الغفار حامد هلال طبع مطبعة الجبلاوى بالقاهرة سنة ١٩٨٦م الطبعة الثانية .

١٧- علم اللغة مقدمة للقارئ العربى د/ محمود السعران طبع دار النهضة العربية للطباعة والنشر - لبنان .

١٨- عوامل تنمية اللغة د/ توفيق محمد شاهين طبع مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٩٨٠م .

١٩- فصول فى فقه العربية د/ رمضان عبد التواب طبع مكتبة التراث بالقاهرة سنة ١٩٧٧م .

٢٠- فقه اللغة د/ على عبد الواحد وافى طبع دار نهضة مصر .

٢١- فقه اللغة العربية وخصائصها د/ إميل بديع يعقوب طبع دار العلم للملايين - لبنان سنة ١٩٨٢م .

٢٢- فقه اللغة العربية د/ كاصد ياسر الزيدى طبع وزارة التعليم العالى والبحث العلمى - جامعة الموصل - بغداد سنة ١٩٨٦م .

٢٣- فلسفة اللغة العربية د/ عثمان أمين طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة سلسلة المكتبة الثقافية رقم ١٤٤ سنة ١٩٦٥م .

٢٤- فى أصول النحو تأليف د/ سعيد الأفغانى طبع المكتب الإسلامى - لبنان سنة ١٩٨٧م .

٢٥- فى الأصوات اللغوية دراسة فى أصوات المد العربية د/ غالب فاضل المطلبى - منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية رقم ٣٦٤ سنة ١٩٨٤م.

٢٦- فى علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق د/ البدراوى زهران طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٩٤م .

٢٧- فى علم اللغة العام د/ عبد الصبور شاهين طبع مؤسسة الرسالة - لبنان سنة ١٩٨٤م الطبعة الرابعة .

٢٨- فى اللغة العربية وبعض مشكلاتها د/ أنيس فريحة طبع سنة ١٩٨٠م .

٢٩- الكتاب - سيبويه - تحقيق عبد السلام محمد هارون نشر الخانجى بالقاهرة سنة ١٩٨٢م .

٣٠- الكلمة دراسة لغوية معجمية د/ حلمى خليل طبع دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٩٨م .

٣١- كلام العرب من قضايا اللغة العربية د/ حسن ظاظا طبع دار النهضة العربية للطباعة والنشر - لبنان سنة ١٩٧٦م .

٣٢- اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان طبع الهيئة العامة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٩م .

٣٣- المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها تأليف محمد الأنطاكى طبع دار الشرق العربى - لبنان - الطبعة الثالثة .

٣٤- المزهر فى علوم اللغة تأليف جلال الدين السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون طبع الحلبى سنة ١٩٥٨م .

٣٥- من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس طبع مطبعة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٨م.

٣٦- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين د/ رمضان عبد التواب نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة سنة ١٩٨٦م .

٣٧- النحت والتركيب فى اللغة العربية د/ أحمد رزق مصطفى السواحلى طبع كمبيوتر الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م .

فواصل سورة مريم
دراسة لغوية شاملة

للأستاذ الدكتور على أحمد طلب

رئيس قسم اللغويات فى الكلية

تمهيد

معنى الفاصلة

الفاصلة – في اللغة – اسم فاعل مؤنث، مشتق من الفصل: وهو إبانة أحد الشيئين عن الآخر، حتى يكون بينهما فرجة، ومن هذا الأصل "النصال" وهو التفريق بين الصبي والرضاع، قال الله – عز وجل – ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[١] ، ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً﴾[٢] .

وفي الاصطلاح: الفاصلة آخر كلمة في الآية القرآنية، والفواصل أواخر الآي[٣] .

قال ابن منظور :

وأواخر الآيات – في كتاب الله – فواصل، بمنزلة قوافي الشعر – جل كتاب الله – عز وجل – واحدتها فاصلة .

وقوله – عز وجل – "بكتاب فصلناه"[٤] له معنيان :

أحدهما: تفصيل آياته بالفواصل، والمعنى الثاني – في فصلناه – بيناه[٥]

وفي قوله – سبحانه وتعالى ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت﴾[٦] .

---

(١) سورة لقمان / الآية ١٤ .
(٢) سورة البقرة / الآية ٢٣٣ .
(٣) المفردات للراغب الأصفهاني ٣٨١ .
(٤) سورة الأعراف / الآية ٥٢ .
(٥) لسان العرب (فصل) .
(٦) سورة هود / الآية ٢ .

قال أبو جعفر النحاس : "جعلت متفرقة ليتدبر"[١]

ولما كانت الفاصلة - في الآية القرآنية بمنزلة القافية في بيت الشعر، والشعر من كلام البشر وقد رمى بعض كفار مكة القرآن بأنه شعر، ووصف النبي ﷺ بأنه شاعر ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[٢]. وقد رد الله ذلك عليهم في قوله الكريم - ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[٣] ، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٤] .

لما كان الأمر كذلك تحرز العلماء المتقدمون من إطلاق الفاصلة على آخر الآية القرآنية .

وسموا أواخر الآيات التي تفصل كل آية عن التي بعدها رؤوس الآيات.

قال الفراء - في تعليل حذف كاف الخطاب في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[٥] - يريد : وما قلاك، فألقيت الكاف كما تقول: قد أعطيتك، وأحسنت، ومعناه: أحسنت إليك، فنكتفي بالكاف الأولى من إعادة الأخرى، لأن رؤوس الآيات بالياء[٦]،

---

(١) إعراب القرآن ٧٨/٢ .

(٢) سورة الطور / الآية ٣٠ .

(٣) سورة يس / الآية ٦٩ .

(٤) سورة الحاقة / الآية ٤١-٤٢ .

(٥) سورة الضحى / الآية ٣ .

(٦) يعني أن آيات سورة الضحى تنتهي بالألف المقصورة التي ترسم في المصحف ياء .

"فاجتمع ذلك فيه"[١] .

وقال – في بيان سر الإفراد في قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[٢] – معناه: الادبار، وكأن القرآن نزل على ما يستحبه العرب من موافقة المقاطع، ألا ترى أنه قال: ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾[٣] فتقل. فى "اقتربت" لأن آياتها منقلة، قال: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾[٤] .

فاجتمع القراء على تثقيل الأول، وتخفيف هذا، ومثله، ﴿والشمس والقمر بحسبان﴾[٥] ، ﴿ جزاء عطاء حسابا ﴾ [٦]فأجريت رءوس الآى على هذه المجارى، وهو أكثر من أن يضبطه هذا الكتاب، ولكنك تكتفى بهذا منه ان شاء الله [٧] .

ولأن النبى ﷺ ذم سجع الكهان، اجتهد العلماء فى نفى السجع عن الذكر الحكيم – ووجدنا كلامهم فى هذه القضية – مع بداية القرن الرابع الهجرى . يتضمن التعبير بالفاصلة تمييزا لها عن السجع . وها هو الباقلانى فى كتابه "إعجاز القرآن – يقول: "أما الفواصل فهى حروف متشاكلة فى المقاطع . يقع بها إفهام المعانى، وفيها بلاغة، والأسجاع

---

(١) معانى القرآن ٢٧٤/٣ .

(٢) سورة القمر / الآية ٤٥ .

(٣) سورة القمر / الآية ٦ .

(٤) سورة الطلاق / الآية ٨ .

(٥) سورة الرحمن / الآية ٥ .

(٦) سورة النبأ / الآية ٣٦ .

(٧) معانى القرآن ٢٧٤/٣ .

عيب، لأن السجع يتبع المعنى، والفواصل تابعة للمعانى، والسجع كقول مسيلمة، ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة، كما قد تقع على حروف متقاربة"[١] . والسيوطى يُعرّف الفاصلة "بأنها كلمة آخر الآية كقافية الشعر، وقرينة السجع"[٢] .

والفواصل نوعان: متماثلة ومتقاربة

١- فالفواصل المتماثلة هى التى اتحدت أواخر كلماتها مثل ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾[٣] . ومثل آيات سورة "الضحى" وآيات سورة "القمر" .

٢- والفواصل المتقاربة هى التى تقاربت أحرف كلماتها ولم تتحد كالميم والنون فى سورة الفاتحة، والدال والباء فى قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾[٤] .

"وفائدة الفواصل دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل، وابداؤها فى الآى بالنظائر"[٥] .

---

(١) إعجاز القرآن بهامش الإتقان للسيوطى ٢٠٨/١ .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢٢٤/٣ .

(٣) سورة الطور / الآية ١-٤ .

(٤) سورة ق / الآية ٢٤-٢٦ .

(٥) النكت فى إعجاز القرآن :على بن عيسى الرمانى ص٩٧ - وانظر الإعجاز البيانى للقرآن الكريم د/ عائشة عبد الرحمن ص٢٥٨ .

ملحوظات:

١- مبنى الفواصل على الوقف وتسكين الحرف الأخير، ولهذا ساغ فيها مقابلة، المرفوع بالمجرور كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١] . ومقابلة المجرور بالمرفوع كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[٢] .

٢- يكثر في الفواصل القرآنية أن تختم بأحرف المد واللين، والنون[٣] .

٣- بعض الفواصل التزم فيها التجانس بين حرفين مثل التزام الراء قبل الكاف في قوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذى أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك﴾[٤] ومثل التزام السين قبل القاف في قوله تعالى: ﴿والليل وما وسق * والقمر اذا اتسق﴾[٥] .

وبعضها التزم فيها التجانس بين ثلاثة أحرف مثل ﴿ن والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون، وإن لك لأجرا غير ممنون﴾[٦] .

وبعضها التزم فيه التجانس من أربعة أحرف مثل قوله تعالى: ﴿إن الذين

---

(١) سورة الواقعة / الآية ٢٢-٢٤ .

(٢) سورة المدثر / الآية ٤٦-٤٨ .

(٣) الإتقان ١٣٢/٢ .

(٤) سورة الانشراح / الآية ١-٤ .

(٥) سورة القيامة .

(٦) سورة القلم / الآية ١-٣ .

اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون * وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون﴾[١] .

٤- قد يتحد لفظ الفاصلة المتماثلة فى آيتين متجاورتين كقوله تعالى - فى سورة مريم : ﴿أن دعوا للرحمن ولدا، وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا﴾[٢] ، ومثل "لينبذن فى الحطمة" .

٥- وقد تتحد كلمة الفاصلة والكلمة التى قبلها فى آيتين متجاورتين مثل "غفور رحيم" فى الآيتين (٦٩-٧٠) من سورة الأنفال .

الفواصل ومخالفة الأصول النحوية :

للشيخ شمس الدين بن الصانع الحنفى المصرى كتاب سماه "إحكام الرأى فى أحكام الآى" قال فيه :

اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية، يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول، وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فىآخر الآى مراعاة للمناسبة، فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكما [٣] .

١- منها التقديم :

أ- تقديم المعمول على العامل نحو ﴿أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون﴾[٤] .

---

(١) سورة الأعراف .

(٢) سورة مريم .

(٣) الإتقان .

(٤) سورة سبأ .

ب- تقديم المفعول على الفاعل نحو ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾[١] .

جـ- تقديم الخبر على المبتدأ نحو ﴿فيها سرر مرفوعة * وأكواب موضوعة﴾[٢] .

د- تقديم المفضول على الفاضل نحو ﴿قالوا آمنا برب هارون موسى﴾[٣]

٢- ومنها الحذف :

أ- حذف ياء المنقوص المعرف نحو ﴿وهو الكبير المتعال﴾[٤] ﴿يوم التناد﴾[٥] .

ب- حذف ياء المضارع غير المجزوم نحو ﴿والليل إذا يسر﴾[٦] .

جـ- حذف المفعول به نحو ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾[٧]

د- حذف ياء الإضافة نحو ﴿فكيف كان عقاب﴾[٨] ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾[٩] .

---

(١) سورة القمر .

(٢) سورة الغاشية .

(٣) سورة طه .

(٤) سورة الرعد .

(٥) سورة غافر .

(٦) سورة الفجر .

(٧) سورة الليل / الآية ٥-٦ .

(٨) سورة غافر / الآية ٥ .

(٩) سورة ص / الآية ٨ .

٣- ومنها الزيادة :

أ- زيادة ألف المد نحو ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾(١) ﴿فأضلونا السبيلا﴾(٢).

ب- زيادة هاء السكت ﴿ما أغنى عنى ماليه * هلك عنى سلطانية﴾(٣) .

جـ- صرف الممنوع من الصرف نحو ﴿ويطاف عليهم بكأس من فضة وأكواب كانت قواريرا﴾(٤) .

٤- ومنها إيثار أغرب اللفظين :

نحو: ﴿تلك إذا قسمة ضيزى﴾(٥) ولم يقل جائرة .

ونحو: ﴿لينبذن فى الحطمة * وما أدراك ما الحطمة﴾(٦) .

ونحو : ﴿كلا إنها لظى * نزاعة للشوى﴾(٧) .

٥- ومنها الاستغناء :

أ- بالمفرد عن الجمع نحو ﴿واجعلنا للمتقين اماما﴾(٨) ونحو ﴿ ان المتقين فى جنات ونهر﴾(٩) .

---

(١) سورة الأحزاب / الآية ١٠ .
(٢) سورة الأحزاب / الآية ٦٧ .
(٣) سورة الحاقة / الآية ٢٨-٢٩ .
(٤) سورة الإنسان / الآية ١٥-١٦ .
(٥) سورة النجم / الآية ٢٢ .
(٦) سورة الهمزة / الآية ٤-٥ .
(٧) سورة المعارج / الآية ١٥ .
(٨) سورة الفرقان / الآية ٧٤ .
(٩) سورة القمر / الآية ٥٤ .

ب- بالإفراد عن التثنية نحو ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾[١] .

جـ- بالجمع عن المفرد نحو ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾[٢] .

ثم قال ابن الصائغ رحمه الله بعد الاستشهاد لهذه الأمور الكثيرة :

"لا يمتنع في توجيه الخروج - عن الأصل - في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة فإن القرآن الكريم - كما جاء - في الأثر - لا تنقضي عجائبه" .

ومن هذه الأمور الأخرى ما أشارت إليه الدكتورة عائشة عبد الرحمن - يرحمها الله تعالى - في تعليل حذف كاف المخاطب من الفعل قلى في سورة الضحى .

ونرى - والله أعلم - أن حذف الكاف من "وما قلى" - مع دلالة السياق عليها - تقتضيه حساسية مرهفة، بالغة الدقة واللطف هي تحاشي خطابه تعالى رسوله المصطفى .

- في موقف الإيناس - بصريح القول "وما قلاك" لما في القلى من حسن الطرد والإبعاد وشدة البغض، أما التوديع فلا شئ فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب، كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة، وأمل اللقاء .

---

(١) سورة طه / الآية ١١٧ .

(٢) سورة إبراهيم / الآية ٣١ .

وحذفت كاف الخطاب - في الفواصل بعدها - لأن السياق - بعد ذلك - أغنى عنها - ومتى أعطى السياق الدلالة المرادة مستغنيا عن الكاف فإن ذكرها يكون من الفضول والحشو المنزه عنهما أعلى بيان [١] .

بين يدى فواصل سورة مريم

سورة مريم سورة مكية، وهى السورة التاسعة عشر فى ترتيب المصحف وهى السورة الرابعة والأربعون فى ترتيب النزول . نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه، وسورة طه نزلت قبل إسلام عمر بن الخطاب - كما يؤخذ من قصة إسلامه - فيكون نزول هذه السورة سنة أربع من البعثة [٢] .

ووجه التسمية انها بسطت فيها قصة مريم وابنها وأهلها قبل أن تفصل فى غيرها ولا يشبهها فى ذلك إلا سورة آل عمران، التى نزلت فى المدينة، وعدد آياتها ٩٨ آية .

وقد اشتملت سورة مريم من خصائص القرآن المكى على ما يلى:

١- البدء بالحروف الهجائية "كهيعص" .

٢- ذكر كلمة "كلا" فقد ذكرت فيها مرتين :

فى الآية (٧٩) ﴿كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا﴾

وفى الآية (٨٢) ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾ .

---

(١) الإعجاز البيانى للقرآنى الكريم ٣٦٩ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٥٨/٨ .

٣- قصص الأنبياء السابقين – وقد ورد فيها ذكر اثنى عشر نبيا :

آدم – نوح – إبراهيم – إسماعيل – إسحق – يعقوب – زكريا – يحيى – إدريس – موسى – عيسى – هارون – صلوات الله وسلامه عليهم جميعا.

٤- آية السجدة .

٥- قصر الآيات غالبا .

٦- تناولت أصول العقيدة: التوحيد، البعث، الجزاء، الجنة والنار .

دراسة فواصل السورة

في فصلين :

أ- دراسة الفواصل دراسة دلالة صرفية نحوية .

ب- دراسة الفواصل دراسة تحليلية .

فى الفصل الأول – سأتناول فاصلة كل آية ببيان معناها، وأصلها الاشتقاقي ووزنها الصرفي، وما حدث فيها من تغيير، وجموعها ان كانت مفردة ومفردها ان كانت جمعا . وإعرابها . والفاصلة التى تكررت فى أكثر من آية ، تدرس عند تناول أول آية وردت فيها مع ذكر الآية أو الآيتين، أو الآيات التى وردت فيها .

وفى الفصل الثانى. سأتناول . بمشيئة الله خصائص الفاصلة القرآنية وأحكامها كما سنراها فى هذه السورة الكريمة .

فواصل سورة مريم دراسة لغوية :

١- كهيعص ﴿

سورة مريم إحدى تسع وعشرين سورة بدئت بحروف هجائية: بحرف أو حرفين أو ثلاثة، أو بأربعة، أو بخمسة .

وهي واحدة من سورتين بدئتا بخمسة أحرف، والسورة الثانية سورة الشورى والسور المبدوءة بهذه الحروف مكية إلا سورتين هما البقرة وآل عمران وقد اختلف العلماء في مدلول هذه الأحرف التي افتتحت بها هذه السور: ولهم في ذلك آراء كثيرة أشهرها وأقواها أنها تذكير بإعجاز القرآن الكريم، وانه من عند الله، وليس من كلام البشر بدليل أن ألفاظه مكونة من الحروف الهجائية المكون منها ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بسورة مثله [1] .

وفاصلة هذه الآية الكريمة تنتهي بدال ساكنة "صَادْ" .

وهذه الأحرف لا محل لها من الإعراب . إلا عند من يجعلها اسما للسورة. فتكون خبر مبتدأ محذوف، أو مفعولا به لفعل محذوف، فتكون مرفوعة على الأول، ومنصوبة على الثاني، وعلامة الرفع، أو النصب مقدرة منع من ظهورها انتقال المحل بسكون الحكاية .

---

(١) انظر في مدلول هذه الحروف تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٩٩، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٦٠ ، ومعاني القرآن لأبي جعفر النحاس ١/ ٧٣ ، ونزهة القلوب لابن عزيز السجستاني ٤ ، تفسير النسفي ١/ ٩ تفسير أبي السعود ١/ ٢ ، دراسة تحليلية لغوية لسور قرآنية للدكتور علي أحمد طلب ٥٣ .

٢ـ زكريا :

﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾

زكريا بالقصر – قراءة حفص وحمزة والكسائى

"وزكرياء" بالمد قراءة باقى القراء . فى هذه الآية الكريمة، وحيث وقع فى القرآن الكريم [1] .

"وزكريا" فى هذه الآية الكريمة بدل من "عبد" الذى هو مفعول به للمصدر "رحمة" ويجوز أن يكون عطف بيان .

٣ ـ خفياً :

"خفيا" وصف على وزن فعيل "مشتق من الخفاء والخفية – بضم الخاء وكسرها – يقال: خفى الشئ يخفى خفاء وخفية: استتر، ويقال: خفى عليه الأمر فهو خاف وخفى [2] "خفى" صيغة مبالغة ، وجمعه أخفياء .

وقد ورد هذا الوصف فاصلة الآية الثالثة من هذه السورة الكريمة .

"إذ نادى ربه نداء خفيا"

وخفيا صفة منصوبة للمفعول المطلق "نداء" .

ولم يرد هذا اللفظ فى غير هذه الآية إلا فى الآية ٤٥ من سورة الشورى: ﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى وقال

---

(١) كتاب السبعة لابن مجاهد ٢٠٤ – تحقيق الدكتور / شوقى ضيف .

(٢) المعجم الوسيط ٢٤٧ .

الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم﴾ .

٤ ـ شقيا (٣٢ ـ ٤٨) .

ورد لفظ شقى - فاصلة لثلاث آيات من هذه السورة الكريمة :

الآية (٤) ﴿ قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا ﴾

الآية (٣٢) ﴿وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا﴾ .

الآية (٤٨) ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاءربى شقيا ﴾

و "شقى" وصف على وزن فعيل - مأخوذ من الشقاوة والشقاء .

قال ابن فارس :

الشين والقاف والحرف المعتل أصل يدل على المعاناة، وخلاف السهولة والسعادة، والشقوة[1] خلاف السعادة، ورجل شقى بين الشقاء والشقوة والشقاوة[2] ، فـ "شقى" صفة مشبهة، والأصل فيه "شقيو" بالواو حدث فيه إعلال بالقلب . إذ اجتمعت الياء والواو فى كلمة واحدة مع سكون الأول منهما وهو الياء، فقلبت الواو ياء، وأدغم الياءان، وجمع شقى أشقياء .

---

(١) وردت شقوة فى قوله تعالى (ربنا غلبت علينا شقوتنا) المؤمنون ١٠٦ .

(٢) معجم مقاييس اللغة تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ٢٠٢/٣ .

وشقي في الآيات الثلاث منصوب . في الآية الأولى لأنه خبر لم أكن .

وفي الآية الثالثة خبر "أكون" .

أما في الآية الثانية – "ولم يجعلني جبارا شقيا" فهو نعت للمفعول الثاني للفعل "يجعل" ويحتمل – أيضا – أن يكون مفعولا ثانيا مكررا .

٥ ـ وليا (٤٥)

"ولي" وصف على وزن "فعيل" من الولاية، وهو صيغة مبالغة محوله عن "وال" ومن معاني الولاية النصرة، فالولي هو النصير، وهو المقصود في هذه الآية والله أعلم .

وللولي معان أخرى منها المحب، والصديق، والحليف، والمعتق، والمطيع .[1] وقد ورد هذا الوصف فاصلة آيتين من سورة مريم .

الآية (٥) ﴿ وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا ﴾ قال الراغب: "أي ابنا يكون من أوليائك"[2] .

الآية (٤٥) يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا :

أي: "فتكون في اتباع الشيطان في العذاب"[3] – قال الله – عز وجل

---

(١) انظر المعجم الوسيط ١٠٥٨ .

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٥٣٤ .

(٣) تفسير التحرير والتنوير ١١٨/٨ .

﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾[1]

الإعراب :

وليا في الآية الأولى - مفعول به للفعل هب .

وفي الآية الثانية خبر تكون مضارع كان الناقصة .

ملحوظتان :

١- الولي: اسم من أسماء الله تعالى، ويوصف به العبد - أيضا - والمراد بولي الله من العباد العالم بالله تعالى ، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته [2] .

٢- جمع "الولي" أولياء .

وقد ورد لفظ "ولي" في القرآن الكريم أربعا وأربعين مرة .

أما أولياء - فقد ورد - في الذكر الحكيم اثنين وأربعين مرة [3] .

٦- رضياً

"رضيّ" وصف على وزن فعيل - من الرضوان، وأصله "رضيو" فحدث فيه ما حدث في "شقي" مَن الإعلال والإدغام .

---

(١) سورة الأعراف / الآية ٣٧ .

(٢) انظر مفردات القرآن للدكتور محمد جميل غازي ٧٩ . نقلا عن ابن حجر العسقلاني، وانظر التعريفات ٢٥٤ .

(٣) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فريد وجدي ٧٦٧ .

وقد ورد هذا اللفظ فاصلة الآية السادسة من سورة مريم

"يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا"

ويحتمل رضيا، فى هذه الآية الكريمة أن يكون بمعنى فاعل، أى كثير الرضا فيكون صيغة مبالغة مثل قدير، وعليم، وحفيظ .

كما يحتمل أن يكون بمعنى مفعول مثل قتيل وجريح وأسير. فيكون معناه "مرضيًا" وجمع رضى إذا كان للمبالغة أرضياء، بزنة أفعلاء، ورضاة بزنة فعلة بضم الفاء. مثل تقى وأتقياء وتقاة .

وإذا كان بمعنى مفعول يكون جمعه "رضوى" بزنة فعلى مثل قتلى وأسرى وجرحى ورضيا، فى هذه الآية الكريمة. مفعول ثان للفعل أجعل، والهاء مفعوله الأول ولم يرد لفظ - رضى ، فى غير هذه الآية من القرآن الكريم فهو من المفردات التى اختصت بها سورة مريم .

٧- سَمّيا (٦٥)

"سمى" وصف على وزن "فعيل" من السمو وهو العلو والارتفاع، يقال منه سموت وسميت (بالواو والياء) مثل علوت وعليت، وسلوت وسليت[1].

وأصل "سمى" سميو" حدث فيه ما حدث فى شقى من الإعلال والإدغام وقد ورد هذا الوصف فاصلة لآيتين من سورةمريم .

(٧) ﴿يا ذكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾

---

(١) تفسير غريب القرآن تحقيق الأستاذ السيد صقر ٢٧٢ .

(٦٥) ﴿رب السموات والأرض وما بينهما هل تعلم له سميا﴾ .

قال ابن قتيبة : في الآية الأولى - أي لم يسم أحد قبله "يحيى" فأما قوله هل تعلم له سميا . في الآية الثانية : فإنه أراد - فيما ذكره المفسرون - شبيها ، ولو أراد أن لا يسمى الله غيره كان وجها"[1] وقد اقتصر على المعنى الأول الراغب الأصفهاني، واستبعد الثاني فقال: أي نظيرا له يستحق اسمه، وموصوفا يستحق صفته على التحقيق، وليس المعنى: هل تجد من يتسمى باسمه إذ كان كثير من أسمائه قد يطلق على غيره"[2] .

وسمي - في الآية الأولى بمعنى مسمى فهو اسم مفعول .

وفي الآية الثانية الراجح انها بمعنى شبيه أو مشابه فهي بمعنى "مفاعل".

٨- عتيا (٦٩)

"عتيا" مصدر عتا يعتو عُتيا وعُتوا: استكبر، وجاوز الحد فهو عات وعتى والجمع عُتّى، وعتا الشيخ عتيا - بالضم - ويفتح: كبر وولى .

وقد ورد هذا اللفظ فاصلة آيتين من هذه السورة الكريمة .

الآية (٨) ﴿ قال رب أني يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ﴾ .

الآية (٦٩) ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾

---

(١) مختار الصحاح (سما) .

(٢) المفردات / ٢٤٤ .

قال الراغب: وقد بلغت من الكبر عتيا - أى حالة لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها [(١)]

وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم :

بلغت من الكبر عتيا: مبلغا كبيرا، أشد عتيا - أشد تمردا ، وعتو: تجبر[(٢)].

وقد اختلف القراء فى ضبط "عتيا" فى هاتين الآيتين :

فقرأ ابن كثير ونافع، وأبو عمرو وابن عامر وعاصم فى رواية أبى بكر - بضم العين وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم بكسر العين والتاء"[(٣)]

و "عتيا" على القراءتين مصدر على وزن فعول "بضم الفاء مثل قعود وجلوس .

وأصل "عيتى" عتوو - بواوين - الأولى ساكنة . تدغم فى الثانية فيقال عُتُوّ . هذا هو الكثير والغالب مثل "علوّ" وغلوّ .

ويجوز قبل الادغام قلب الواو والثانية ياى - فراراً من اجتماع واو مشددة بعد ضمة فى آخر الاسم، فيصير عتوى "فيجب قلب الواو ياء، وإدغام الياءين فيصير عُتُىّ ، ثم تقلب ضمة التاء كسرة لمناسبة الياء فتصير عُتِىّ .

ويجوز قلب ضمة العين كسرة لمناسبة كسرة التاء فيصير عتى [(٤)] .

---

(١) المفردات ٣٢١ .

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية ٧٤٤/١ .

(٣) كتاب السبعة ٤٠٧ .

(٤) انظر شرح الشافية للرضى ١٧٣/٣ أو شرح ابن عقيل ٥٧٩/٢ .

وبهذا يظهر لنا أن في لفظ "عتي" ثلاثة أوجه صحيحة :

عتو . عُتي – عتي .

وقد جاء على الوجه الأول قوله تعالى ﴿ وعتوا عتوا كبيرا ﴾ ، بل لجوا في عتو ونفور، وجاء على عُتي قراءة جمهور القراء في الآيتين السابقتين من سورة مريم وجاء على عتي "بكسر العين والتاء قراءة حمزة والكسائي ورواية حفص عن عاصم .

الإعراب :

"عتيا" في الآية الأولى – صفة لمفعول به محذوف والتقدير سناً عتيا [1] .

وفي الآية الثانية – تمييز .

ملحوظة : قرأ عبدالله بن مسعود عتيا – بفتح العين[2] – فيكون مصدرا على وزن فعيل .

٩- شيئا (٤٢-٦٠-٦٧)

شيئا في الأصل – مصدر شاء الأمر يشاؤه شيئا بمعنى أراده – ومنه "ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن" ثم أصبح اسم ذات يراد به ما يمكن تصوره، والإخبار عنه، يكون للعاقل ولغيره .

وجمع شئ أشياء، وقد اختلف الصرفيون في حقيقة "أشياء"، وماحدث

---

(١) انظر اعراب القرآن للنحاس ٣٠٥/٢ – اعراب القرآن ٤٠٥/٢ .

(٢) انظر مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ٨٦ ، التبيان ٨٦٧/٢ . البحر المحيط ١٧٥/٦ .

فيها من تغيير ولهم فى ذلك عدة آراء لا يتسع المجال هنا لعرضها ومناقشتها [1] .

وقد ورد لفظ شئ فاصلة أربع آيات من سورة مريم :

٩- قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا :

الآية ٤٢ ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ﴾ .

الآية ٦٠ ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ﴾ .

الآية ٦٧ ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ﴾ .

الإعراب :

شيئا فى الآية التاسعة خبر "تك" مضارع كان الناقصة وكذلك فى الآية (٦٧) خبر "يك" مضارع كان الناقصة أما فى الآية (٦٠) فيحتمل وجهين :

أن يكون مفعولا ثانيا للفعل يظلم

وأن يكون مفعولا مطلقا ، وفى الآية ٤٢ يتعين أن يكون شيئا مفعولا مطلقا .

---

(١) انظر التبصرة والتذكرة للصيمرى ٩٠٣/٢ ، الإنصاف للأنبارى المسألة ١١٨ ، صحاح الجوهرى ٥٠٨/١ كتاب التكملة لأبى الفارسى ٣٣٠ ، شرح الشافية للرضى ٣٠/١ .

١٠- سويا (١٧-٤٣) .

السوى: المعتدل والمستقيم بمعنى أنه مصون عن الإفراد والتفريط وهو صفة مشبهة على وزن "فعيل" مأخوذة من السوى - بكسر السين: يقال: سوى الشئ يسوى - كفرح يفرج - يسوى: أى : استقام أمره .

والفعل سوى: لفيف مقرون، وأصله: سوو - بواوين - قلبت الواو الثانية باء لتطرفها بعد كسرة كما في قوى ورضى .

وأصل سوى - "سويو" قلبت الواو الأخيرة ياء لاجتماعها مع الياء الساكنة قبلها ثم ادغم الياءان، وجمع سوى أسوياء مثل تقى وأتقياء، وذكى وأذكياء .

وقد ورد لفظ "سوى" فاصلة منصوبة للآيات (١٠،١٧،٤٣) من سورة مريم:

الآية (١٠) ﴿ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴾ .

الآية (١٧) ﴿ فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ﴾ .

الآية (٤٣) ﴿ قال يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ﴾ .

الإعراب :

"سويا" – فى الآية الأولى – حال من فاعل تكلم .

وفي الثانية صفة منصوبة لـ "بشرا" المنصوب على الحالية[1] . من فاعل "تمثل" .

وفي الثالثة صفة منصوبة لـ "صراطا" الذى هو المفعول الثانى للفعل "أهدك" .

١١- عشيًّا (٦٢)

العشي: الوقت من زوال الشمس إلى غروبها، أو من صلاة العصر إلى العتمة وهو اسم جنس مفرده عشية، وجمعها "عشايا"

وأصل "عشى" عشيو" حدث فيه إعلال ثم إدغام كما فى شقى، وسوى وعشى اسم ذات على وزن "فعيل" .

وقد جاء عشيا فاصلة الآيتين ٦٢،١١ من هذه السورة :

الآية (١١) ﴿ فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴾ .

الآية (٦٢) ﴿ لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾.

وعشيا فى الآيتين – معطوف على بكرة المنصوب على الظرفية الزمانية .

١٢- صبيًّا (٢٩)

الصبى: الغلام، والجمع صبية، وصبيان، وأصبية،[2] والأول: جمع قلة،

---

(١) ويسمى بشرا : فى هذه الآية حالا موطئة، لأنه اسم جامد، والمقصود صفته المشتقة كما فى قوله تعالى "إنا أنزلناه قرآنا عربيا" (سورة يوسف ٣) .

(٢) أساس البلاغة للزمخشرى ٢٤٢ .

والثانى، والثالث جمع كثرة، والجارية: صبية، والجمع صبايا. وهو من لم يبلغ الحلم .

فالصبى اسم ذات منقول من الصفة المشبهة ،

وأصل صبى "صبيو" لأنه من الصبوة . يقال: صبا يصبو صبوة وصبوا: نـزع واشتقاق[1] حدث فهي إعلال فإدغام مثل شقى وعشى، ورضى .

وقد جاء لفظ "صبى" فاصلة للآيتين ١٢،٢٩ .

الآية (١٢) ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا ﴾ .

الآية (٢٩) ﴿ فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ﴾

و "صبى" فى الآيتين صفة مشبهة .

و "صبيا" فى الآية الأولى حال من الهاء التى هى ضمير الغائب المبنى على الضم فى محل نصب مفعول أول للفعل "آتى" .

أما فى الآية الثانية "كيف نكلم من كان فى المهد صبيا" فقد اختلف فى اعراب "صبيا" تبعا للاختلاف فى نوع "كان فى هذه الآية الكريمة على النحو التالى :

أ- قيل كان ناقصة، وهى لدوام وصف اسمها بخبرها كما فى قوله تعالى ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾[2] . وعلى هذا الرأى يكون "صبيا" خبرها،

---

(١) المفردات ٢٧٤ .

(٢) سورة النساء / الآية ٩٢ .

"وفي المهد" يتعلق بـ كان أو بمحذوف يقع حالا من "صبيا" وأصله نعت له فلما تقدم عليه أعرب حالا منه .

ب- وقيل: كان تامة لا تحتاج خبرا، وفاعله ضمير مستتر يعود إلى من الموصولة، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب صلة الموصول، والجار والمجرور (في المهد) متعلق بـ "كان" .

وصبيا على هذا التوجيه - حال من فاعل كان التامة .

ج- وقيل كان زائدة، وفي المهد، جار ومجرور متعلق بمحذوف صلة الاسم الموصول "من" صبيا - على هذا التقدير حال من الضمير في متعلق الجار والمجرور . .و "من" على هذه التقديرات الثلاثة اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول "نكلم" .

د- وقيل من "شرطية" وكان تامة، وهي فعل الشرط، وكيف جواب الشرط[1] .

قال الزجاج : وأجود الأقوال أن يكون "من" في معنى الشرط والجزاء، فيكون المعنى: من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه؟ كما تقول: من لا يسمع ولا يعقل فكيف أخاطبه" [2] .

وصبيا على هذا الاحتمال حال أيضا .

---

(١) "كيف نكلم" على هذا الاحتمال - جواب الشرط عند الكوفيين، وحذفت الفاء التي تدخل على الجواب الذي لا يصلح ان يكون شرطا. لتقدم الجواب . عند الكوفيين . وعند البصريين هو دليل الجواب المحذوف .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٨/٣ . وانظر إعراب القرآن للنحاس ٣١٣/٢ ، ومشكل اعراب القرآن ٤٥٤/٢ ، والبيان في غريب اعراب القرآن للأنباري ١٢٤/٢ ، والتبيان ٨٧٣/٢ .

١٣- تقيًّا (١٨-٦٣)

- تقي "وصف على فعيل من الوقاية وهي حفظ الشئ مما يؤذيه ويضره، يقال: وقيت الشئ أقيه وقاية ووقاء: حفظته، أبدلت الواو تاء، في التقوى، والتقي - على غير قياس تخفيفا لكثرة الاستعمال. والتقوى: جعل النفس في وقاية مما يخاف [1] .

وتقي صيغة مبالغة محولة عن "واق" ، وجمعه أتقياء وتقاة .

وقد ورد لفظ "تقي" فاصلة ثلاث آيات من سورة مريم :

الآية (١٣) ﴿ وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا ﴾ .

الآية (١٨) ﴿ قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ﴾ .

الآية (٦٣) تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا .

وتقيا - في الآيات الثلاث خبر كان الناقصة .

١٤- عصيا (٤٤)

"عصي" وصف على وزن "فعيل" مأخوذ من العصيان . يقال: عصاه يعصيه معصية وعصيانا :

خرج من طاعته وخالف أمره فهو عاص وعصاء وعصي[2] .

فـ "عصي" صيغة مبالغة محولة عن عاص مثل - قدير، وحفيظ وعليم .

---

(١) المفردات ٥٣٠ .

(٢) المعجم الوسيط ١٠٤٣/٢ .

وجمع عصي عصاة .

وأصل "عصى" عصيى بياءين ثم أدغمتا مثل – عتى

وقد جاء "عصى" فاصلة منصوبة لآيتين من سورة مريم :

الآية (١٤) ﴿ وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ﴾ .

الآية (٤٤) ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ﴾ .

وعصيا في الآية الأولى صفة لـ جباراً الذى هو خبر يكن ويجوز أن يكون خبرا ثانيا وفى الآية الثانية خبر كان الناقصة، وللرحمن متعلق به، وقدم عليه مراعاة لتناسق الفواصل .

١٦– شرقيا

"شرقيا" اسم ذات منسوب الى الشرق المقابل للغرب .

وقد جاء فاصلة للآية السادسة عشر من هذه السورة الكريمة .

﴿ واذكر في الكتاب مريم اذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ﴾ أى نحو المشرق [١] وانتبذت : تنحت [١] .

وشرقيا: في هذه الآية الكريمة نعت منصوب للمنعوت المنصوب "مكانا" الذى هو ظرف مكان . وشرقيا نعت جامد مؤول بالمشتق أى منسوبا الى الشرق .

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ٣٢٢/٣ .

١٥- حيا (٣١-٣٣-٦٦)

حي وصف على وزن فعل مشتق من الحياة، وفعله (حيي يحيـى) وإدغام الياءين في ماضيه جائز، قال الله عز وجل : ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ﴾[1] .

وحي صفة مشبهة وهو ضد الميت

وقد ورد هذا الوصف فاصلة لأربع آيات من سورة مريم .

الآية (١٥) ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴾ .

وهذه الآية في شأن يحيى عليه السلام .

الآية (٣١) ﴿ وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾ .

الآية (٣٣) ﴿ والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾ .

وهاتان الآيتان على لسان عيسى عليه السلام .

الآية (٦٦) ﴿ ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا ﴾ .

الإعراب :

حيا في الآية (١٥) حال من نائب الفاعل المستتر في يبعث وكذلك في الآية (٣٣) حال من نائب الفاعل المستتر في أبعث وكلتا الحالين مؤكدة

---

(١) انظر اعرب القرآن لأبي جعفر النحاس ٣١٤/٢ .

لعاملها لأن البعث والإخراج فى معنى الحياة، فالحال مؤكدة لعاملها فى المعنى لا فى اللفظ، ومثلهما الآية (٦٦) فى نوع الحال وصاحبها .

أما فى الآية (٣١) "ما دمت حيا" .

ف "حيا" خبر دام ان قدرت ناقصة نص على ذلك النحاس، وحال من فاعلها إن قدرت تامة وهو اختيار الفراء [١] .

و"ما" مصدرية ظرفية، تؤول مع ما بعدها بمصدر يعرب ظرف زمان والتقدير مدة دوامى حيا .

أما ما فى قوله تعالى ﴿ إذا ما مت ﴾ فهى زائدة .

ملحوظة :

كل من سلام عليه والسلام على جملة اسمية الخبر فيها شبه الجملة الجار والمجرور .

وسوغ الابتداء بالنكرة "سلام" لما فيها من معنى الدعاء .

ويوم فى الآيتين ظرف منصوب متعلق بما تعلق به الجار والمجرور الواقع خبرا ولا يجوز تعلقه بالمصدر للفصل بينهما بالأجنبى عنهما، وهو خبر المبتدأ [٢] .

والجمل الفعلية التى بعد يوم - فى الآيتين فى محل جر بالإضافة .

---

(١) انظر اعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ٣١٤/٢ .

(٢) انظر التبيان ٨٧٤/٢ .

١٩- زكيا

"زكي" وصف على وزن "فعيل" من الزكو والزكاء، يقال: زكا الشئ يزكو زكواً، زكاء وزكاة: نما وزاد[1] وجمعه : أزكياء، ومؤنثه زكية . وجمعها زكيات وزكايا .

وزكي صيغة مبالغة

وقد ورد فاصلة للآية التاسعة عشر من هذه السورة الكريمة .

﴿ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ﴾ ، أى طاهرا من الذنوب، أو ناميا على الخير والبركة [2] .

ولم يرد هذا الوصف المذكر فى غير هذه الآية من القرآن الكريم .

أما مؤنثه للزكية، فقد ورد فى الآية (٧٤) من سورة الكهف :

﴿ قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا ﴾ .

قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى زكية – بغير ألف مع التشديد

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو زاكية بألف . [3]

٢٠- بغيا (٢٨)

بغى وصف على وزن "مفعول" من البغى . قال الراغب :

---

(١) المعجم الوسيط ٣٩٦ .

(٢) تفسير النسفى ٣١/٣ .

(٣) كتاب السبعة لابن مجاهد ٤٠٨ .

بغت المرأة بغاء اذا فجرت، وذلك لتجاوزها الى ما ليس لها . قال الله - عز وجل :

﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا ﴾ [١] .

وجمع البغي : بغايا ، قال اللحياني : ولا يقال رجل بغي .[٢] وعلى هذا فهو وصف خاص بالنساء .

وقد ورد هذا الوصف فاصلة آيتين من سورة مريم .

الآية (٢٠) ﴿ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا ﴾ .

الآية (٢٨) ﴿ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ﴾

وبغيا في الآيتين خبر كان الناقصة (خبر لم أك - في الآية الأولى - وخبر كانت في الثانية) .

والدليل على أن لفظ "بغي" على وزن "فعول" أنه لم تلحقه تاء التأنيث مع أنه خبر مؤنث في الآيتين:

كما يقال - هند صبور ، وزينب شكور .

وقد كانت هذه الكلمة موضع مناظرة بين المازني البصري، وبعض نحاة الكوفة في مجلس الخليفة الواثق .

---

(١) سورة النور / الآية ٣٣ .

(٢) المفردات ٥٦ ، وانظر صحاح الجوهري، ولسان العرب، والمعجم الوسيط "بغي" . ومشكل اعراب القرآن ٤٠٣/٢ .

قال المازني وحضرت يوما آخر، واجتمع جماعة نحو الكوفة، قال لي الواثق: يا مازني: هات مسألة، قلت: ما تقولون في قول الله وتبارك وتعالى ﴿ وما كانت أمك بغيا ﴾ لم لم يقل "بغية" وهي صفة لمؤنث؟ فأجابوا بإجابات غير مرضية، فقال لي: هات .

قلت: لو كان بغي على تقدير فعيل بمعنى فاعلة للحقتها التاء، مثل كريمة وظريفة . وإنما تحذف الهاء اذا كانت في معنى مفعولة في نحو امرأة قتيل، وكف خضيب وبغي - ها هنا ليس بفعيل، إنما هو فعول لا تلحقه التاء في وصف التأنيث نحو: امرأة شكور، وبئر شطون، إذا كانت بعيدة الرشاء، وتقدير بغي بغوى قلبت الواو ياء ، ثم أدغمت الواو (التي قلبت ياء) في الياء، فصارت ياء ثقيلة، نحو : سيد وقيت، فاستحسن الجواب[1].

ويرى ابن جني أنها "فعيل" ولو كانت فعول "لقيل" "بغو" مثل فلان نهو عن المنكر [2] .

وقد أورد الاحتمالين أبو البقاء العكبري فقال :

"وفي وزنه وجهان: أحدهما هو فعول .. والثاني : هو فعيل بمعنى فاعل، ولم تلحق التاء - أيضا ، للمبالغة، وقيل: لم تلحق لأنه على النسب مثل طالق وحائض . [3]

---

(١) طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ٨٩ .

(٢) تفسير الكشاف ٥٠٥/٢ .

(٣) التبيان ٨٦٩/٢ .

وقد ورد أبو البركات الأنبارى أن يكون على فعيل، فقال :

فلما أتى بغى - ها هنا - بغير تاء - وهو بمعنى فاعل علم أنه - فى الأصل على وزن فعول لا على فعيل [1] .

٢١- مقضيا (٧١)

مقضى اسم مفعول من القضاء ، يقال: قضى الله يقضى قضاء: حكم، وفعله قضى بالبناء للمجهول . يقال قضى الأمر، فالأمر مقضى .

وأصل مقضى مقضوى ، حدث فيه إعلال بالقلب إذ قلبت الواو ياء لاجتماعها ساكنة مع ياء بعدها، ثم ادغم الياءان، فصار مقضى، بضاء مضمومة بعدها ياء مشددة، فقلبت الضمة كسرة لتناسب الياء. ووزنه "مفعول" .

وقد ورد هذا الوصف فاصلة لآيتين من سورة مريم .

الآية (٢١) ﴿ قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا ﴾ .

الآية (٧١) ﴿ وان منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ .

حتما: حكما أو قضاء[2] ، ومقضيا فى الآيتين معناه محكوما به [3] .

ومقضيا فى الآيتين . صفة منصوبة لخبر كان الناقصة .

---

(١) البيان فى غريب اعراب القرآن ١٢٤/٢ .

(٢) انظر مختار الصحاح (حتم) .

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٩٠٤/٢ .

٢٢- قصيًّا

"قصي" وصف على وزن فعيل محول عن قاص - بمعنى بعيد للمبالغة . فهو صفة مأخوذة من القصو والقصاء، يقال: قصى عنه يقصو قصوا وقصوا: بعد ، فهو قاص، والجمع أقصاء وقصي عنه يقصى قصا وقصاء: بعد فهو قصي، والجمع أقصاء .[1]

وفي اللسان: والقصي والقاصي: البعيد، والجمع أقصاء ، فيهما - كشاهد وأشهاد ونصير وأنصار[2] .

وقد ورد هذا الوصف فاصلة الآية الثامنة والعشرين من هذه السورة الكريمة . ﴿ فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ﴾ بعيدا ، وانتبذت به : تباعدت به[3] .

ومكانا - في هذه الآية ظرف مكان، والعامل فيه انتبذت :

ويجوز ان يكون مفعولا به: أي فقصدت به مكانا قصيا[4]

وقصيا - على الاحتمالين صفة منصوبة للظرف أو للمفعول به .

والجار والمجرور به متعلق بمحذوف حال من فاعل انتبذت، أي فانتبذت به وهو معها[5] ولم يرد هذا اللفظ في غير هذه الآية الكريمة من

---

(١) المعجم الوسيط ٧٤١ .

(٢) لسان العرب (قصى) .

(٣) معنى القرآن واعرابه ٣٢٣/٣ .

(٤) اعراب القرآن للنحاس ٣٠٨/٢ .

(٥) التبيان ٨٧٠/٢ .

القرآن الكريم فهو من المفردات التى اختصت بها سورة مريم .

٢٣- منسيا

ورد هذا اللفظ فاصلة الآية الثالثة والعشرين من سورة مريم

﴿ قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ﴾

قرئ – نسيا – بفتح النون وبكسرها . وبالكسر قرأ عامة القراء [١] .

ونسيا – بالكسر فى المعنى منسية لا أعرف، والنسى فى كلام العرب الشئ المطروح لا يؤبه له[٢] وبالفتح أى شيئا حقيرا، وهو قريب من الأول[٣] .

قال أبو جعفر النحاس:

كسر النون – فى هذا – أولى – فى العربية لجهتين :

احداهما : أن المفتوحة مصدر، والمكسورة اسم، والاسم – ها هنا – أولى من المصدر والجهة الأخرى أن المصدر إنما تستعمله العرب : ها هنا – على "فعلان" فيقولون : نسيته نسيانا [٤] .

وفى القاموس المحيط . نسيه نسيا ونسيانا ونساية ونساوة – بكسرهن ونسوة ضد حفظه [٥] .

وقال الراغب فى المفردات : والنسى : أصله ما ينسى، كالنقض لما

---

(١) قرأ بالفتح حمزة وحفص والباقون بالكسر .

(٢) التبيان ٢/٨٧٠ .

(٣) التبيان ٢/٨٧٠ .

(٤) اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٠٩ .

(٥) القاموس المحيط (نسى) .

ينقض، وصار في المتعارف اسما لما يقل الاعتناء به [١] .

فالنسي – بكسر النون – فعل بمعنى فعول مثل ذبح بمعنى مذبوح، وطحن بمعنى مطحون، وحجر بمعنى محجور .

ونسيا (اسم مفعول من النسي بالفتح والنسيان) .

وأصله منسوى . حدث فيه إعلال وإدغام كما في مقضى، ومرضى .

ونسيا في الآية الكريمة خبر كنت .

ومنسيا نعت له منصوب مثله .

وهو نعت الغرض منه توكيد المنعوت. لكون النعت والمنعوت من مادة واحدة كقوله تعالى "ويقولون حجرا محجورا" [٢] .

وجملة كنت نسيا منسيا في محل رفع لأنها معطوفة على جملة مت الواقعة خبرا لليت .

٢٤- سريا

ورد هذا اللفظ فاصلة الآية الرابعة والعشرين من سورة مريم :

﴿ فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ﴾ .

وقد اختلف العلماء في المقصود به :

قال الزجاج: روى عن الحسن أنه قال: يعني "عيسى"، وقال: كان والله سريا من الرجال، فعرف الحسن أن من العرب من يسمي النهر سريا،

---

(١) المفردات ٤٧١ .

(٢) الفرقان ٢٢ .

فرجع إلى هذا القول، ولا اختلاف بين أهل اللغة .

أن السرى: النهر، بمنزلة الجدول . قال لبيد :

فتوسطا عرض السرى فغادرا   مسجورة متجاوراً قلامها [١]

وقال ابن عباس: السرى : النهر . [٢]

وفى القاموس المحيط: سرى – كغنى – نهر يجرى الى النخل ، والجمع أسرية، وسريان .

وفيه أيضا – السرو: المروءة فى شرف، سرو ككرم، وكتب ورضى سراوة، وسروا، وسراء وسراة فهو يسرى، والجمع : أسرياء، وسرواء ، وسرى [٣] .

وسرى – فى الآية الكريمة الظاهر أنه نهر صغير جار، فهو اسم ذات، وجمعه أسرية للقلم وسريان للكثرة .

وهما جمعان قياسيان لما كان من الأسماء على وزن فعيل "مثل كثيب واكثبة وكثبان، وجريب وأجربة وجربان .

ويحتمل أن يكون وصفا مشتقا من السراوة أو السرو، فيكون وصفا لعيسى عليه السلام وبذلك يكون صفة – مشبهة مثل شريف، وكريم. وجمعه أسرياء وسرواء، وسراة أما أسرياء فهو جمع قياسى مثل غنى

---

(١) البيت من معلقة لبيد يصف حماراً وحشيا وأتانه، وقلام: شجر ينبت حول مجارى الماء وهو فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبى بكر بن الأنبارى تحقيق عبد السلام هارون ٥٥٢ .

(٢) معانى القرآن اعرابه ٣٢٥/٣ .

(٣) القاموس المحيط (سرى) .

وأغنياء، وقوى وأقوياء، وسرواء جمع شاذ لكون المفرد وصفا معتل اللام، وسراة أشد لأن فعيلا لا يجمع على فعله [١].

وسريا في الآية الكريمة مفعول به لجعل .

٢٥- جنيًّا

"جنى" وصف على فعيل بمعنى مفعول من الجنى، يقال: جنى يجنى جنياً مثل رمى يرمى رميا وجرى يجرى جريا .

وقد أدغمت فيه ياء فعيل في الياء التى هى لام الفعل كما فى غنى وأبى . وقد ورد هذا الوصف فاصلة الآية الخامسة والعشرين من هذه السورة الكريمة ﴿ وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ﴾ أى غضا، وجنى الجنتين[٢] ، ما يجتنى[٣] ، وثمر جنى: أخذ لوقته[٤] . وجنياً في هذه الآية نعت منصوب يتبع رطبا فى إعرابه واعراب رطبا يختلف باختلاف قراءة يساقط .

١- فقرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائى "تساقط" بفتح التاء مشددة السين .

٢- وقرأ حمزة "تساقط" بفتح التاء مخففة السين .

٣- وروى أبو بكر عن عاصم تساقط، مثل أبى عمرو .

---

(١) انظر صيغة فعيل واستعمالاتها فى القرآن الكريم ١٦٦ .

(٢) سورة الرحمن / الآية ٥٤ .

(٣) تحفة الأريب بما فى القرآن من الغريب لأبى حيان ٩٣ .

(٤) معجم مقاييس اللغة ٤٨٢/١ .

وروى عنه حفص تساقط بضم التاء وكسر القاف مخففة السين . [1]

فعلى رواية حفص ، فاعل يساقط ضمير مستتر يعود إلى الجذع، ورطبا مفعول به وعلى قراءة الجمهور: تساقط، وقراءة حمزة يساقط يكون رطبا، منصوبا على التمييز وفى الآية قراءات أخرى شاذة، وقد أجاز أبو البقاء أن تكون الباء زائدة وجذع مفعول به لهزى . وأن يكون رطبا حالا موطئة على قراءة يساقط بتشديد السين وتخفيفها [2] .

٢٦- إنسيا

"إنسى" مفرد الإنس، والإنس خلاف الجن. مأخوذ بالأنس - بفتح الهمزة وكسرها يقال: أنست به آنس أنسا - من باب علم - وفى لغة من باب ضرب والأنس - بالضم - اسم منه، والأنس - بفتحتين - جماعة من الناس، وسمى به وبمصغره، والأنيس: الذى يستأنس به، واستأنست به، وتأنست به: إذا سكن اليه القلب، ولم ينفر، وأنست الشئ: علمته، وآنسته أبصرته .. والإنسان : اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والواحد، والجمع . واختلف فى اشتقاقه :

فقال البصريون من الأنس، فالهمزة أصل، ووزنه "فعلان" .

وقال الكوفيون : مشتق من النسيان، فالهمزة زائدة، فوزنه "إفعان" على النقص. والأصل : إنسيان، على إفعلان، ولهذا يرد إلى أصله فى التصغير، فيقال: أنيسان وجمع إنسان أناسى .

---

(١) كتاب السبعة ٤٠٩ .

(٢) انظر معانى القرآن واعرابه للزجاج ٣/٣٢٦ واعراب النحاس ٢/٣١٠ .

والأناس قيل: فعال، بضم الفاء، مشتق من الأنس، لكن يجوز حذف الهمزة تخفيفا على غير قياس، فيبقى الناس، وعن الكسائى أن الأناس، والناس لغتان بمعنى واحد وليس أحدهما مشتقا من الآخر" [١] .

وإنسي مفرد الإنس، فالإنس اسم جنس يفرق بينه وبين مفرده بياء النسب وقد ورد لفظ إنسي، فاصلة الآية ٢٦ من سورة مريم .

فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا، أى آدميا . [٢]

وإنسيا - فى هذه الآية - مفعول به للفعل المنفى "لن أكلم" واليوم ظرف زمان منصوب وناصبه "أكلم" .

ولم يرد هذا اللفظ فى غير هذه الآية من الذكر الحكيم .

٢٧- فريا

ورد هذا اللفظ فاصلة الآية السابعة والعشرين من سورة مريم .

﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ﴾

قال الزجاج: أى شيئا عظيما (معانى القرآن واعرابه ٣٣٧/٣) .

وقال أبو حيان : أى عجبا أو عظيما (تحفة الأديب ٢٥٢) .

وفى القاموس المحيط (قوى) .

الفرى - كفنى - الأمر المختلق المصنوع أو العظيم .. وهو يفرى الفرى

---

(١) انظر المصباح المنير للفيومى ٢٦ .

(٢) تفسير النسفى ٣٣/٣ .

كفتى - يأتى بالعجب فى عمله .

ومن ذلك قول أم المؤمنين السيدة عائشة - فى حق عمر بن الخطاب: "لم أر عبقريا يفرى فريه"[1] ، وفعله فرى يفرى، يقال فرى الشئ: قطعه لإصلاحه. وبابه رمى والظاهر أن فرياً فى الآية الكريمة على وزن "فعيل" بمعنى مفعول ولم يقع هذا اللفظ فى غير هذه الآية من الذكر الحكيم . فهو من الألفاظ التى اختصت بها سورة مريم .

٣٠- نبيا (٤١-٤٩-٥١-٥٣-٥٤-٦٠)

نبى وصف على فعيل بمعنى مفعل من أنبأ إنباء بمعنى أخبر مثل نذير بمعنى منذر، وأصله النبى بمعنى المخبر، واختص بالمخبر عن الله تعالى، وأبدلت همزته ياء تخفيفا لكثرة الاستعمال، ثم أدغمت فى الياء الزائدة، وهو من الصفات المنزلة منزلة الأسماء لاطراد استعمالها بدون موصوف، هذا هو المذهب الراجح، وهو مذهب الخليل وسيبويه وجمهور اللغويين .

ويرى أبو عمرو بن العلاء - وتبعه بعضهم أن النبى ليس بمهموز الأصل، وإنما هو من النباوة، وهى الرفعة، فكأنه قيل نبا ينبو: أى ارتفع على الخلق، وعلا عليهم ولامه واو، قلبت ياء لوقوعها بعد ياء ساكنة، وادغمت الأولى فى الثانية ، فاصلة - على هذا الاحتمال - "نبيو" مثل

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجى ٥٠٦، وانظر معانى القرآن للأخفش ١/١٠٠، والمقتضب للمبرد ١/١٦٢ وصحاح الجوهرى ١/٢٩ ، والمفردات للراغب الأصفهانى ٤٨٢. القاموس المحيط (نبأ) ، بيان العرب (نبأ) .

على - أصلها "عليو"[١].

وأجاز الزجاج الاحتمالين ورجح الاول فقال:

القراءة المجمع عليها - في النبيين والأنبياء - طرح الهمزة، وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما في القرآن من هذا، واشتقاقه من نبأ، وأنبأ أي: أخبر، والأجود ترك الهمز، لأن الاستعمال يوجب أن ما كان مهموزا من "فعيل" فجمعه فعلاء مثل ظريف وظرفاء، فإذا كان من ذوات الياء فجمعه أفعلاء مثل نحو غني وأغنياء، ونبي وأنبياء بغير همز، فإذا همزت نبيء ونبآء، كما تقول - في الصحيح - وقد جاء أفعلاء في الصحيح وهو قليل - قالوا: خميس وأخمساء ونصيب وأنصباء.

فيجوز أن يكون "نبي" من أنبأت، مما ترك همزه لكثرة الاستعمال، ويجوز أن يكون من نبا ينبو: إذا ارتفع فيكون "فعيلا" من الرفعة"[٢].

وقد استدل سيبويه على أن "نبيا" من الإنباء بأن سمع جمعه على نبأ.
قال العباس بن مرداس:

يا خاتم النبأ انك مرسل   بالحق وكل هدى السبيل هداكا[٣]

وبأنه يجوز - عند التصغير رد همزته - فيقال مسيلمة نبيئ سوء.
والتصغير يرد الأشياء إلى أصولها.

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

(٢) معاني القرآن واعرابه ١٤٥/١.

(٣) البيت في كتاب سيبويه ٤٦٠/٣، وفي صحاح الجوهري "نبأ" وفي لسان العرب (نبأ).

وبأنه ما من أحد من العرب إلا يقول تنبأ مسيلمة بالهمز [1] .

ويجمع نبي على أنبياء قياسا، نظراً لأن همزته قلبت ياء فعومل معاملة المعتل اللام .

وقد جاء لفظ "نبي" فاصلة منصوبة لسبع آيات من سورة مريم .

٣٠- ﴿ قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ﴾

٤١- ﴿ واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا ﴾

٤٩- ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ﴾

٥١- ﴿ واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ﴾

٥٣- ﴿ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا ﴾

٥٤- ﴿واذكر في الكتاب اسماعيل ان كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا﴾

٥٦- ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ﴾

الاعراب :

في الآية (٣٠) نبيا مفعول ثان للفعل "جعل" وياء المتكلم مفعوله الأول - وفي الآية (٤١) يحتمل "نبيا" أن يكون نعتا لـ صديقا، الذي هو خبر كان وأن يكون خبرا ثانيا وأن يكون هو الخبر، وصديقا حال، وأصله نعت لنبي فلما قدم عليه صار حالا منه .

---

(١) انظر كتاب سيبويه ٤٦٠/٣ .

ومثل ذلك وارد فى الآية (٥١) ، (٥٤) ، (٥٦)

وفى الآية (٤٩) "نبيا" مفعول ثان ، وكلا مفعول الأول

وفى الآية (٥٣) نبيا حال من هارون الذى هو بدل من أخاه

ملحوظة : فى الآيات السبع قرأ نافع بالهمز وقرأ الباقون بالياء [١] .

٣٤- يمترون

فعل مضارع مسند لواو الجماعة، مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، وهو مضارع "امترى امتراء" حاج فيما فيه مرية أى شك . [٢] قال الزجاج يمترون: أى يشكون . [٣]

وقد ورد هذا الفعل فاصلة الآية (٣٤) من هذه السورة :

"ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون" أى الذى فيه يشكون: أى يعتقدون اعتقادا مبناه الشك والخطأ، وضمير الغيبة يحتمل أن يعود إلى القول، أو إلى عيسى بن مريم . فإن عاد إلى القول فالامتراء فيه هو الامتراء فى صدقه، وإن عاد إلى عيسى فالامتراء صفاته بين رافع وخافض [٤] .

الإعراب :

جملة يمترون "لا محل لها من الإعراب صلة الموصول، و"فيه" متعلق

---

(١) انظر معانى القراءات لأبى منصور الأزهرى تحقيق د/ عيد درويش، د/ عوض القوزى ١ .

(٢) انظر المفردات ٤٦٧ .

(٣) معانى القرآن واعرابه ٣٢٩/٣ .

(٤) التحرير والتنوير ١٠٣/٨ .

بالمضارع المرفوع .

ملحوظة :

قرئ قول الحق - بالرفع وبالنصب [1] .

فاسم الإشارة مبتدأ، وعيسى خبره، و "ابن مريم" نعت - وعلى قراءة الرفع يحتمل قول الحق أن يكون خبرا ثانيا، أو خبر مبتدأ محذوف أو خبر اسم الإشارة، وعيسى بدل أو عطف بيان وعلى قراءة النصب يحتمل "قول" .

أن يكون مفعولا مطلقا لفعل محذوف أى أقول قول الحق .

وأن يكون مفعولا به والتقدير أعنى قول الحق .

وأن يكون حالا من عيسى [2] .

والاسم الموصول "الذى" يحتمل أن يكون صفة ثانية لعيسى، أو خبر ثان[3] ، فيكون فى محل رفع وأن يكون صفة للقول. فيكون فى محل رفع على قراءة الرفع، وفي محل نصب على قراءة النصب .

٣٥- فيكون

جاء هذا المضارع فاصلة الآية (٣٥) من هذه السورة الكريمة ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ .

---

(١) قرأ بالنصب عاصم وابن عامر وقرأ الباقون بالرفع .

(٢) انظر التبيان ٨٧٤/٢ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ١٠٢/٨ .

وجمهور القراء على رفع "يكون" وقرأ ابن عامر بالنصب ، وقد حكم ابن مجاهد على قراءة النصب أنها خطأ في العربية [١] .

ويبدو أن وجه الخطأ في ذلك أن النصب يقتضي أن الفاء للسببية، وأن مضمرة بعدها. وقد سبقت بأمر. والمعنى ليس على ذلك. لأن "كن" لفظه لفظ الأمر، ومعناه الإخبار، إذ ليس ثم مأمور بأن يفعل شيئا، فالمعنى: فإنما نقول له كن فهو يكون. ويبعد النصب من جهة أخرى وذلك أن جواب الأمر إنما جزم لأنه في معنى الشرط، فإن قلت . قم فأكرمك جزمت الجواب لأنه بمعنى إن تقم اكرمك، وكذلك إذا قلت: قم فأكرمك، إنما نصبت لأنه في معني إن تقم اكرمك وهذا إنما يكون أبدا . في فعلين مختلفي اللفظ ومختلفي الفاعلين، فإن اتفقا في اللفظ والفاعل واحد لم يجز لأنه لا معنى له، لو قلت قم تقم، وقم فتقوم، لم يكن له معنى [٢] .

وتوجيه الرفع، وهو قراءة جمهور القراء على أن الفاء حرف استئناف فالمضارع لم يسبقه ناصب ولا جازم أو على أن الفاء عاطفة فيكون المضارع - بعدها - معطوفا على المضارع المرفوع قبلها "يقول" ولما كان من الخطأ العلميَ تخطئة قراءة قرآنية صحيحة، فإننا لا نعدم لقراءة ابن عامر بالنصب توجيها نحويا مقبولا. ذكره مكي بن أبي طالب فقال: والنصب - على الجواب - إنما يجوز على بعد على تشبيه "كن"

---

(١) انظر كتاب السبعة ٤٠٩ .

(٢) انظر مشكل اعراب القرآن ٤١٨/١ .

بالأمر الصريح، وعلى تشبيه "كن" و "فيكون" بالفعلين المختلفين . [١]

والفعلان "كن" ، "فيكون" متصرفان من كان التامة ، وفاعل يكون ضمير مستتر يعود إلى "شيئا" .

٣٦- مستقيم

اسم فاعل من الاستقامة . يقال : استقام يستقيم استقامة فهو مستقيم على وزن مستفعل: وأصله "مستقوم" حدث فيه إعلال بالنقل، إذ نقلت كسرة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها وهو القاف ، ثم قلبت الواو ياء لوقوعها بعد كسرة .

وقد ورد هذا الوصف فاصلة للآية (٣٦) من سورة مريم

﴿ وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ أى طريق معتدل ومستقيم نعت لـ "صراط" الذى هو خبر اسم الإشارة. والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب .

٣٧- عظيم

وصف على وزن فعيل من العظمة، وهو صفة مشبهة، وفعله عظم يعظم - بضم العين فى الماضى وفى المضارع .

والعظيم - فى اللغة - ذو العظمة والجلال فى ملكه وسلطانه، كذلك تعرفه العرب فى خططها ومحاوراتها . يقول قائلهم: من عظيم بنو فلان

---

(١) المرجع السابق ٤١٩/١ .

اليوم ؟ أى من له العظمة والرئاسة فيهم؟ فيقال له: فلان عظيمهم، ويقولون: هؤلاء عظماء القوم أى رؤساؤهم، وزوو الجلالة والرئاسة فيهم[1].

وجمع عظيم عظماء وعظام مثل كريم وكرماء وكرام .

وقد ورد هذا الوصف فاصلة للآية (٣٧) من سورة مريم :

﴿فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾

وعظيم فى هذه الآية صفة مجرور ليوم المجرور بالإضافة .

٣٨- مبين

اسم فاعل من الإبانة - تقول أبان الشئ بينه فهو مبين بمعنى أظهره ووضحه وأصل "مبين" تبين، على وزن مفعل - بضم الميم وكسر العين. حدث فيه إعلال بالنقل إذا استثقلت الكسرة على الياء فنقلت إلى الساكن الصحيح قبلها .

وقد جاء هذا الوصف فاصلة الآية (٣٨) من هذه السورة .

﴿ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين ﴾

ومبين - فى هذه الآية نعت مجرور .

فأسمع بهم وأبصر "أسلوب تعجب قياسى مثل "أنعم بفلان وأكرم" .

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجى ١٨٤ .

٣٩- لا يؤمنون

"لا" نافية لا عمل لها . و "يؤمنون" مضارع مرفوع بثبوت النون مسند لضمير الغائبين وماضيه "آمنوا" ومصدره إيمان . وضم حرف المضارعة لأن الماضي على أربعة أحرف وقد ورد هذا الفعل فاصلة الآية (٣٩) من سورة مريم .

﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ﴾

وجملة لا يؤمنون فى محل رفع خبر المبتدأ هم .

و "يوم" فى هذه الآية مفعول ثان للفعل أنذر ، وضمير الغائبين هو المفعول الأول .

٤٠- يرجعون

"يرجعون" مضارع مبنى للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، وواو الجماعة نائب فاعل مبنى على السكون فى محل رفع .

وقد ورد هذا المضارع فاصلة الآية الأربعين من هذه السورة الكريمة .

﴿ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها و الينا يرجعون ﴾

و "الينا" متعلق بالمضارع "يرجعون" ، وجملة "وإلينا يرجعون" فى محل رفع معطوفة على جملة نرث، التى هى خبر "إن" ونحن ضمير فصل مبنى على الضم لا محل له من الإعراب .

ملحوظة :

الفعل "رجع" يكون لازما ومصدره رجوع مثل رجع خالد من المعركة منتصرا يعنى "عاد" .

ويكون منصوبا ومصدره رجع - بسكون الجيم ومن قوله تعالى "فإن رجعك إلى طائفة منهم[1] بمعنى ردك (التوبة ٨٣) .

والفعل يرجعون في هذه الآية من الرجع لا من الرجوع، فهو متعد لازم بدليل بنائه للمجهول وإسناده إلى ضمير الغائبين الذى كان في الأصل مفعولا به .

وواو الجماعة التى هى نائب فاعل - تعود إلى "من" الموصولة .

٤٦- مليا

"ملى" صفة مشبهة على وزن "فعيل" مشتقة من الملو .

جاء - في القاموس المحيط - ملا يملو ملوا : سار شديدا، أو عدا، وملاك الله حبيبك تملية: متعك به، وأعاشك معه طويلا، والملى: الهوى[2] من الدهر، والساعة الطويلة من النهار"[3] .

وقال الراغب: الإملاء: الإمداد، ومن قبل للمدة الطويلة، ملاوة من الدهر، وملى من الدهر" [3]

وقد ورد لفظ "ملى" فاصلة الآية (٤٦) من سورة مريم .

---

(١) الهوى - كغتى - ساعة - من الليل .

(٢) القاموس المحيط (ملو) .

(٣) المفردات ٤٧٤ .

﴿ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا ﴾ .

قال أبو البقاء: ومليا ظرف، أي دهرا طويلا، وقيل: هو نعت لمصدر محذوف [١] . وعلى الأول فهو ظرف زمان للفعل "اهجر" وعلى الثاني يكون نائبا عن المفعول المطلق . والأصل واهجرني هجرا مليا .

مثل سرت طويلا، والأصل سرت سيرا طويلا، وكذلك في الآية .

وذكر أبو حيان معاني أخرى لهذه الكلمة [٢] .

ولم يرد هذا اللفظ في غير هذه الآية من القرآن الكريم . فهو من الألفاظ التي اختصت بها سورة مريم .

٤٧- حفيا

"حفي" وصف على وزن "فعيل" من الحفاوة - بفتح الحاء وكسرها، يقال: حفي به - كرضي - بالغ في إكرامه، واظهر السرور والفرح، وأكثر السؤال عن حاله، فهو حاف وحفي - كغني .

وحفا الله به حفوا : أكرمه [٣]

وجمع حفي، أحفياء، وحفاة

---

(١) التبيان ٨٧٦/٢ .

(٢) في البحر المحيط (٦-١٩٥) : قال ابن عباس وغيره: معناه سالما سويا، فهو حال من فاعل واهجرني . وقال السدي: معناه: أبدا، .. وقال ابن جبير : دهرا . وأصل الحرف: المكث .

(٣) القاموس المحيط (حفي) .

وقد ورد هذا اللفظ فاصلة الآية (٤٧) من هذه السورة الكريمة :

﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا ﴾ .

قال ابن قتيبة: أى بارا عودنى الإجابة إذا دعوته [١].

وقال الزجاج: إنه كان بى حفيا معناه: لطيفا، يقال: قد تحفى فلان بفلان، وحفى فلان بفلان حفوة: إذا أبره وألطفه [٢].

وقال الأصمعى: حفى فلان بفلان يحفى به حفاوة: إذا قام فى حاجته، وأحسن مثواه، وحفا الله به حفوا: أكرمه [٣] .

فالفعل "حفى" من باب فرح - بكسر العين فى الماضى، وفتحها فى المضارع، ومصدره: الحفاوة - بفتح الحاء وكسرها، والحفو - بسكون الفاء.

والظاهر أن "حفيا" صيغة مبالغة، وجمعه حفواء، وأحفياء .

وأصل حفى، حفيو - حدث فيه إعلال، وإدغام كما فى علي، وحلى، ورضى وحفيا، فى هذه الآية خبر كان .

٥٠- عليا (٥٧)

على وصف على وزن فعيل، من العلو والعلاء، والعلاء: الرفعة والجلال، تقول العرب: فلان على ذو علاء، إذا كان جليلا عظيم الشأن والقدر، وقال الخليل بن أحمد: الله عز وجل - هو العلى الأعلى

---

(١) تفسير غريب القرآن ٢١/٤

(٢) معانى القرآن وإعرابه ٣٣٣/٣ .

(٣) لسان العرب (حفى) .

المتعال ذو العلاء والعلو، فأما العلاء فالرفق، والعلو: العظمة والتجبر والعلى: العالى – أيضا : القاهر الغالب للأشياء – تقول العرب: علا فلان فلانا: أى : غلبه وقهره" [١] .

وعلى صيغة مبالغة، وأصله – "عليو" حدث فيه إعلال وإدغام مثل ملى، ورضى والعلى اسم من أسماء الله – عز وجل .

وقد ورد هذا الوصف فاصلة – آيتين فى سورة مريم :

الآية (٥٠) ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾

(أى ذكرا حسنا عاليا)[٢] .

الآية (٥٧) ﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾ .

والعلو – فى الآية (٥٠) علو معنوى قال الطبرى: وإنما وصف – جل ثناؤه – باللسان الذى جعل لهم بالعلو لأنه جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم [٣] .

فاللسان مجاز فى الذكر وحسن الثناء – وقد جاء فى دعاء ابراهيم عليه السلام – ﴿ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ﴾ [٤] .

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنى ١٧٥ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧٤ .

(٣) تفسير الطبرى ٧٠/١٦ .

(٤) سورة الشعراء ٨٤ .

أما فى الآية (٥٧) فقال جماعة من المفسرين هو رفع مجازى، والمراد رفع المنزلة لما أوتيه من العلم الذى فاق به على من سلفه، ونقل هذا عن الحسن .. وقال جماعة: رفع حقيقى إلى السماء [١] .

وعليا فى الآية الأولى نعت منصوب لكلمة لسان المضافة لكلمة صدق وفى الآية الثانية نعت منصوب للفظ مكان الذى هو ظرف مكان .

٥٢- نجيا

نجى وصف على وزن فعيل بمعنى مفاعل - جاء فى المعجم الوسيط:

نجا فلانا نجوا ونجوى: أسر إليه الحديث، والنجى: المناجى، يقال هو نجى فلان والجمع أنجية، والمنجى: السر[٢] ، وأصل نجى "نجيو" حدث فيه إعلال وإدغام. وقد جاء هذا الوصف فاصلة الآية (٥٢) من سورة مريم . ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ﴾ .

قال الزجاج: معناه: مناجيا، وفى التفسير، أن الله - عز وجل - قربه حتى سمع صريف القلم الذى كتبت به التوراة، ويجوز - والله أعلم أن يكون مثل ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ [٣] . أى قربه، فى المنزلة حتى سمع مناجاة الله - عز وجل، وهى كلام الله [٤] .

---

(١) التحرير والتنوير ١٣١/٨ .

(٢) المعجم الوسيط ٩٠٥/٢ .

(٣) سورة النساء / الآية ١٦٤ .

(٤) معانى القرآن وإعرابه ٣٣٣/٣ .

ونجيا في هذه الآية الكريمة حال من هاء الغائب التي هي مفعول قربنا وقد ورد لفظ نجي في الآية (٨٠) من سورة يوسف ﴿ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا ﴾ .

قال ابن قتيبة :

"أي اعتزلوا الناس، ليس معهم غيرهم يتناجون، ويتناظرون، ويتساءلون، يقال قوم نجي، والجمع أنجية" (١)

وهذا يدل على أن لفظ "نجي" وإن كان في الأصل وصفا من المناجاة، فإنه يستعمل استعمال الأسماء فتجمع كما تجمع الأسماء الجامدة، كما أنه يوصف به الواحد والجمع .

٥٥- مرضيا

اسم مفعول من الرضى والرضوان. يقال: رضيه، ورضي به، ورضي عنه، ورضي عليه يرضى رضا ورضاء ورضوانا ومرضاة: اختاره وقبله، وفي التنزيل العزيز ﴿ وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾(٢). ويقال: رضيه له: رآه أهلا له، ورضي عن كذا اكتفى فهو راض والجمع رضاة، وهو رضي والجمع أرضياء، وهو رض والجمع، وهي رضية والشئ مرضي ورضي (٢) .

ولام الفعل رضي - واو - تطرفت بعد كسرة فقلبت ياء .

---

(١) تفسير غريب القرآن ٢٢٠ .

(٢) المعجم الوسيط ١/٣٦٤ .

واصل مرضى - مرضوو أعلت الواو الأخيرة - حملا على إعلالها فى الماضى والمضارع فقلبت ياء، فصار "مرضوى" فقلبت واو مفعول ياء - أيضا - لاجتماعها ساكنة مع الياء، ثم أدغم الياءان، وقلبت ضمة الضاد كسرة لمناسبة الياء .

وقد ورد هذا الوصف فاصلة الآية (٥٥) من سورة مريم - فى الحديث عن إسماعيل عليه السلام .

﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ﴾

ومرضيا فى الآية الكريمة خبر كان ، وعند ظرف مكان متعلق بالخبر .

ملحوظة :

راض: اسم فاعل، ومرضى اسم مفعول، ورض بزنة "فع" صيغة مبالغة مثل حذر حذفت لامه لالتقائها ساكنة مع التنوين، ورضى يحتمل أن يكون بمعنى فاعل، أو بمعنى مفعول (انظر رضيا فاصلة الآية السادسة من هذه السورة الكريمة) .

٥٨- بكيا

ورد هذا اللفظ فاصلة الآية (٥٨) من سورة مريم

﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ﴾ .

وهى واحدة من آيات السجدة التى يختص بها القرآن المكى .

قال الزجاج :

قد بين الله – سبحانه – أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا آيات الله – عز وجل – سجدوا وبكوا من خشية الله، وبكيا جمع باك، مثل شاهد وشهود، وقاعد وقعود وسجدا، حال مقدرة: المعنى: خروا مقدرين السجود، لأن الإنسان في حال خروره لا يكون ساجدا، وسجدا منصوب على الحال، ومن قال "بكيا" ها هنا – مصدر فقد أخطأ لأن سجدا – جمع ساجد، وبكيا عطف عليه، ويقال بكى بكاء وبكيا [١] .

وقال أبو جعفر النحاس :

سجدا حال، وبكيا عطف عليه، وقيل هو مصدر، أى: وبكوا بكيا، ويقال بكى يبكى بكاء، وبكى، وبكيا، إلا أن الخليل – رحمه الله – قال: إذا قصرت البكاء فهو مثل الحزن، أى ليس معه صوت [٢] .

وقد اختلف القراء فى ضم الباء وكسرها .

فقرأ بكسرها حمزة والكسائى، وقرأ الباقون بالضم [٣] .

وقال مكى بن أبى طالب:

"سجدا وبكيا" انتصبا على الحال، ويكون "بكيا" جمع باك، وقيل: بكيا نصب على المصدر، وليس بجمع باك، تقديره: خروا سجدا وبكوا بكيا،

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ٣/٣٣٥ .

(٢) اعراب القرآن ٢/٣٢٠ .

(٣) كتاب السبعة ٤٠٧ .

وأصله فى الوجهين، "بكويا - على فعول" ثم أدغمت الواو[1] فى الياء، وكسر ما قبلها، ليصح سكون الياء، ولأنه أخف. وقد كسر جماعة من القراء الياء ليتبع الكسر الكسر، وليكون أخف فى عمل اللسان [2].

وذكر الوجهين - أيضا - ورجح الأول أبو البقاء [3].

ملحوظتان :

(١) يجمع باك جمعا قياسا على وزن فعلة - بضم الفاء فيقال بكاة مثل دعاة فى جمع داع، وعصاة فى جمع عاص، وغزاة فى جمع غاز .

(٢) للفعل خر مصدران يختلفان وزنا ومعنى يقال: خر الماء يخر خريرا، فالخرير: صوت الماء، وخر المؤمن لله ساجدا خرورا أى سقط .

٥٩- غيا

الغى: ضد الرشد، قال الله - عز وجل - ﴿وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وآن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ﴾. [4] وقال سبحانه - ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾ [5] .

وفى القاموس المحيط :

---

(١) بعد قلبها ياء

(٢) مشكل إعراب القرآن ٤٥٦/١ .

(٣) انظر التبيان ٨٧٦/٢ .

(٤) سورة الأعراف / الآية ١٤٦ .

(٥) سورة البقرة / الآية ٢٥٦ .

غوى يغوى غيا فهو غاو وغوى وغيان: ضل [1] .

فالغى: هو الضلال، وأصله غوى - اجتمعت الواو والياء فى كلمة، وسبقت احداهما بالسكون فوجب قلب الواو ياء، وادغامها فى الياء كما فى طى وكى وقد ورد هذا المصدر فاصلة الآية (٥٩) من هذه السورة الكريمة : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾ .

قال الزجاج :

أى فسوف يلقون مجازاة الغى، كما قال عز وجل "ومن يفعل ذلك يلق آثاما" . [٣] - أى مجازاة الآثام، وجاء فى التفسير أن غيا واد فى جهنم، وقيل: نهر فى جهنم، وهذا جائز أن يكون نهرا أعد للغاوين فسمى غيا"[٢]

وقال صاحب التحرير والتنوير : [٣]

والغى: الضلال، ويطلق على الشر كما أطلق ضده وهو الرشد على الخير فى قوله تعالى: ﴿أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ [٤].

وغيا - فى الآية الكريمة مفعول به للفعل "يلقى" على تقدير مضاف حذف وأقيم المضاف إليه مقامه .

---

(١) القاموس المحيط (غوى) .

(٢) معانى القرآن و إعرابه ٣٣٦/٣ .

(٣) التحرير والتنوير ١٣٥/٨ .

(٤) سورة الجن / الآية ١٠ .

٦١- مأتيا

اسم مفعول من الإتيان لأن كل ما وصل إليك فقد وصلت إليه، وكل ما أتاك فقد أتيته، يقال: وصلت إلى خبر فلان، ووصل إلي خبر فلان، وأتيت خبر فلان، وأتاني خبر فلان، فهذا على معنى أتيت خبر فلان.[١]

وأصل مأتي مأتوي على وزن مفعول، حدث فيه إعلال بالقلب وإدغام كما في "مقضي" .

وقد ورد هذا الوصف فاصلة الآية (٦١) من سورة مريم .

جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا ، أي آتيا مفعول في معنى فاعل[٢] ومأتيا – في هذه الآية خبر كان . وجملة كان واسمها وخبرها في محل رفع خبر "إن" .

٦٤- نسيا

النسي: الكثير النسيان، فهو صيغة مبالغة قال تعلب: رجال ناس ونسي كقولك: حاكم وحكيم، وعالم وعليم، وشاهد وشهيد، وسامع وسميع، وفي التنزيل العزيز: وما كان ربك نسيا أي لا ينسى شيئا [٣].

قال الزجاج :

قد علم الله – جل وعلا – ما كان وما يكون، وما هو كائن، حافظ لذلك،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٦/٣ .

(٢) تفسير غريب القرآن ٢٧٤ .

(٣) لسان العرب (نسي) .

وجائز أن يكون - والله أعلم - ما ينسيك ربك، وإن تأخر عنك الوحى"[١].

وقد ورد هذا الوصف فاصلة الآية (٦٤) من هذه السورة:

﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما كان ربك نسيا ﴾ يروى في سبب نزول هذه الآية أن النبى ﷺ أبطأ عنه الوحى - فقال عليه السلام - وقد أتاه جبريل - (ما زرتنا حتى اشتقناك - فقال: وما نتنزل إلا بأمر ربك) [٢].

و "نسيا" فى هذه الآية الكريمة خبر "كان"

وقد يرد هذا الوصف بلفظ واحد للمذكر والمؤنث. جاء فى المعجم الوسيط: نسى الأمر ينساه فهو ناس ونساء، وهى ناسية ونساءة، وهو وهى نسى أيضا" [٣].

ولم يرد هذا اللفظ فى غير هذه الآية من سور القرآن الكريم

فهو مثل مأتى من المفردات التى اختصت بها سورة مريم.

٦٨- جثيا (٧٢)

"جثى" جمع جاث على وزن فاع. اسم فاعل من جثا يجثو: جلس على ركبتيه فأصل الجثى جثوو - بواوين مضموم ما قبلهما، قلبت الضمة

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ٣٣٧/٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المعجم الوسيط ٧٠٠/٢.

كسرة تخفيفا من ثقل واوين مضموم ما قبلهما، فقلبت الواو المشددة ياء فصار جثى - بضم الجيم وكسر الثاء، يجوز إبقاء ضمة الجيم على حالها، ويجوز قلبها كسرة لتناسب كسرة الثاء وقد قرئ بهما .

فقرأ حمزة والكسائى وحفص وخلف بالكسر[1] وقرأ الباقون بالضم .

وقد ورد لفظ "جثى" فاصلة آيتين من سورة مريم :

الآية (٦٨) ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾

الآية (٧٢) ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ .

و "جثيا" فى الآية الأولى حال من ضمير الغائبين فى "لنحضرنهم" وفى الآية الثانية حال من الظالمين .

والظاهر أن جثيا فى الآيتين جمع جاث كما تقدم

وأجاز مكى بن طالب أن يكون مصدر جثا فيكون مفعولا مطلقا - فقال: (فيها جثيا) نصب على الحال ان جعلته جمع جاث، ونصب على المصدر ان لم تجعله جمعا، وجعله مصدراً، وأصله على الوجهين "جثوو" (بواوين) على فعول [2] . وأجاز الاحتمالين - أيضا أبو البقاء [3] .

---

(١) كتاب السبعة ٤٠٧ .

(٢) مشكل إعراب القرآن ٤٥٧/٢ .

(٣) انظر التبيان /٨٧٨ .

وعلى تقديره مصدراً يكون مفعولا مطلقا لفعل محذوف تقديره يجثون جثوا وتكون الحال جملة فعلية .

٧٠- صليا

"صليا" جمع صال اسم فاعل من صلى فلان النار يصلاها صليا: أى احترق . [١]

فمصدر الفعل صلى - بكسر اللام . وجمع اسم فاعله "صلى" بكسر الصاد وضمها فصورتهما واحدة كما يقال فى مصدر سجد، وفى جمع اسم فاعله "سجود" وتقدم فى كل من بكى وجثى "أنهما على وزن فعول" والظاهر - فى كل منهما أنه جمع وأجاز بعض العلماء أن يكون مصدراً.

وقد جاء لفظ "صلى" منصوبا فاصلة للآية السبعين من سورة مريم .

﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ ، أى دخولا واحتراقا[٢] .

وصليا - فى هذه الآية الكريمة الراجح أنه مصدر صلى النار أى دخلها واحترق ويضعف كون جمع صال . لأن الاسم الواقع بعد اسم التفضيل منصوبا المطرد أن يكون اسما مفردا منصوبا على التمييز .

وأصل صلى "صلوى" قلبت الواو ياء لاجتماعها ساكنة مع واو بعدها، ثم أدغم الياءان وكسرت اللام لمناسبة الياء، ويجوز قلب ضمة الصاد كسرة لتناسب كسرة اللام قال الرضى :

---

(١) انظر مختار الصحاح ٣٩٩ .

(٢) الفتوحات الإلهية ٧٣/٣ (حاشية الجمل) .

ويجوز لك - في فاء فعول - جمعا كان أو غيره - بعد قلب الواو ياء أن تتبعه العين أو لا تتبعه [١] .

وقد قرئ صليا - في هذه الآية - بضم الصاد وكسرها [٢] .

وصليا - في هذه الآية الكريمة منصوب على التمييز .

٧٣- نديا

"ندى" اسم على وزن فعيل معناه : المجلس والمجتمع، وهو مأخوذ من الندو والنداوة ، يقال: ندا القوم ندوا، وانتدوا ، وتنادوا: اجتمعوا .. والندوة : الجماعة، ونادى الرجل: جالسه في النادى، والندى: المجالسة، ناديته: جالسته، وتنادوا[٣] ، أى تجالسوا فى النادى [٤] .

والندى: المجلس ما داموا مجتمعين فيه، فإذا تفرقوا عنه فليس بندى، وقيل الندى مجلس القوم نهارا، والنادى كالندى [٥] .

وأصل "ندى" نديو[٦] - مثل على، وعدى - حدث فيه إعلال وإدغام .

وقد ورد لفظ "ندى" فاصلة للآية (٧٣) من سورة مريم .

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب ١٧٣/٣ .

(٢) قرأ بالكسر حمزة والكسائى وحفص، وقرأ الباقون بالضم - انظر كتاب السبعة ٤٠٧ ، وانظر التحرير والتنوير ١٤٨/٨ .

(٣) أما "تنادوا" فى قوله تعالى(فتنادوا مصبحين)فمعناه: نادى بعضهم بعضا،فهو من المناداة.

(٤) لسان العرب (ندو) .

(٥) لسان العرب (ندو) .

(٦) قال العكبرى: ولام الندى واو، يقال: ندوتهم: أى أتيت ناديهم. ومصدره الندو .

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنـا بينـات قـال الذيـن كفـروا للذيـن آمنـوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ﴾

و "نديا" فى هذه الآية الكريمة تمييز، ومثله مقامـا، وهمـا تمييز نسبة ولم يرد لفظ "ندى" فى غير هذه الآية من القرآن الكريم .

٧٤- رئيا

ورد لفظ رئى منصوبا فاصلة للآية (٧٤) من هذه السورة الكريمة :

﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا ﴾

واختلف القراء فى قراءته :

قال ابن مجاهد: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمـزة والكسائى ورئيا مهموزة بين الراء والياء فى وزن رعيا وقرأ ابن عامر وريا بغير همزة .

واختلف عن نافع . فروى بالهمز وبدونه [1]

وقال الزجاج: فيها أربعة أوجه :

"رئيا" بهمزة قبل الياء ، والراء غير معجمة

"وريا" بتشديد، بياء مشددة .

"وزيا" بالزاى معجمة وقد قرئ بهذه الثلاثة الأوجه

ويجوز وجه رابع - لم يقرأ به - بياء بعدها همزة و "ريئا"

---

(١) كتاب السبعة ٤١٢ .

فأما "رئيا" بهمزة قبل الياء فالمعنى : هم أحسن أثاثا أى متاعا، ورئيا: منظرا من رأيت ومن قرأ بغير همز فله تفسيران :

على معنى الأول - بطرح الهمزة، وعلى معنى أن منظرهم مرتو من النعمة كأن النعيم بين فيهم .

ومن قرأ "زيا" فمعناه أن زيهم حسن يعنى هيئتهم[1] .. وأما ريئا فهو بمعنى "رئيا" مقلوب لأن من العرب من يقول قدراءنى زيد بمعنى قد رآنى .

وقال النحاس بعد أن ذكر القراءتين السبعيتين - بالهمزة وبالياء - وحكى يعقوب أن طلحة قرأ وزيا بياء واحدة مخففة، وروى سفيان عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس "هم أحسن أثاثا وزيا" بالزاى ، فهذه أربع قراءات[2] .. وقراءة طلحة ابن مصرف وريا - بياء واحدة - أحسبها غلطا . وقد زعم بعض النحويين أنه كان أصلها ورئيا ثم حذفت الهمزة [3] ، وأثاثا فى هذه الآية الكريمة تمييز، ورئيا معطوف عليه .

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ٣٤٢/٣ .

(٢) منها اثنتان صحيحتان رئيا، وريا، واثنتان شاذتان - زيا ، وريا ، بياء واحدة .

(٣) اعراب القرآن ٣٢٦/٢ .

٧٥- جندا

الجند: الأعوان والأنصار ، قال الراغب: يقال - للعسكر - الجند اعتباراً بالغلظة من الجند أى الأرض الغليظة التى فيها الحجارة، ثم يقال - لكل مجتمع - جنود مثل الأرواح جنود مجندة،[1] قال تعالى: ﴿وان جندنا لهم الغالبون﴾ [2] ، ﴿إنهم جند مغرقون﴾ [3] ، ﴿وجمع الجند أجناد وجنود﴾ [4] ، ومفرده: جندى لأنه اسم جنس يفرق بينه وبين مفرده بياء مشددة أو تاء .

وقد ورد لفظ جند فاصلة للآية (٧٥) من هذه السورة .

﴿قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا﴾ ، أى الأنصار والأعوان .

و "جندا" فى الآية الكريمة تمييز . وهو اسم جنس مفرده جندى .

٧٧- ولدا (٨٨-٩١-٩٢)

الولد: المولود، يقال - للواحد، والجمع، والصغير والكبير، قال الله تعالى ﴿ فإن لم يكن له ولد ﴾ [5] .

---

(١) حديث شريف .

(٢) سورة الصافات / الآية ١٧٣ .

(٣) سورة الدخان / الآية ٢٤ .

(٤) المفردات / ١٠٠ .

(٥) سورة النساء / الآية ١١ .

قال الأخفش: الولد الابن والابنة، والولد، الأهل والولد .

وجمع الولد أولاد، أما ولدان فجمع "وليد" وهو من قرب عهده بالولادة، أما الولد - بضم الواو - فقيل: جمع ولد، نحو أشد وأشد، ويجوز أن يكون واحدا نحو بخل وبخل، وغرب وغرب[1] .

وقد ورد لفظ ولد فاصلة أربع آيات من سورة مريم .

٧٧- ﴿ أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ﴾ .

٨٨- ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾ .

٩١- ﴿ أن دعوا للرحمن ولدا ﴾ .

٩٢- ﴿ وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ﴾ .

وقد قرئ - بفتح الواو واللام ، وبضمها مع سكون اللام

قال ابن خالويه: قرأ حمزة والكسائى بضم الواو، وقرأ الباقون بفتحها فى أربعة مواضع فى مريم [2] .

الإعراب :

فى الآية (٧٧) ولدا معطوف على مالا، الذى هو المفعول الثانى للفعل لأوتين المبنى للمجهول ونائب فاعله ضمير المتكلم الذى كان - فى الأصل هو المفعول الأول .

وفى الآية (٨٨) ولدا مفعول به للفعل الماضى "اتخذ" .

---

(١) المفردات / ٥٣٢ .

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه تحقيق د/ عبد الرحمن العثيمين /٢ .

وفى الآية (٩١) مفعول به أيضاً - للفعل "دعوا" .

وفى الآية (٩٢) مفعول به للفعل المضارع "يتخذ" .

٧٦- مردًّا

"مرد" مصدر ميمى للفعل "ردَّ" جاء فى القاموس المحيط: رده ردا ومردا ومردودا ورديدى: صرفه .

وقال الراغب: الرد صرف الشئ بذاته، أو بحالة من أحواله فمن الرد بالذات قوله ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴾[1] ، ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم ﴾[2].

ومن الرد إلى حالة كان عليها ﴿ ولا ترتدوا على أدباركم ﴾[3] ومن هذا الرد إلى الله تعالى نحو ﴿ ولئن رددت إلى ربى ﴾[4] ، ﴿ ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة ﴾[5] ، فالرد كالرجع ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾[6] .

فالفعل رد يدل على أحد معنيين: الصرف، والرجع، وبينهما صلة قوية فى الدلالة، وقد ورد "مرد" ، فاصلة للآية (٧٦) من هذه السورة الكريمة:

﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا ﴾ . أى مرجعا وعاقبة[7] .

---

(١) سورة الأنعام / الآية ٣٨ .

(٢) سورة الإسراء / الآية ٦ .

(٣) سورة المائدة / الآية ٢١ .

(٤) سورة الكهف / الآية ٣٦ .

(٥) سورة الجمعة / الآية ٨ .

(٦) سورة البقرة / الآية ٢٨

(٧) تفسير النسفى ٤٤/٣ .

ويدل على أن المرد بمعنى المرجع، ورد بمعنى رجع قوله تعالى: ﴿ولئـن رددت إلى ربـي﴾ ، ﴿ولئـن رجعـت إلى ربـي إن لي عنـده للحسنى﴾[١] .

ومرد على وزن مفعل بفتح العين، وهو مصدر ميمي قياسي .

وهو فـي الآية الكريمة تمييز نسبة وكذلك ثوابا. و"خير" اسم تفضيل حذفت همزته تخفيفا وهو حذف مطرد .

٧٨- عهدا (٨٧)

قال الراغب: العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال، وسمي الموثق الذى تلزم مراعاته عهدا . قال - سبحانه - ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾[٢] ، وعهد الله تارة يكون بما ركزه فـي عقولنا، وتارة يكون بما أمرنـا به بالكتاب وسنة رسله، وتارة يكون بما نلتزمه، وليس بلازم في أصل الشرع كالنذور وما يجرى مجراها .[٣]

وقد ورد لفظ "عهد" فاصلة آيتين من هذه السورة الكريمة :

الآية (٧٨) ﴿ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عـهدا ﴾ . أى علم ذلك غيبا أم أعطى عهدا ؟[٤] .

الآية (٨٧) ﴿ لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ .

---

(١) سورة فصلت / الآية ٥ .

(٢) سورة الإسراء / الآية ٣٤ .

(٣) انظر المفردات / ٣٥٠ .

(٤) معانى القرآن وإعرابه ٣٤٥/٣ .

وعهداً – في الآيتين مفعول "اتخذ" .

وجمع عهد : عهود

٧٩– مدا :

المد مصدر مد يمد مدا – يقال مد الله في عمره، ومده في غيه: أمهله، وطول له .

ورحل مديد القامة ، أي طويل القامة [١] .

وفي المصباح المنير : مد البحر مدا: زاد، ومده غيره مدا: زاده، وأمد – بالألف وأمده غيره، يستعمل الثلاثي والرباعي لازمين ومتعديين، ويقال– للسيل – مد لأنه زيادة، فكأنه تسمية بالمصدر، وجمعه مدود، مثل فلس وفلوس وامتد الشئ: انبسط . [٢]

وقد ورد هذا المصدر فاصلة الآية التاسعة والسبعين من هذه السورة الكريمة : ﴿ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ﴾ .

والمد في العذاب : الزيادة منه [٣] .

ومدا – في هذه الآية – مفعول مطلق مؤكد لعامله نمد .

ومن العذاب جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من مدا . وكان في الأصل صفة له فلما قدم عليه أعرب حالا منه .

---

(١) مختار الصحاح ٦١٨

(٢) المصباح المنير

(٣) التحرير والتنوير ١٦٢/٨ .

٨٠- فرداً (٩٥)

الفرد: الوتر اسم من الفرادة، يقال: فرد يفرد من باب "خرج" فرادة" وجمع الفرد أفراد وفرادى، والأول جمع قلة قياسي، والثاني جمع كثرة سماعي كأنه جمع فردان "[١]. قال الله عز وجل ﴿ لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾[٢].

وقد جاء لفظ "فرد" فاصلة آيتين من هذه السورة الكريمة :

٨٠- ﴿ ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ﴾ "أي نجعل المال والولد لغيره، ونسلبه ذلك ويأتينا فردا" [٣]، أي منفرداً بلا مال ولا ولد . أو بلا معين ولا ناصر [٤].

٩٥- ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ .

وفردا في الآيتين - حال .

وصاحب الحال في "يأتينا فردا" الضمير المستتر الذي هو فاعل "يأتي" وفي الآية الثانية صاحب الحال الضمير المستتر الذي هو فاعل اسم الفاعل :

ملحوظة :

"ما" في قوله تعالى ﴿ ونرثه ما يقول ﴾ الظاهر أنها مصدرية، والمصدر

---

(١) مختار الصحاح للرازي ٤٩٦ طبعة دار المعارف .

(٢) سورة الأنعام / الآية ٩٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٥/٣ .

(٤) تفسير النسفي ٤٧/٣ .

المؤول يحتمل وجهين :

أن يكون بدلا من الهاء بدل اشتمال، وأن يكون مفعولا به أى نرث منه قوله [١]. فتكون الهاء منصوبة على نزع الخافض، واقتصر مكى بن أبى طالب على الوجه الثانى فقال: حرف الجر محذوف تقديره، ونرث منه ما يقول، أى نرث منه ماله وولده [٢] .

٨١- عزًّا

العز: ضد الذل، تقول منه - عز يعز عزا وعزة - بكسر العين فيهما - وعزازة: صار عزيزا [٣] .

فهو مصدر على وزن "فعل" بكسر الفاء .

وقد ورد فاصلة الآية الحادية والثمانين من هذه السورة :

﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ﴾ أى أعوانا [٤]

أو ليكونوا / معزين لهم أى ناصرين . [٥]

وعزاء - فى هذه الآية - خبر ليكونوا - ولهم جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من عز وكان - فى الأصل نعتا له . فلما قدم عليه أعرب حالا منه .

---

(١) البيان ٨٨٢/٢ .

(٢) مشكل إعراب القرآن ٤٦٠/٢ .

(٣) القاموس المحيط (عزز) .

(٤) معانى القرآن وإعرابه ٣٤٥/٣ .

(٥) التحرير والتنوير ١٦٣/٨ .

٨٢- ضدا

في القاموس: الضد - بالكسر - والضديد : المثل، والمخالف، وجمعهما أضداد .

وقد يستعمل المصدر للواحد والجمع بلفظ واحد [١] .

وقد ورد هذا اللفظ فاصلة الآية الثانية والثمانين في سورة مريم .

﴿ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ﴾ . أي يصيرون عليهم أعوانا . [٢]

وضدا - في هذه الآية للجمع . وهو يقابل عزا . في الآية السابقة .

قال أبو البقاء :

"ضدا" واحد في معنى الجمع، والمعنى أن جميعهم في حكم واحد لأنهم متفقون على الإضلال [٣] .

وقال النسفي: ضدا : خصما ، لأن الله تعالى ينطقهم فتقول: يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك، والضد يقع على الواحد والجمع، وهو في مقابلة لهم عزا والمراد ضد الفرد هو الذل والهوان، أي تكونوا عليهم ضدا لما قصدوه" [٤] .

---

(١) القاموس المحيط (ضدد) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٥/٣ .

(٣) التبيان ٨٨١/٢ .

(٤) تفسير النسفي ٤٥/٣ ، والبحر المحيط ٢١٥/٦ .

٨٣- أزا

"الأز" مصدر أز الشئ: حركه شديدا، ومضارعه يؤز مثل مد يمد مدا .

فالفعل أز مضعف ثلاثى يأتى لازما، ويأتى متعديا .

فمن اللازم أزت القدر تئز، وتوز، أزا، وأزيزا، وأزازا – بالفتح – اشتد غليانها . وأز الرعد أزيزا : صوت .

ومن المتعدى أز الناقة: حلبها حلبا شديدا، وأز الماء: أخلاه [١] .

وقد ورد الأز – مصدر أز المتعدى فاصلة – للآية الثالثة والثمانين من هذه السورة الكريمة : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ﴾ ، أى تهيجهم وتغريهم بالمعاصى [٢] .

قال الزجاج :

فى قوله "أرسلنا" وجهان: أحدهما أنا خلينا الشياطين وإياهم ، فلم نعصمهم من القبول منهم .

الوجه الثانى – وهو المختار – أنهم أرسلوا عليهم، وقيضوا لهم بكفرهم كما قال – عز وجل – ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين، ومعنى تؤزهم أزا ، تزعجهم حتى يركبوا المعاصى إزعاجا، فهو يدل على صحة الإرسال والتقييض، ومعنى الإرسال ها هنا – التسليط[٣].

---

(١) انظر القاموس "أزز" .

(٢) انظر صحاح الجوهرى "أزز" .

(٣) معانى القرآن واعرابه ٣٤٥/٣ .

و "أزا" في هذه الآية مفعول مطلق مؤكد لعامله، وهو مصدر أزّ المتعدى. وجملة تؤزهم أزا ، في محل نصب حال من الشياطين .

٨٤- عدا

العد: مصدر عد الشئ يعده عدا : أحصاه .

وقد ورد هذا المصدر فاصلة للآية (٨٤) من سورة مريم .

﴿ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا ﴾ .

أى لا تعجل - يا محمد - على هؤلاء في وقوع العذاب بهم ﴿إنما نعد لهم عدا﴾ أى إنما نؤخرهم لأجل معدود، ومضبوط، وهم صائرون - لا محالة إلى عذاب الله ونكاله .. وقال السدى: إنما نعد لهم عدا السنين والشهور والأيام والساعات، وقال ابن عباس: نعد أنفاسهم في الدنيا"[١].

وعدا . في هذه الآية مفعول مطلق مؤكد لعامله "نعد" مثل "نؤزهم أزا" وجملة "إنما نعد لهم عدا" مستأنفة لا محل لها من الإعراب .

٨٥- وفدا

الوفد : هم الذين يقومون على الملوك مستنجزين من الحوائج . يقال وفد القوم تفد وفادة وهم وفد، ووفود" [٢] .

وقد ورد هذا اللفظ فاصلة الآية (٨٥) من سورة مريم .

﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ﴾ .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للشيخ محمد على الصابونى ٤٦٥/٢ .

(٢) المفردات ٥٢٨ .

"الحشر" الجمع مطلقا يكون فى الخير - كما هنا - ويكون فى الشر كقوله ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدن من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ (١) . ولذلك أتبع فعل "يحشر" بقيد "وفدا" أى حشر الوفود إلى الملوك ، فإن الوفود يكونون مكرمين(٢) .

قال السمين الحلبى :

والوفد: الجمع الوافدون: يقال: وفد يفد وفدا ووفودا ووفادة: أى قدم على سبيل التكرمة . فهو فى الأصل - مصدر، ثم أطلق على الأشخاص كالصف. وقال أبو البقاء . (٣) وفد جمع وافد مثل راكب وركب، وصاحب وصحب، وهذا الذى قاله ليس مذهب سيبويه(٤) ، لأن فاعله لا يجمع على "فعل" عند سيبويه، وأجازه الأخفش(٥) . فأما ركب وصحب فأسماء جمع لا جمع بدليل تصغيرها على ألفاظها (٦) .

وبهذا يظهر لنا أن كلمة "وفد" فى الآية الكريمة - اسم جمع عند سيبويه وجمهور البصريين، وجمع وافد عند الأخفش وأبى البقاء .

وهى فى الآية الكريمة حال من المتقين .

---

(١) الصافات .

(٢) التحرير والتنوير ١٦٨/٦ .

(٣) التبيان ٨٨٢/٢ .

(٤) انظر الكتاب ٦٢٤/٣ .

(٥) انظر معانى القرآن ٥٠٤/٢ .

(٦) الدر المصون للسمين الحلبى - تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط ٦٤٢/٦ .

٨٦- وردا

جاء في لسان العرب : الورد: الماء الذي يورد، والورد الابل الواردة، والورد العطش . والورد: الواردة، والواردة: وراد الماء، والورد: الوراد: وهم الذين يردون الماء، والورد: النصيب من الماء [١] .

وفي قوله تعالى : ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود ﴾ [٢] .

قال الزمخشري: الورد: المورود و المورود: الذي وردوه، شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء، وشبه أتباعه بالواردة، ثم قيل: بئس الورد الذي يردونه النار . لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش، وتبريد الأكباد، والنار ضده [٣] .

وقد ورد لفظ "ورد" فاصلة الآية (٨٦) من سورة مريم .

﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ أي مشاة عطاشا .قاله الزجاج[٤]

وقال الزمخشري :

وذكر الكافرون بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش .

والورد: العطاش، لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش، وحقيقة الورد

---

(١) لسان العرب (ورد) .

(٢) سورة هود / الآية ٩٨ .

(٣) الكشاف ٢٩١/٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٦/٣ .

السير إلى الماء " [١] .

وفى تفسير الجلالين: وردا : جمع وارد بمعنى ماش عطشان .[٢]

و "وردا" فى الآية الكريمة - حال من المجرمين ، وهو جمع وارد، أو اسم جمع له .

٨٩- إدا

ورد هذا اللفظ فاصلة الآية التاسعة والثمانين من سورة مريم.

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا ﴾ .

قال الراغب :

أى أمرا منكرا يقع فيه جلبة من قولهم: أدت الناقة إذا رجعت حنينها ترجيعا شديدا والأديد: الجلبة [٣].

وفى المعجم الوسيط: الإد : الأمر الداهى المنكر [٤].

والشئ الإد فى هذه الآية الكريمة - هو قولهم : ﴿اتخذ الرحمن ولدا﴾.

وجمهور القراء على كسر الهمزة ، وقرئ شاذا - بفتحها .

قال السمين الحلبى: [٥] العامة على كسر الهمزة من إدا وهو الأمر العظيم المتعجب منه . وقرأ أمير المؤمنين والسلمى بفتحها، وخرجوه على

---

(١) الكشاف ٥٢٤/٢ .

(٢) تفسير الجلالين ٧٩/٣ .

(٣) المفردات / ١٤ .

(٤) المعجم الوسيط (أدد) .

(٥) الدر المصون ٦٤٣/٧ ، والبحر المحيط ٢١٨/٦ .

حذف مضاف أى شيئا إدا [١]

و"إدا" - فى الآية نعت منصوب لشئ الذى هو مفعول به . ولم يرد هذا اللفظ فى غيرهذه الآية من الذكر الحكيم .

٩٠- هدا

الهد: مصدر هد بمعنى هدم. يقال: هددت البناء هدا: هدمته بشدة صوت فانهد [٢] .

وقد ورد هذا المصدر فاصلة للآية التسعين من سورة مريم :

﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ﴾

قال النسفى: هدا : كسرا أو قطعا أو هدما [٣] .

وفى إعراب - هدًا . فى هذه الآية الكريمة ثلاثة أوجه، أجملها صاحب الدر المصون فقال: أحدها: أنه مصدر فى موضع الحال، أى مهدودة، على أن يكون هذا المصدر من هد زيد الحائط يهده هدا أى: هدمه .

والثانى: وهو قول أبى جعفر[٤] أنه مصدر على غير المصدر لما كان فى معناه، لأن الخرور السقوط والهدم، وهذا على أن يكون من هد الحائط يهد: أى انهدم فيكون لازما .

والثالث: أن يكون مفعولا من أجله - قال الزمخشرى[٥]:

---

(١) هكذا فى الدر والبحر، وفى الكلام سقط : أى شيئاً ذا أد .

(٢) المصباح المنير (هدد) .

(٣) تفسير النسفى ٤٦/٣ .

(٤) انظر اعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ٣٢٨/٢ .

(٥) انظر الكشاف ٥٢٥/٢ .

"أي لأنها تهد"[١] .

ويبدو لي أن الوجه الثاني وهو كون هداً مفعولا مطلقا للفعل "يخر" كما في قولك: قمت وقوفا، وعاث فساداً أظهر الأوجه الثلاثة، وقد اقتصر عليه النحاس وصاحب التحرير والتنوير [٢] .

٩٣- عبداً

العبد خلاف الحر، وهو عبد بين العبدية، والعبودية، وله جموع كثيرة، الاشهر منها أعبد، وعبيد، وعباد [٣] .

والعبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال ﴿أن لا تعبدوا إلا إياه﴾[٤] .

والعبد يقال على أربعة أضرب: أحدها

الأول: عبد بحكم الشرع، وهو الإنسان الذي يصح بيعه وابتياعه نحو: ﴿العبد بالعبد﴾ [٥] .

الثاني: عبد الإيجاد، وذلك ليس إلا لله، وإياه قصد بقوله: ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ .

---

(١) الدر المصون ٦٤٧/٧ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ١٧٧/٨ .

(٣) الصباح المنير (عبد) .

(٤) سورة الإسراء / الآية ٢٣ .

(٥) سورة البقرة / الآية ١٧٨ .

والثالث : عبد بالعبادة والخدمة، والناس - في هذا - ضربان: عبد لله مخلصا، وهو المقصود بقوله ﴿ واذكر عبدنا أيوب ﴾ [١] ، ﴿ نزل الفرقان على عبده ﴾ [٢] ، وعبد للدنيا وأغراضها .. وإياه قصد النبي - ﷺ بقوله: (تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار) .. وجمع العبد الذى هو مسترق عبيد، وقل عبدى . وجمع العبد الذى هو العابد عباد .[٣]

وقد ورد لفظ "عبد" في الآية الثالثة والتسعين من هذه السورة الكريمة .

﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ﴾ .

أى خاضعا ذليلا منقادا، والمعنى: ما كل من في السموات والأرض من الملائكة والناس إلا هو يأتى يوم القيامة مقرا بالعبودية، والعبودية والبنوة متناقضان، حتى لو ملك الأب ابنه يعتق عليه، ونسبة الجميع إليه نسبة العبد إلى المولى [٤] .

وعبد في هذه الآية - يدخل في النوع الثانى من الأنواع الأربعة التى سبق ذكرها وهو عبد الإيجاد والخلق .

الإعراب والعبد اسم ذات، فهو جامد لا مشتق، و "عبدا" في هذه الآية حال من الضمير المستتر في اسم الفاعل آتى . وهى حال مؤولة بالمشتق .

---

(١) سورة ص / الآية ٤١ .

(٢) أول سورة الفرقان .

(٣) المفردات ٣١٩ .

(٤) تفسير النسفى ٤٦/٣ .

و"آتى" خبر كل المضافة إلى "من" الموصولة .

وكل المضافة إلى معرفة يجوز - في خبرها - الإفراد مراعاة للفظها، والجمع مراعاة لمعناها والإفراد هو الأفصح والأشهر قال السهيلي: [١]

كل إذا ابتدئت، وكانت مضافة لفظا - يعني لمعرفة . فلا يحسن إلا إفراد الخبر، حملا على المعنى، تقول: كلكم ذاهب، أي كل واحد منكم ذاهب. هكذا هذه المسألة في القرآن والحديث، الكلام الفصيح [٢] .

٩٦- ودًّا

الود - بالضم - مصدر وددته أوده، من باب "تعب" ودا - بضم الواو وفتحها - أحببته، والاسم المودة، وددت لو كان كذا أود - أيضا - ودا، ووداده - بالفتح - تمنيته [٣] .

وقال الراغب : [٤]

الود: محبة الشئ، وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين، على أن التمني يتضمن معنى الود، لأن التمني هو تشهي حصول ما توده، وقوله : ﴿ وجعل بينكم مودة ورحمه ﴾ [٥] ، وقوله ﴿ سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ [٦] إشارة إلى ما أوقع بينهم من الألفة المذكورة في قوله

---

(١) انظر نتائج الفكر تحقيق د/ محمد البنا المسألة (٥٥) .

(٢) الدر المصون ٩٥/٧ .

(٣) انظر المصباح المنير (ودد) .

(٤) المفردات ٥١٦ .

(٥) سورة الروم / الآية ٢١

(٦) سورة مريم / الآية ٩٦ .

﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم ﴾[1] . والودود من أسماء الله سبحانه وتعالى . يتضمن ما دخل في قوله تعالى ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ [2] .

وقد ورد لفظ : "ود" فاصلة الآية (٩٦) من هذه السورة الكريمة :

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾. أى مودة في قلوب العباد، وقال الربيع: يحبهم ويحببهم إلى الناس، وفي الحديث: يعطى المؤمن مقة[3] في قلوب الأبرار ومهابة في قلوب الفجار

وقد قرأ عامة القراء بضم الواو، وقرأ أبو الحارث الحنفى بفتحها، وجناح بن حبيش بكسرها[4] ، فالفتح على أنه مصدر ، أو الضم، والكسر على أنها اسم [5] .

وودا على كل القراءات مفعول به للفعل المضارع "يجعل" المتعدى إلى مفعول واحد لأنه بمعنى "يوجد" ويخلق .

٩٧- لُداً

"لد" بزنة - فعل - بضم الفاء - جمع ألد . بزنة ، أفعل .

---

(١) سورة الأنفال / الآية ٦٣ .

(٢) سورة المائدة / الآية ٥٤ .

(٣) مقة : حب مصدر ومق يمق مقاة : أحب .

(٤) شواذ ابن خالويه ٨٩ .

(٥) انظر الدر المصون ٦٥١/٧ .

يقال: لديلد – من باب تعب : اشتدت خصومته، فهو ألد، والمرأة لداء، والجمع "لد" من باب أحمر[1] ، ولادة ملادة، ولداداً من باب قاتل، ولد الرجل خصمه لدا من باب "قتل" : شدد خصومته، فهو "لد" ، تسمية بالمصدر، ولاد – على الأصل – ولدود" [2] .

فالفعل لديلدا من باب تعب فعل لازم، والوصف منه "ألد" بزنة "أفعل" للمذكر ولداء، بزنة فعلاء للمؤنث، وهما صفتان مشبهتان، وجمعهما "لد" بزنة فعل، كما يقال: أحمر وحمراء وحمر، وأعمى وعمياء وعمى .

أما الفعل لد، يلد – مثل مد يمد، وعد ويعد امن باب نصر، فهو متعد، واسم الفاعل منه لاد بزنة (فاعل)، وللمبالغة لدود بزنة فعول كثير الخصومة. وقد ورد "لد" – جمع "ألد" فاصلة الآية السابعة والتسعين من سورة مريم ﴿ وإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا ﴾.

قال الزجاج: جمع ألد مثل أصم وصيم – والألد : الشديد الخصومة[3] .

وفي القرآن الكريم ﴿وهو ألد الخصام﴾[4] أشدهم خصومة، يقال: رجل ألد بين اللدد وقوم لد، والخصام جمع خصم، ويجمع على فعول وفعال. يقال: خصم وخصام وخصوم [5] .

---

(١) باب أحمر يقصد به مجئ الوصف على وزن أفعل فعلاء، من مصادر الأفعال الدالة على لون أو جلبة أو عيب، مثل: أحمر وأجور، وأعرج .

(٢) انظر المصباح المنير (لدد) .

(٣) معانى القرآن ٣٤٧/٣ .

(٤) سورة البقرة / الآية ٢٠٤

(٥) تفسير غريب القرآن / ٨٠

ولدًا : في هذه الآية – نعت منصوب لقوم الذى هو مفعول تنذر .

ملحوظة :

بلسانك بلغتك: وهى العربية، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء فى نزلناه وقيل الباء بمعنى "على" أى على لسانك وهو ضعيف[1].

وقال صاحب التحرير والتنوير: الباء للسببية أو المصاحبة [2] .

٩٨- ركزا

الركز: الصوت الخفى، جاء فى القاموس المحيط: الركز بالكسر الصوت الخفى والسر والرجل الفاضل السخى الكريم [3] .

وقد ورد لفظ ركز، فاصلة الآية الأخيرة من هذه السورة الكريمة :

﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾

صوتا خفيا أى لما أتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى، ولا صوت يسمع، هلكوا كلهم [4].

وقال ابن قتيبة: الركز : الصوت الذى لا يفهَم [5] .

وركزاً – فى هذه الآية مفعول "تسمع" .

---

(١) انظر الدر المصون ٦٥٣/٧ ، والتبيان ٨٨٣/٢ .

(٢) السابق – ١٧٦/٨ .

(٣) القاموس المحيط (ركن) .

(٤) تفسير النسفى ٤٧/٣ .

(٥) تفسير غريب القرآن / ٢٧٦ .

ملحوظة :

القرن: القوم المقترنون فى زمن واحد، والأمة، والجيل، ويطلق على الزمن الذى تعيش فيه الأمة، وشاع تقديره بمائة سنة، وقيل: ثمانون . وجمعه: قرون[١] ، قال سبحانه ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾[٢].

وكم - فى هذه الآية "خبر" تفيد التكثير ، وقد جر تمييزها بـ "من" البيانية (من قرن) والجار والمجرور "منهم" متعلق بمحذوف حال من "أحد" .

"من أحد" من حرف جر زائد، أحد - مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة - منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد.

ومجئ الحال من النكرة - هنا - قياسى لسبق النكرة بالاستفهام، وتقدم الحال عليها، وكون النكرة دالة على العموم .

وكذلك زيادة "من" جارة للمفعول به قياسية لتحقق شروط الزيادة فيها: فقد سبقت باستفهام، ومجرورها نكرة، ودخلت على مفعول به [٣] .

وفائدة زيادتها تأكيد العموم الذى يفيده "أحد" .

وبهذا ينتهى - بتوفيق الله - الدراسة اللغوية لفواصل سورة مريم .

---

(١) انظر صحاح الجوهرى، والمفردات (قرن) والتحرير والتنوير ١٧٨/٨ .

(٢) سورة الإسراء / الآية ١٧ .

(٣) انظر اوضح المسالك لابن هشام - تحقيق الشيخ محمد محيى الدين ٢٧/٣ .

فواصل سورة مريم دارسة تحليلة

أولا - فى النحو الإعراب

جاءت فواصل هذه السورة الكريمة ممثلة فى الكلمات الآتية . حسب ترتيب الآيات القرآنية :

صاد - زكريا - خفيا - شقيا - وليا - رضيا - سميا - عتيا - شيئا - سويا - عشيا - صبيا - تقيا - عصيا - حيا - شرقيا - سويا - تقيا - زكيا - بغيا - مقضيا - قصيا - منسيا - سريا - جنيا - إنسيا - فريا - بغياً - صبيا - نبياً - حيا - شقيا - حيًّا - يمترون - فيكون - مستقيم - عظيم - مبين - لا يؤمنون - يرجعون - نبيا - شيئا - سويا - عصيا - وليا - ملياً - حفيا - شقيا - نبيا - عليا - نبيًّا - نجيا - نبيا - نبيا - مرضيا - نبيا - عليا بكيا - غيا - شيئا - مأتيا - عشيا - تقيا - نسيا - سميا - حيا - شيئا - جثيا - عتيا - صليا - مقضيا - جثيا .

نديا - رئيا - جندا - مردا - ولدا - عهدا - مدا - فردا - عزا - ضدا - أزا - عدا - ومدا - وردا - عهدا - ولدا - إدا - هدا - ولدا - ولدا - عبدا - عدا - فردا - ودا - لدا - ركزا .

١- وبالتأمل فى هذه الفواصل الثمانى والتسعين ترى أنها محصورة فى خمس وستين كلمة فقط وذلك لأن بعض الكلمات جاءت فاصلة لأكثر من آية، منها ما جاء فاصلة لآيتين: وهى

بغيا : الآية (٢٠) ، والآية (٢٨) .

جنيا : الآية (٦٨) ، والآية (٧٢) .

سميا : الآية (٧) ، والآية (٦٥) .

صبياً : الآية (١٢) ، والآية (٢٩) .

عتيا : الآية (٨) ، والآية (٦٩) .

عشيا : الآية (١١) ، والآية (٦٢) .

عصيا : الآية (١٤) ، والآية (٤٤) .

عليا : الآية (٥٠) ، والآية (٥٧) .

عهدا : الآية (٧٨) ، والآية (٨٧) .

عدا : الآية (٨٤) ، والآية (٩٤) .

فردا : الآية (٨٠) ، والآية (٩٥) .

وليا : الآية (٥) ، والآية (٤٥) .

ومنها ما جاء فاصلة لثلاث آيات :

تقيا : الآية (١٣) ، والآية (١٨) ، والآية (٦٣) .

سويا : الآية (١٠) ، والآية (١٧) ، والآية (٤٣) .

شقيا : الآية (٤) ، والآية (٣٣) ، والآية (٤٨) .

ومنها ما جاء فاصلة لأربع آيات :

حيا : الآية (١٥) ، والآية (٣١) ، والآية (٣٣) ، والآية (٦٦) .

ولدا : الآية (٧٧) ، والآية (٨٨) ، والآية (٩١) ، والآية (٩٢) .

شيئا : الآية (٩) ، والآية (٤٢) ، والآية (٦٠) والآية (٦٧) .

ومنها ما جاء فاصلة لسبع آيات :

نبيا : الآية (٣٠) ، والآية (٤١) ، والآية (٤٩) ، والآية (٥١) ، والآية (٥٣) ، والآية (٥٤) ، والآية (٦٠) .

٢- من هذه الكلمات التى جاءت فواصل لآيات هذه السورة الكريمة أربعة أفعال فقط هى: يمترون - يكون - يؤمنون - يرجعون وباقيها أسماء منها عشرون اسما مكررا فى أكثر من آية، وواحد وأربعون اسما جاء كل اسم فيها فاصلة لآية واحدة .

٣- الأفعال الأربعة التى جاءت فواصل لأربع آيات هى - ٣٤: يمترون، ٣٥: فيكون ، ٣٩: لا يؤمنون ، ٤٠: يرجعون . كلها مرفوعة لم يسبقها ناه ولا جازم، وعلامة رفعها ثبوت النون لأنها من الأفعال الخمسة، وكل مضارع منها مسند لواو الجماعة، وواو الجماعة فاعل للأفعال. يمترون، يكون لا يؤمنون ، لأنها مبنية للمعلوم . ونائب فاعل فى "يرجعون" لأنه مبنى للمجهول، والفعل يكون تام يكتفى بفاعله ، ولا خبر له .

والفعل يؤمنون منفى بـ "لا" النافية ، والأفعال الثلاثة الباقية مثبتة .

٤- وفواصل الآيات الخمس والتسعين الباقية كلها أسماء . منها اسم واحد مبنى هو كلمة "صاد" التى هى فاصلة الآية الأولى. اسم مبنى على السكون لا محل له من الإعراب، وإنما عددناه اسما. لأن المقصود منه اسم الحرف (ص) لا لفظه .

٥- وباقى الأسماء معربة . منها اسم مرفوع، وهو فاصلة الآية (٣٦) : ﴿هذا صراط مستقيم﴾، وهو نعت لـ "صراط" الذى هو خبر اسم الإشارة. ومنها اسمان مجروران هما: "عظيم" فاصلة الآية (٣٧) ﴿ فويل للذين

كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ ، وهو صفة مجرورة ليوم الذى هو مضاف اليه .

و "مبين" فاصلة الآية (٣٨) . ﴿ لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين ﴾ .

وهو – أيضا – نعت مجرور لضلال المجرور بحرف الجر "فى" .

وباقى الأسماء وهى واحد وتسعون اسما منصوبة .

ويختلف سبب نصبها وفقا للتوضيح الآتى :

أ- منها ما هو خبر فعل ناسخ .

ب- ومنها ما هو مفعول مطلق .

جـ- ومنها ما هو مفعول به .

د- ومنها ما هو حال .

هـ- ومنها ما هو تمييز .

و- ومنها ما هو تابع لاسم منصوب .

ز- ومنها ما يحتمل أكثر من وجه .

ونفصل هذا الإجمال فنقول :

أولا: المنصوب لأنه خبر كان أو إحدى اخواتها :

أ- خبر كان :

﴿ وكان فقيا (٣) – إن كنت تقيا (١٨) – وما كانت أمك بغيا (٢٨) – كان للرحمن عصيا (٤٤) – إنه كان بى حفيا (٤٧) – وكان عند ربه مرضيا (٥٥) – إنه كان وعده مأتيا (٦١) – من كان تقيا (٦٣) – وما كان ربك نسيا (٦٤)

- خبر مضارع "كان" .

ولم أكن بدعائك رب شقيا (٤) - ولم تك شيئا (٩) - ولم أك بغيا (٢٠) - ولم يك شيئا (٦٧) - ليكونوا لهم عزا (٨١) - ويكونون عليهم ضدا (٨٢) .

جـ- خبر "ما دام" وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا (٣١) .

ثانياً: المفعول المطلق: ونمد له من العذاب مدا (٧٩) - إنما نعد لهم عدا (٨٤) .

ثالثاً: المفعول به: فهب لي من لدنك وليا (٥) ، لم نجعل له من قبل سميا (٧) وقد بلغت من الكبر عتيا (٨) - قد جعل ربك تحتك سريا (٢٤) - فلن أكلم اليوم إنسيا (٢٦) فسوف يلقون غيا (٥٩) - هل تعلم له سميا (٦٥) - أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨) إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا (٨٧) - وقالوا اتخذ الرحمن ولدا (٨٨) - أن دعوا للرحمن ولدا (٩١) وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا (٩٢) - سيجعل لهم الرحمن ودا (٩٦) أو تسمع لهم ركزا (٩٨) .

والمفعول الثاني: واجعله رب رضيا (٦) - وجعلني نبيا (٣٠) . وكلا جعلنا نبيا (٤٩) .

رابعا : الحال: ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (١٠) - وآتيناه الحكم صبيا (٢) ويوم يبعث حيا (١٥) - ويوم أبعث حيا (٣٣) - وقربناه نجيا (٥٢) ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا (٥٣) - لسوف أخرج حيا (٦٦) - ويأتينا فردا (٨٠) ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) - يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا (٨٥) - ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ونسوق

المجرمين إلى جهنم وردا (٨٦) إن كل من فـي السـموات والأرض إلا أتي الرحمن عبدا (٩٣) وكلهم آتيه يوم القيامة فردا (٩٥) .

خامسا : التمييز : أولى بها صليا (٧٠) - أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) وأحسن نديا (٧٣) - وأضعف جندا (٧٥) - وخير مردا (٧٦) .

سادساً: تا ع المنصوب :

أ- النعت : إذ نادى ربه نداء خفيا (٣) ولم يكـن جبارا عصيا (١٤) - مكانا شرقيا (١٦) فتمثل لها بشرا سويا (١٧) - لأهب لك غلاما زكيا (١٩) - وكان أمرا مقضيا (٢١) فانبتذت به مكانا قصيا (٢٢) تساقط عليك رطبا جنيا (٢٥) - وكنت نسيا منسيا (٢٣) - ولم يجعلنى جباراً شقيا (٣٢) - فاتبعنى أهدك صراطا سويا (٤٣) - وجعلنا لهم من رحمننا لسان صدق عليا (٥٠) - ورفعناه مكانا عليا (٥٧) - كان على ربك حتما مقضيا (٧١) لقد جئتم شيا إدا (٨٩) - وتنذر به قوما لدا (٩٧) - وقد بلغت من الكبر عتيا (٨) .

ب- عطف النسق : أن سبحوا بكرة وعشيا (١١) - خروا سجدا وبكيا (٥٨) - ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا (٦٢) .

- هم أحسن أثاثا ورئياً (٧٤) - لأوتين مالا وولدا (٧٧) .

جـ- بدل: ذكر رحمة ربك عبده زكريا (٢) .

سابعا: ما يحتمل أكثر من وجه إعرابى :

١- كيف نكلم من كان فى المهد صبيا (٢٩) "صبيا فى هذه الآية يحتمل أن يكون خبر كان على تقديرها ناقصة . فإن قدرت تامة أو زائدة كان حالا .

٢- إنه كان صديقا نبيا (في الآيتين ٤١-٥٦) .

"نبيا" في الآيتنين - يحتمل أن يكون نعتا لخبر كان، وأن يكون خبرا ثانيا لها .

٣- ﴿ وكان رسولا نبيا ﴾ (في الآيتين ٥١-٥٥) .

يحتمل "نبيا" في الآيتين أن يكون نعتا لخبر كان، وأن يكون خبرا ثانيا .

٤- ﴿ وتخر الجبال هدا ﴾ (٩٠) .

"هدا" في هذه الآية يحتمل ثلاثة أوجه :

أن يكون حالا بمعنى مهدودة . وأن يكون مفعولا مطلقا مرادفا للفعل "يخر" وأن يكون مفعولا لأجله .

٥- فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا (٤٣)

"شيئا" تحتمل وجهين :

أن تكون مفعولا مطلقا، وأن تكون مفعولا ثانيا للفعل "تظلم" .

وهذا وقد تبين لك - من هذا التحليل الإعرابي - لفواصل سورة مريم: ما يأتي :

أ- أن معظم فواصلها منصوبة، وأسباب النصب متعددة، بين خبر الناسخ الفعلي، والمفعولية والتبعية، والحال، والتمييز، والمفعول المطلق .

ب- لم يرد - في هذه الفواصل اسم لا النافية للجنس، ولا المستثنى، ولا المنادى ولا الظرف ولا المفعول معه، ولا خبر ما - الحجازية، ولا خبر أفعال المقاربة والرجاء والشروع، وجاء عطف البيان، والمفعول لأجله احتمالا، وجاء نعت ظرف المكان في قوله تعالى: ﴿ فانتبذت به مكانا

قصيا ﴾ وجاءت الحال الموطئة (وهى الجامدة الموصوفة بمشتق) فى قوله تعالى ﴿ فتمثل لها بشرا سويا ﴾ .

جـ- ظاهرة تقديم ما حقه التأخير واضحة فى كثير من هذه الفواصل القرآنية مثل: ولم أكن بدعائك رب شقيا - فهب لى من لدنك وليا - لم نجعل له من قبل سميا . وإلينا يرجعون - ولا يغنى عنك شيئا - حول جهنم جثيا - إنه كان بى حفيا .

د- الفعل "اتخذ" جاء مرة متعديا لمفعول واحد، وكذلك جاء مضارعه يتخذ .

هـ- الفعل جعل جاء مرتين متعديا لمفعولين ﴿ وجعلنى نبيا - وكلا جعلنا نبيا، وكذلك جاء الأمر منه ناصبا مفعولين (واجعله رب رضيا) .

و- من الأسماء الأربعة والتسعين التى جاءت فى فواصل هذه السورة - اسمان معرفتان فقط هما . (صاد - زكريا) ، وباقى الأسماء نكرات .

ثانيا: فى التصريف :

١- جاء فى فواصل سورة مريم ألفاظ لم تذكر فى غير هذه الآيات التى وردت فيها . فهى مما انفردت به هذه السورة الكريمة . وعددها ٢٨ لفظا. وهذه الألفاظ منها ما ذكر مرة واحدة، ومنها ما ذكر مرتين، ومنها ما ذكر ثلاث مرات: فالألفاظ التى ذكرت مرة واحدة هى (مرتبة ترتيبا هجائيا): مأتيا - إدا - أزا - إنسيا - بكيا - جنيا - رئيا - رضيا - ركزا - زكيا - سويا - شرقيا[1] - ضدا - عزا - نسيا - منسيا - هدا - وفدا .

---

(١) زكيا، وشرقيا، ورد فى القرآن الكريم مؤنثهما - (قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس) الكهف ٧٤ . (زيتونة لا شرقية ولا غربية) - النور : ٣٥ .

والألفاظ التي ذكرت مرتين هي :-

بغيا – جثيا – سميا – صبيا – عتيا – عصيا – عدا – مقضيا – مدا .

ولفظ واحد ذكر – في فواصل هذه السورة ثلاث مرات هو: "تقيا" (١٣-١٨-٦٣) .

٢- في هذه الألفاظ التي تكون فواصل سورة مريم اسم أعجمي هو زكريا: واسم جامد مجهول الأصل وهو صاد وباقي الألفاظ تضم أربعة أفعال متصرفة ، وباقيها أسماء متصرفة فالأفعال المتصرقة هي :

(يمترون) مضارع "امترى" فعل ثلاثي ناقص، مزيد بحرفين هما: الميم والتاء مسند لواو الجماعة، ووزن امترى "افتعل" ووزن يمترون: يفتعون

(يكون) فعل ثلاثي مجرد أجوف. من باب (نصر) وزنه يفعل – بضم العين

(يؤمنون) من الإيمان – مضارع "آمن" ثلاثي مزيد بحرف وهو الهمزة: وهو مهموز. وأصله أأمن بزنة "أفعل" اجتمعت همزتان في أول الكلمة. والثانية ساكنة فوجب قلبها حرف مد من جنس حركة الهمزة الأولى وهي الفتحة .

وعند الإتيان بالمضارع من وزن أفعل "تجب حذف الهمزة تخفيفا، وضم حرف المضارعة لكون الماضي على أربعة أحرف، يؤمنون مسند لواو الجماعة. ووزنه "يفعلون" يرجعون مضارع رجع فعل ثلاثي سالم مبني للمجهول مسند لواو الجماعة، وهو من الرجع لا من الرجوع، ووزنه يفعلون .

٣- والأسماء المتصرفة وهي اثنان وثمانون اسما مجردة أو مزيدة "كلها ثلاثية" فالمجردة ٢١ اسما جاءت على أربعة أوزان من أوزان الاسم

الثلاثي المجرد .

أ- فعل - بفتح الفاء وسكون العين .

أذًا - حيا - شيئا - عبدا - عدا - عهدا - غيا - فردا - مدا - هدا - وفدا .

ب- فعل بكسر الفاء وسكون العين : إدا - رئيا - ركزا - ضدا - عزا - وردا .

جـ- فعل - بضم الفاء وسكون العين : جندا - لدا - ودا .

د- فعل - بفتح الفاء والعين : ولدا (٤ مرات) .

والمزيد إما بحرف، أو بحرفين، أو بثلاثة :

أ- فالمزيد بحرف واحد جاء - على خمسة أوزان من أوزان الثلاثي المزيد : هي : فعيل - وفعول - بفتح الفاء - وفعول - بضم الفاء - ومفعل - بفتح الميم - مفعل - بضم الميم وكسر العين .

ما جاء على وزن (فعيل) بفتح الفاء وكسر العين :

جنيا - حفيا - خفيا - رضيا - زكيا - سريا - سميا - سويا - شقيا - صبيا - عشيا - عصيا - عظيم - عليا - فريا - قصيا - مليا - نبيا - نجيا - نديا - نسيا - تقيا - وليا (٢٣) .

ملحوظة :

من هذه الأسماء ما ذكر في فاصلتين : عشيا - عصيا - عليا - سميا - صبيا - وليا .

(٦) ومها ما جاء فاصلة لثلاث آيات : تقيا - سويا - شقيا .

(٣) ومنه ما جاء فاصلة لسبع آيات : نبيا .

وما جاء على وزن فعول - بفتح الفاء وضم العين - بغيا : على الأصح وما جاء على وزن "فعول" - بضم الفاء والعين: بكيا - جثيا - صليا - وعتيا .

وقد تبين لنا - مما سبق - أن الأصل - فيها - بكوى - جثوى - ضلوى - عتوو . حدث - في الثلاثة الأولى - إعلال فإدغام وبكى وجثو جمعا تكسير - مفردهما باك - جاث - وصلى مصدر على الأرجح، وكلمة - عتوه" مصدر عتا. القياس فيها إدغام الواوين: فتكون عتو كما في قوله تعالى: ﴿ وعتوا عتوا كبيرا ﴾ (1) . ويحوز فيها كسر ما قبل الواو. فتنقلب الواو ياء - ثم تعل الواو الأخيرة لاجتماعها مع الياء الساكنة قبلها ثم تدغم الياءان . ويجوز أن تقلب فاء الكلمة كسرة لتناسب كسرة العين . وهذا ما حدث فيها في هاتين الفاصلتين اللتين ذكرت فيهما .

وما جاء على وزن مفعل - بفتح الميم، وفتح العين "مردا" وأصله مردد - بدالين - ثم أدغم الدالان .

وما جاء على وزن مفعل - بضم الميم، وكسر العين - مبين، وأصله مبين - بسكون الباء وكسر الياء. ثم حدث فيه إعلال بالنقل. وهو اسم فاعل للفعل أبان . ثلاثي مزيد بالهمزة .

أ- ثلاثي مزيد بحرفين : (على وزن مفعول) بزيادة الميم والواو .

---

(1) سورة الفرقان / الآية ٢١ .

مأتيا - مرضيا - مقضيا - مسيا .

وأصلها مأتوى - مرضوى - مقضوى - مسوى - اسم مفعول من الفعل الثلاثي الناقص . حدث فيها إعلال بالقلب، ثم إدغام الياءين، ثم قلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء ومقضيا ذكر في فاصلة آيتين .

ب- ثلاثي مزيد بثلاثة أحرف "مستقيم على وزن مستفعل" .

اسم فاعل من الاستقامة . اسم فاعل للفعل "استقام . ثلاثي مزيد بالهمزة السين والتاء وأصله استقوم بزنة استفعل، حدث فيه إعلال بالنقل، ثم إعلال بالقلب ومثل ذلك حدث في اسم الفاعل "مستقوم" إلا إنه في الماضي قلبت الواو ألفا لفتح ما قبلها . أما في الاسم الفاعل. فقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها .

أما إنسيا وشرقيا – فكل منهما اسم ثلاثي مجرد زيدت عليه ياء النسب، فهما في الحقيقة – مجردان لأن ياء النسب مستقلة عنهما . وياء النسب ياء مشددة .

ملحوظة :

مما سبق يتضح لنا أنه لم يرد في فواصل سورة مريم – اسم رباعي مجرد، أو مزيد، كما أنه لم يرد فيها فعل رباعي مجرد، أو مزيد .

٤- من حيث الصحة والاعتلال :

نجد أن الكلمات المتصرفة المذكورة تعود كلها إلى أصل ثلاثي صحيح أو معتل .

والصحيح - كما تعلم مهمور، أو مضعف، أو سالم

والمعتل: مثال، أو أجوف، أو ناقص، أو لفيف،واللفيف مقرون،أو مفروق.

أولا: الصحيح :

أ-المهموز : يؤمنون (مضارع آمن) - إنسيا .

ب- مضاعف: ضدا - عدا - عزا - لدا - مدا - هدا .

جـ- مهموز مضاعف: أزا .

سالم: جندا - يرجعون - ركزا - شرقيا - عبدا - عهدا - فردا - عظيم.

ثانيا : المعتل :

أ- المثال: ودا - وردا - وفدا - ولدا .

ب- الأجوف: مبين - شيئا - مستقيم - يكون .

جـ- الناقص :

مأتيا - بغيا - بكيا - جثيا - جنيا - حفيا - خفيا - رضيا - مرضيا - زكيا - سريا - سميا - صبيا - صليا - عتيا - عشيا - عصيا - عليا - فريا - قصيا - مقضيا - يمترون - مليا - نبيا - نجيا - نديا - نسيا - منسيا .

د- اللفيف المقرون: حيا - غيا - سويا ، المفروق: تقيا - وليا .

٥- من حيث الجمود والاشتقاق .

أ- اشتملت فواصل هذه السورة على اسماء جامدة منها: صاد - زكريا - ولدا - فردا - نديا - شيئا وكل منها اسم ذات، ومنها: عتيا، صليا ، غيا، عزا، ضدا - هدا - أزا - عدا ، وكل منها اسم مبنى (مصدر) ، ومردا: مصدر ميمي .

ب- كما اشتملت على أسماء مشتقة مختلفة منها :

بكيا، جمع باك اسم فاعل، وجثيا جمع جاث اسم فاعل - أيضا، وكذلك "مستقيم" مأتيا - مقضيا - مرضيا ، منسيا : أسماء مفعول .

بغي - عصى - نسي - صيغ مبالغة ، وكذلك خفى - وقصى - شقى - حى - عظيم - لد: جمع ألد .

جـ- جاء وزن "فعيل" فى هذه الفواصل للمبالغة - مثل عصى - وصفة مشبهة "عظيم" بمعنى مفعول مثل "جنى" ورضى - وبمعنى مفعل: نبى، وبمعنى مفاعل ، نجى واسم جنس : عشيا .

ثالثا: من حيث حروف الفواصل وكلماتها :

أولا : بالتأمل فى الحرف الأخير من فواصل هذه السورة الكريمة يتبين لنا ما يأتى :

أ- أنه لا يخرج عن الأحرف الآتية :

دال ساكنة فى الآية الأولى (صاد) .

ميم ساكنة قبلها ياء مد فى آيتين (مستقيم - عظيم) .

نون ساكنة فى خمس آيات :

قبلها واو مد فى أربع آيات (يمترون - يكون - يؤمنون - يرجعون) .

وقبلها ياء مد فى آية واحدة (مبين) .

وألف مد فى تسعين آية .

وهذه الألف مسبوقة بهمزة فى أربع آيات (شيئا ٩،٤٢،٦٠،٦٧) .

ومسبوقة بدال فى (١٧) سبع عشرة آية .

ومسبوقة بزاى فى ثلاث آيات (أزا - عزا - ركزا) .

ومسبوقة بياء خفيفة فى آية واحدة (رئيا) .

ومسبوقة بياء مشددة فى (٧٥) فى خمس وسبعين آية .

فأحرف فواصل سورة مريم محصورة فى أربعة أحرف: الدال، والميم، والنون والألف .

هذا على قراءة الجمهور وراوية حفص التى كتبت - وفقا لها مصاحفنا أما على قراءة مد ذكر ياء، فيكون الحرف الأخير فى هذه الفاصلة - همزة وعلى قراءة "ريا" بقلب الهمزة ياء وادغامها فى الياء الأخيرة - فيكون حرف الفاصلة ألفا قبلها ياء مشددة .

وكذلك "نبيا" على قراءة تحقيق الهمزة "نبيئا" يكون آخر هذه الفاصلة ألفا قبلها همزة وشيئا ، على قراءة قلب الهمزة "ياء" شيا يكون آخر هذه الفاصلة ألفا قبلها ياء مشددة .

ب- فالفواصل إذا - مبنية على أحرف مختلفة متقاربة الصفات لا على حرف واحد كما هو الشأن فى سورة "الضحى" أو سورة طه .

جـ- هناك صلة قوية بين إعراب كلمات الفواصل، ونوع الحرف الغالب على نهاية هذه الفواصل - فلأن غالب هذه الفواصل تنتهى بألف مد (٩٠ فاصلة) جاءت هذه الفواصل منصوبة. منونة، وتنوين المنصوب - كما نعلم - يقلب - فى الوقف ألفا . فالصلة واضحة وقوية بين طبيعة حرف الوقف، وإعراب الكلمة الموقوف عليها .

د- ولم يرد في هذه الفواصل اسم مقصور ، ينتهي بألف مد في جميع حالاته الإعرابية إلا لفظ زكريا في الآية الثانية . على قراءة القصر .

هـ- لم يرد في هذه الفواصل جمع مذكر سالم، ولا مثنى، ولا اسم من الأسماء الستة ولا مضارع منصوب ولا مجزوم من الأفعال الخمسة .

و- جاء نظام حرف الوقف - في فواصل هذه السورة الكريمة المختومة بأحد الأحرف الأربعة التي تقدم ذكرها وهي الدال، والألف والميم والنون على النحو التالي .

حرف الدال. في الآية الأولى - ثم سبع آيات - تنتهي بألف مد قبلها ياء مشددة، والآية التاسعة . فاصلتها شيئا - تنتهي بألف مد قبلها همزة .

ثم ثلاث وعشرون آية تنتهي بألف مد قبلها ياء مشددة .

ثم تأتي الآية (٣٤) ، الآية (٣٥) تنتهي كل منهما بنون ساكنة قبلها واو مد (يمترون - يكون) .

ثم تأتي الآيتان (٣٦-٣٧) تنتهيان بميم ساكنة قبلها ياء مد (مستقيم - عظيم) .

ثم تأتي الآية (٣٨) فتنتهي بنون قبلها ياء (مبين) .

ثم تأتي الآيتان (٣٩،٤٠) فتنتهيان بنون قبلها واو مد :

(لا يؤمنون - يرجعون) .

والآية الحادية والأربعون تنتهي بألف قبلها ياء مشددة (نبيا) .

ثم تأتي الآية (٤٢) لتنتهي بألف قبلها همزة (شيئا) .

وابتداء من الآية (٤٣) وحتى الآية (٥٩) سبع وعشرون آية تنتهي فواصلها بألف مد قبلها ياء مشددة .

أما الآية الستون فتنتهي فاصلتها بألف قبلها همزة شيئا .

وابتداء من الآية (٦١) – وحتى الآية (٦٦) ست آيات تنتهي بألف قبلها ياء مشددة .

أما الآية (٦٧) فتنتهي بألف قبلها همزة (شيئا) وابتداء من الآية (٦٨) وحتى الآية (٧٣) ست آيات تنتهي بألف قبلها ياء مشددة .

والآية (٧٤) تنتهي بألف قبلها ياء مفردة (رئيا) .

وابتداء من الآية (٧٥) – حتى الآية (٨٠) ست آيات تنتهي بألف قبلها دال .

أما الآية (٨١) فتنتهي بألف قبلها زاى (عزا) .

والآية (٨٢) تنتهي بألف قبلها دال (ضدا) .

والآية (٨٣) تنتهي بألف قبلها زاى (أزا) .

وابتداء من الآية (٨٤) وحتى الآية (٩٧) أربع عشرة آية تنتهي بألف قبلها دال أما الآية الأخيرة (٩٨) فتنتهي بألف قبلها زاى (ركزا) .

ثانيا: التناسق بين أواخر الآيات يقتضي – في أحيان كثيرة – مخالفة للأصول والقواعد المشهورة والمألوفة، وقد سبق ذكر بعض هذه المخالفات في التمهيد لهذا البحث .

ونلحظ شواهد لذلك في فواصل هذه السورة الكريمة . منها :

١- تقديم ما حقه التأخير مثل: ﴿ وكان رسولا نبيا ﴾ فالنبوة سابقة على الرسالة .

٢- تقديم متعلق الفعل عليه ﴿ ثم إلينا يرجعون ﴾ .

٣- تقديم متعلق الوصف ﴿ إنه كان بى حفيا ﴾ - ﴿ عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا ﴾ .

٤- إيثار اللفظ القليل الاستعمال على اللفظ الشهور المألوف ﴿ إنهم كانوا قوما لدا ﴾ - (لدا جمع ألد : وهو شديد الخصومة، وفى موضع آخر، ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ [1] . وأوثر فى هذه الآية من سورة مريم - لفظ قليل الاستعمال على لفظ كثير الاستعمال كما أوثر جمع التكسير على جمع التصحيح، والجمع الذى على وزن "فعل" ثقيل النطق عادة، ويزداد ثقله إذا كان من مادة المضعف الثلاثى (لدد) . ولكن للتناسب بين الفواصل، أو لتوافق رؤوس الآى ، أوثر قوما لدا على قوم خصمين.

وبهذا التناسب، والتناسق بينه وبين "ودا" فى الآية السابقة عليه خف الثقل واتحد الجرس، وحدث جناس ناقص بين ود، ولد، ومقابلة، معنوية بين فريقين: الذين آمنوا وعملوا الصالحات المبشرين بود الرحمن، وأعداء الله المنذرين بعذابه الذين هم قوم لد .

٥- ترك الاستعمال الأشهر - فى الصيغة - إلى الاستعمال الأقل شهرة - كما فى قوله تعالى : ﴿ وقد بلغت من الكبر عتيا ﴾ . ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ .

---

(١) سورة الزخرف / الآية ٥٨ .

وقد تبين لك – قبل ذلك أن الأصل – في "عتى" "عتوو" بواوين . ثم أدغمتا فقيل "عتو" كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وعتوا عتوا كبيرا – بل لجوا في عتو ونفور ﴾ . ويجوز في الواو المدغمة في الآخر. وقبلها ضمة إبقاء الضمة فتبقى الواو المدغمة. كما في هاتين الآيتين. ويجوز قلب الضمة كسرة، فتنقلب الواو ياء – سواء أكان ذلك في جمع كما في "جثو" أم كان في مصدر. كما في "عتو" ولكن الغالب في الجمع إبدال الضمة كسرة لثقل الجمع، والغالب في المصدر لخفته إبقاء الضمة قبل الواو، في "عتو" أكثر استعمالا من "عتى" . وقد جاءت في أكثر من آية غير آيتي مريم . بالواو . أما في هذه السورة . فقد كسر ما قبل الواو. وأوثر الاستعمال الأقل. الذي ينتهي بألف قبلها ياء مشددة رعاية للفواصل، ولتناسب رؤوس الآي .

٦- إيثار صيغة على أخرى في الدلالة على المعنى الواحد كما في قوله تعالى: ﴿ وقربناه نجيا ﴾ فـ "نجيا" . بمعنى "منا جيا" وأوثرت الأولى . لتناسب "نبيا" في الآية التي قبلها وفي التي بعدها . لأن نبيا ونجيا على وزن واحد. وبينهما تجانس ناقص .

ومثل ذلك. ويأتينا فردا . أي واحدا . فإيثار فردا على واحدا لتناسب رؤوس الآي، ورعاية للفواصل .

ومثل ذلك يمكن أن يعلل به استعمال فريا بدلا من عجيبا في قوله تعالى لقد جئت شيئا "فريا" .

واستعمال "مأتيا" بدلا من مفعولا – في قوله تعالى "إنه كان وعده مأتيا"

٧- ولابد من التذكير بأن إيثار لفظ على آخر أو صيغة على أخرى، وإن كان يتحقق به مراعاة الفواصل، أو تناسب رؤوس الآى، وتلك سمة من سمات الكلام العربى الفصيح لا ينكر أثرها وتأثيرها فى نفس القارئ أو السامع، والقرآن أنزله رب العزة بلسان عربى مبين، ووصفه - سبحانه - بأنه قرآن عربى . أقول إن الفائدة لا يقتصر على هذه الفائدة اللفظية الحسية، وإنما تتعداها إلى فائدة أو فوائد معنوية يزداد بها المعنى قوة، وقد رأينا ذلك فى إيثار قوما لدا، ﴿ على قوم خصمين ﴾ .

ونراه أيضا. فى سر تقديم الجار والمجرو على الفعل فى قوله تعالى: ﴿والينا يرجعون﴾ فهذا التقديم الذى يحقق تناسب الفاصلتين. يفيد قصر الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى. لا إلى غيره. وكذلك يقال فى قوله تعالى: ﴿ إنه كان بى حفيا ﴾ ، ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾ وذلك سر من أسرار الإعجاز القرآنى لا يتسع له هذا البحث المحدود، لعل الله ييسر تجليته وتوضيحه فى سفر مستقل .

٨- قد تكرر الفاصلة أو بعبارة أدق يتكرر اللفظ فى فاصلتين متجاورتين، فتتفق الفاصلتان لفظا، ومع ذلك يزداد المعنى قوة، فلا تحس الأذن بسأم التكرار، ولا ينفر الحس من جرس لفظ سبق ذكره، تأمل ذلك فى قوله تعالى : ﴿أن دعوا للرحمن ولدا، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا﴾ لتحس فظاعة الادعاء لشئ لا يمكن حدوثه، ولا يليق بذات الرحمن وجلاله، وكما يزداد المعنى قوة. بإعادة ذكر ولدا فى الآية الثانية، يزداد قوة ومتانة وتجليا باعادة ذكر الرحمن فى الآية نفسها ولا دخل لهذه

الإعادة برعاية الفواصل. أو تناسب رؤوس الآى .

فسبحان من أنزل القرآن رحمة للعالمين ، بلسان عربى مبين . وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آل وصحبه أجمعين .

أ.د / على أحمد طلب

رئيس قسم اللغويات

أهم مراجع البحث

القرآن الكريم

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت .

٢- أساس البلاغة للزمخشري .

٣- الإعجاز البياني للقرآن الكريم د/ عائشة عبد الرحمن .

٤- إعجاز القرآن للباقلاني - على هامش الإتقان .

٥- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس تحقيق د/ زهير عابد .

٦- إعراب القراءات العشر وعللها لابن خالويه تحقيق د/ عبد الرحمن العثيمين.

٧- الإنصاف لأبي البركات الانباري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

٨- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

٩- البحر المحيط لأبي حيان - دار الكتب العلمية - بيروت .

١٠- البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري تحقيق د/طه عبد الحميد .

١١- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة - تحقيق السيد أحمد صقر .

١٢- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .

١٣- التبصرة والتذكرة للصيمري - تحقيق د/ فتحي أحمد علي الدين .

١٤- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

١٥- التحرير والتنوير - لمحمد الطيب بن عاشور .
١٦- تحفة الأريب بما فى القرآن من الغريب لأبى حيان تحقيق سمير المجدوب .
١٧- تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج تحقيق أحمد يوسف الدقاق .
١٨- تفسير أبى السعود العمادى - دار الكتب العلمية - بيروت .
١٩- تفسير الجلالين - دار الكتب العلمية - بيروت .
٢٠- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة - تحقيق - السيد أحمد صقر .
٢١- تفسير الكشاف للزمخشرى - مطبعة محمد على صبيح .
٢٢- تفسير النسفى - دار الكتب العلمية - بيروت .
٢٣- المحتسب لابن جنى تحقيق - على النجدى ناصف .
٢٤- مختصر تفسير ابن كثير - محمد على الصابونى .
٢٥- مختصر شواذ القراءات لابن خالويه .
٢٦- مختار الصحاح للرازى - طبعة دار المعارف .
٢٧- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى - تحقيق د/ أحمد الخراط .
٢٨- شرح شافية ابن الحاجب للرضى - تحقيق - محمد الزفزاف، ومحمد نور الحسن ومحمد محيى الدين عبد الحميد .
٢٩- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبى بكر بن الأنبارى - تحقيق د/ عبد السلام محمد هارون .
٣٠- اشتقاق أسماء الله الحسى للزجاجى - تحقيق د/ عبد المحسن الفقى .
٣١- مشكل إعراب القرآن لمكى بن أبى طالب - تحقيق د/حاتم الضامن .

٣٢-المصباح المنير للفيومى تحقيق د/ عبد العظيم الشناوى .
٣٣- صيغة "فعيل" واستعمالاتها فى القرآن الكريم د/على أحمد طلب .
٣٤- معانى القـراءات لأبـى منصور الأزهرى - تحقيق د/ عبد درويش ود/ عوض القونى .
٣٥- معانى القرآن لأبى جعفر النحاس تحقيق: محمد على الصابونى .
٣٦- معانى القرآن للأخفش تحقيق د/ فائز فارس .
٣٧- معانى القرآن للفراء تحقيق د/ عبد الفتاح شلبى .
٣٨- معانىالقرآن وإعرابه للزجاج تحقيق د/ عبد الجليل شلبى وآخرين
٣٩- المقتضب للمبرد - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة .
٤٠- الفتوحات الإلهية (حاشية الجمل على الجلالين) .
٤١- القاموس المحيط للفيروز ابادى .
٤٢- كتاب السبعة لابن مجاهد تحقيق د/ شوقى ضيف .
٤٣- كتاب التكملة لأبى على الفارسى تحقيق د/ كاظم المرجان.
٤٤- كتاب سيبويه - تحقيق عبد السلام محمد هارون .
٤٥- معجم ألفاظ القرآن - مجمع اللغة العربية .
٤٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فريد وجدى .
٤٧- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
٤٨- معجم مقاييس اللغة لابن فارس - تحقيق عبد السلام محمد هارون.
٤٩- المفردات للراغب الأصفهانى - تحقيق محمد سيد كيلانى .
٥٠- نتائج الفكر للسهيلى - تحقيق د/ محمد ابراهيم البنا .
٥١- نزهة القلوب لابن عزيز السجستانى .

مجلة دليل الطالب
بكلية اللغة العربية بأسيوط

مجلة دليل الطالب
بكلية اللغة العربية بأسيوط
مقدمة

إن الشباب قوة أساسية في بناء المجتمع، ولكي نعيد بناء المجتمع المصري وشباب الأزهر بصفة خاصة، يجب أن نوضح للشباب المعاني الأصيلة في العبادات التي فرضت علينا وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج، لم تفرض علينا عبثاً، وإنما أراد الله بها تربية وتهذيب وإصلاح النفوس البشرية، وقد أولى الإسلام رعاية العقل البشري واهتم بحمايته حيث قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ .

وهذا ينسحب على تعاطي المخدرات والعقاقير الضارة وإذا كنت أدعو شبابنا إلى التزود من الثقافة الإسلامية، فإنني أدعوهم أيضا إلى التثقيف المستمر، فهو حق وواجب في الوقت ذاته فالهدف هو تنمية القدرات الذهنية للإنسان إلى أقصى درجة ممكنة والتعليم هو خير طريق إعادة بناء أمتنا الإسلامية وأزهرنا الشريف .

والهدف من مجلة دليل الطالب في كلية اللغة العربية بأسيوط هو أن يقف الطالب على أقسام هذه الكلية ومحتوياتها العلمية .

وسوف نقدم لشباب الأزهر نبذة تاريخية عن جامع الأزهر الشريف ونبذة أخرى عن جامعة الأزهر ونبذة ثالثة عن كليات اللغة العربية في جامعة الأزهر .

والهدف من مجلة دليل الطالب في كلية اللغة العربية بأسيوط أن الطالب يتعرف على الأقسام العلمية وأهدافها في هذه الكلية، وكذلك الجهاز الإدارى وجهاز رعاية الشباب، حتى يشعر الطالب أنه ليس غريبا داخل الكلية .

نبذة تاريخية عن الجامع الأزهر الشريف :

بعد أن تم لجوهر الصقلي تأسيس مدينة القاهرة، وضع أساس الجامع الأزهر ليكون رمزاً لسيادة الدعوة الفاطمية، وقد اختلف المؤرخون في تسمية هذا الجامع، فقال بعضهم سمي الجامع الأزهر نسبة إلى القصور الزاهرة التي بنيت عند إنشاء مدينة القاهرة ولهذا سمي بالأزهر، بينما يرى البعض أن هذه التسمية تفاؤلا بما يسلفه هذا الجامع من شأن عظيم ومكانة كبيرة بازدهار العلوم فيه والبعض الآخر يفسر معنى الأزهر بأنه الضوء الباهر لنجم ظهر في سماء مصر ولذا سمي الجامع بالأزهر .

والبعض يرى أن الأقرب إلى الصحة، هو انتسابه إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه السلام، والتي سميت باسمها مقصورة أقيمت في هذا الجامع ويذكر المقريزي أن جوهر الصقلي شرع في بناء الجامع الأزهر في جمادى الأولى سنة ٣٥٨هـ / ٩٧٠م وانتهى من بنائه في رمضان سنة ٣٦١هـ/٩٧٢م . وقد لعب الجامع الأزهر في مدينة القاهرة نفس الدور الذي لعبه جامع عمرو بن العاص، في مدينة الفسطاط وجامع العسكر في مدينة العسكر وجامع ابن طولون في مدينة القطائع، وبناء على ذلك

كان جامع الأزهر يعد رابع المساجد الجامعة فى مصر .

وكانت بداية الجامع الأزهر كغيره من المساجد الجامعة، لإقامة الشعائر الدينية ثم لم يلبث أن شهد نهضة علمية، جعلته جامعة، يتلقى فيه طلاب العلم مختلف العلوم والفنون، وكان مطلع الدراسة بالأزهر فى أواخر عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى حيث ذكر المقريزى .. أنه فى صفر سنة ٣٦٥هـ نوفمبر سنة ٩٧٥م اجتمع حشد عظيم وجمع حافل من أكابر العلماء وأفاضل الفقهاء، ليستمعوا إلى درس يلقيه أبو الحسن على بن محسن النعمانى القيروانى قاضى القضاة، فقرأ مختصر أبيه فى فقه آل البيت وهو المسمى "الاختصار" بعد ما سجل أسماء الحاضرين، فكانت هذه الحلقة بمثابة أولى الحلق الدراسية بالأزهر الشريف .

وهكذا بدأ الجامع الأزهر عهداً جديداً وتاريخاً مجيداً، ليصبح مؤسسة علمية، تحمل مشعل النور الوهاج، ومركز الإشعاع الوضاء، ينتشر منه الفكر الحضارى على العالم الإسلامى كله مشرقه ومغربه .

ولم يلبث أن غدا الأزهر على صلة وثيقة بمدارس قرطبة بالأندلس، وبذلك غدا حلقة الوصل الفكرى والروحى والثقافى بين مشرق العالم الإسلامى ومغربه، فاستقطب بين أروقته وحول أعمدته عشرات الأئمة من علماء المسلمين ليتدارسوا فيه، وليدرسوا لطلبتهم ما نهلوه من المشرق والمغرب جميعاً ليرتوى من علمهم كل ظمآن للمعرفة الإسلامية.

ولا غرو فقد تبوأ الأزهر فى مصر والعالم الإسلامى، نوعاً من الزعامة الفكرية والريادة الدينية على مر العصور الإسلامية باستثناء العصر الأيوبى

من سنة ٥٦٧هـ حتى سنة ٦٦٥هـ علاوة على سبع عشرة سنة من حكم دولة المماليك البحرية، وكان العصر المملوكى هو العصر الذهبى من حيث نتاجه العلمي ومركزه الأدبى، وفي ظل سلاطين المماليك، كان أكابر علمائه يتمتعون بالجاه والنفوذ .

وقد تمتع طلبة أروقة الأزهر المصريين والوافدين برغد العيش فى عصرى دولتى المماليك البحرية والجراكسة، لوفرة الموارد المالية والهبات الثنية التى رصدها وأجزلها أهل الخير والبذل والعطاء من القادرين والموسرين المسلمين، بأن أوقفوا أملاكهم وضياعهم على دور العلم وبخاصة الأزهر وأساتذته وطلابه باختلاف جنسياتهم وقد واصل الأزهر دوره الدينى ومسيرته الفكرية، كأقدم جامعة إسلامية، حتى سنح من عمره أكثر من ألف سنة، ولا يزال صرحاً شامخاً ورمزاً مجسداً، للتراث الفكرى الإسلامى، حتى قيل إن للمسلمين قبلة دينية وأخرى علمية، فالقبلة الدينية هى المسجد الحرام فى مكة المكرمة أما القبلة العلمية فهى الأزهر الشريف فى مصر .

وقد تولى مشيخة الأزهر كثير من العلماء البارزين وهم على النحو التالى:

جدول بشيوخ الأزهر

من سنة ١١٠٠هـ (١٦٨٨م)

١- الشيخ محمد عبد الله الخرشي :

(عين في سنة هـ - م) (مالكي المذهب) .

توفي سنة ١١٠١هـ عن تسعين عاماً، وينسب إلى قرية (أبو خراش) البحيرة، قال عنه الشيخ علي العدوي الشهير بالصعيدي: (انتهت إليه الرئاسة في مصر حتى لم يبق في آخر عمره إلا طلبته وطلبة كلية. وكان متواضعاً عفيفاً واسع الخلق كثير الأدب والحياء كريم النفس جميل المعاشرة حلو الكلام كثير الشفاعات عند الأمراء وغيرهم .

٢- الشيخ إبراهيم محمد علي البرماوي

(عين في سنة ١١٠١هـ - ١٦٩٠م) (شافعي المذهب) .

ذكره الجبرتي (ج١ ص٦٨) ولكنه في ص٢٠٨ قال، إن شروط المشيخة بعد الشيخ الخرشي هو الشيخ النشرتي وهو سهو من الجبرتي أو سقط من الناشر. وقد سارت وراءه دائرة المعارف الإسلامية ج٣ ص١٩٥ وعلي باشا مبارك في الخطط ج٥ ص٣١ المذكر أن المتولي بعد الخرشي هو النشرتي .

٣- الشيخ محمد النشرتي

(عين في سنة ١١٠٦هـ - ١٦٩٤م) - (مالكي المذهب) .

ينسب إلى قرية نشرت من محافظة الغربية. وظل مواظباً على إلقاء دروسه مع مشيخته للأزهر .

٤- الشيخ عبد الباقي القليني

(عين في سنة ١١٢٠هـ - ١٧٠٨م) - (مالكى المذهب) .

بعد وفاة الشيخ النشرتى حصل تنافس على المشيخة بين الشيخ أحمد النفراوى والشيخ عبد الباقي القليني. وأدى النزاع إلى تصادم وقتلى. وأخيراً انتصر أنصار القليني. وينسب إلى قلين بمركز كفر الشيخ .

٥- الشيخ محمد شنن .

بدء تعيينه هو تاريخ وفاة الشيخ القليني. وكان واسع الثراء وتوفى سنة ١١٣٣هـ - مالكى المذهب .

٦- الشيخ إبراهيم موسى الفيومى

(عين فى سنة ١١٣٣هـ - ١٧٢١م) - (مالكى المذهب) .

درس على الشيخ الخرشى والشيخ البرماوى وغيرهما وتوفى عن خمسة وسبعين عاما .

٧- الشيخ عبد الله محمد الشبراوى

(عين فى سنة ١١٣٧هـ - ١٧٢٤م) - (شافعى المذهب) .

وبه انتقلت المشيخة إلى الشافعية، وهو أطول الشيوخ عهداً بالمشيخة. فقد استمرت مشيخته ثلاثة وثلاثين عاماً. وتوفى عن تسعين

سنة من العمر. وكان فضلاً عن تفقهه في الدين أديبا شاعراً له قصائد غزلية وموشحات رقيقة .

٨- الشيخ محمد سالم الحفنى

(عين في سنة ١١٧١هـ - ١٧٥٧م) - (شافعي المذهب) .

ينسب إلى حفنة بالقرب من بلبيس. ويقال له أيضا الحفناوى وكان عالما جليلا وصوفيا خلوتيا. أخذ الطريق عن السيد مصطفى ابن كمال الدين البكرى . ولقن الكثيرين مثل الشيخ محمد المنير والشيخ محمد السقا والشيخ محمد الفشنى والشيخ محمود الكردى والشيخ أحمد العدوى المعروف بالدردير الذى اشتهر بمواقف المقاومة ضد الأمراء المماليك .

وأسلم على يد الشيخ الحفنى الكثيرون منهم الشيخ المهدى الكبير السابق ذكره والملقب بالحفنى نسبة إليه . وكان الشيخ الحفنى مطاع الرأى لا يبرم أمر من الأمور إذا عارضه. وقد عارض المماليك الأمراء المتولين للحكم فى محاربة على بك الكبير. ونصحهم بالكف عن الحروب لمنع الأذى عن الرعية. فأضطروا أن يرضخوا لرأيه ولم يجسروا على مخالفته ولكنهم دبروا اغتياله بالسم. ثم حاربوا على بك فانهزموا. وتولى على بك الحكم. ويرى الجبرتى أن هزيمتهم قضاء من الله بسبب فعلتهم النكراء فى الشيخ الحفنى وكان رحمه الله كريم الطبع جميل السجايا مهيب الشكل عظيم اللحية. أبيضها. وكان كريم العين (أعور) على إحدى عينيه نقطة لا يلحظها إلا القليل لأن هيبته تمنع التحديق فى وجهه .

وكان كثير الصدقات. راتبه من الخبز أردب يومياً. ولا ينقطع عن بيته الواردون. ويجتمع على مائدته الأربعون والخمسون ويرسل المصروف لبيوت أتباعه .

وشاع ذكره، وهادته الملوك والأمراء وقبره يزار بالقرب من مقام الشيخ عبد الوهاب العفيفي ومدفن الخديوى توفيق بقرافة المجاورين.

٩- الشيخ عبد الرؤوف السجينى

(عين فى سنة ١١٨١هـ - ١٧٦٧م) - (شافعي المذهب) .

ينسب إلى سجين من قرى الغربية . ولم تطل مدة مشيخته فقد توفى بعد سنة .

١٠- الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهورى

(عين فى سنة ١١٨٢هـ - ١٧٦٨م) - (شافعي المذهب)

سبق ذكر دراساته ومؤلفاته فى الرياضيات والفلك والطب. وقد توفى سنة ١١٩٠هـ . وظل المنصب شاغراً سنتين حتى تعين خلفه الشيخ أحمد العروسى .

١١- الشيخ أحمد العروسى

(عين فى سنة ١١٩٢هـ - ١٧٧٨م) .

هو أحمد بن موسى بن داود ولد بقرية منية عروس من محافظة المنوفية سنة ١١٣٣هـ . وكان عالماً جليلاً متفقهاً فى الدين. وله أيضاً

دراسات فى الرياضيات، وكان صوفياً خلوتياً تلقى الطريق عن السيد مصطفى البكرى. واجتمع بعد ذلك بالعارف بالله الشيخ أحمد العريان الولى المعتقد الذى زوجه إحدى بناته وبشره بأنه سيعلو أمره ويشتهر ذكره. وقد حصل وكان جريئا فى الحق وقد ذكرنا فى آخر الفصل السابع موقفه مع حسين باشا قبطان عندما أراد بيع الأمراء وأطفالهم وكان أيضاً أديبا شاعرا. وتوفى عن ٧٥ عاماً .

١٢- الشيخ عبد الله حجازى الشرقاوى :

(عين فى سنة ١٢٠٨هـ - ١٧٩٣م) - (شافعى المذهب)

كان معاصرا للحملة الفرنسية وأوائل حكم محمد على .

١٣- الشيخ محمد على الشنوانى

(عين فى سنة ١٢٢٧هـ-١٨١٢م) - (شافعى المذهب)

سبق أن ذكرنا فى ترجمة الشيخ محمد المهدى فى الفصل التاسع تعيين محمد على باشا للشيخ محمد الشنوانى خلفا للشيخ عبد الله الشرقاوى وكان الشيخ الشنوانى ممتنعا ولكن قبل الوظيفة بإلحاح محمد على. وكان زاهدا متواضعا يقرأ درسه بجامع الفاكهيين. وعندما يفرغ من الدرس يباشر نظافة الجامع فيكنسه ويغسل القناديل ويعمرها بالزيت والفتائل. ومع توليته مشيخة الأزهر ظل على عمله بجامع الفاكهيين. وكان يجيد حفظ القرآن ويقرأ مع فقهاء الجوقة فى الليالى .

١٤- الشيخ محمد أحمد العروسى

(عين فى سنة ١٢٣٣هـ - ١٨١٨م) - (شافعى المذهب)

هو ابن الشيخ أحمد العروسى شيخ الجامع (الحادى عشر بهذا الجدول) وقد جلس للتدريس بالأزهر بعد والده. وظل مواظبا على إلقاء درسه حتى بعد توليته المشيخة .

١٥- الشيخ أحمد على الدمهوجى

(عين فى سنة ١٢٤٥هـ-١٨٢٩م) - (شافعى المذهب)

ينسب إلى دمهوج قرية بالقرب من بنها ولكنه من مواليد القاهرة ولم تستمر مشيخته غير ستة أشهر ثم توفى لرحمة الله. وكانت داره برقعة القمح خلف رواق الصعايدة. وكان نقش خاتمه (الشكر لله يحمد . عبده الدمهوجى أحمد) .

١٦- الشيخ حسن محمد العطار

(عين فى سنة ١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م) - (شافعى المذهب)

عاصر الحملة الفرنسية واتسعت مداركه باتصاله بعلمائها وسافر إلى الشام وألبانيا. واشترك فى تحرير الوقائع الرسمية أنشئت سنة ١٨٢٨ . وكان واسع الأفق جم المعرفة لكثير من العلوم وأيضا كان شاعرا وأديبا.

١٧- الشيخ السيد حسن القويسنى

(عين فى سنة ١٢٥٠هـ-١٨٣٤م) - (شافعى المذهب)

كان عالما فاضلا تقيا ورعا . رفض إنعاما من محمد على قناعة وزهدا. وكان كفيف البصر كما ذكرنا. ودفن بزاوية الشيخ على البيومى بالحسينية. ومن لطيف ما قاله أحد الشعراء يهنئه بالمشيخة مع الثناء على سلفه الأبيات التالية . وفى البيت الأخير تاريخ تعيينه بحساب الجمل :

ولئن مضى حسن العلوم لربه فلـ	ـقد أتى حسن وأحسن من حسن
يا شاذلى السر فى أعماله	وعلومه يا شافعى على العلن
أنت المقدم رتبة ورئاسة	وديانة من ذا الذى ساواك من
منذ صرت شيخ الأزهر الزاهى الهدى	أرخت خير مناصب حق الحسن

١٨- الشيخ أحمد عبد الجواد السفطى

(عين فى سنة ١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م) - (شافعى المذهب)

ينسب إلى قرية سفط العرفا مركز الفشن محافظة بنى سويف واشتهرت القرية باسم سفط الصائم نسبة إلى الشيخ أحمد محمد الحنفى الصائم المتوفى سنة ١١٧٠هـ ولذلك اشتهر الشيخ أحمد عبد الجواد بلقب الصائم .

وتوفى سنة ١٢٦٣ . ودفن بقرافة المجاورين .

وكان بيته من ضمن موقع مبانى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الآن .

١٩- الشيخ إبراهيم محمد الباجورى

(عين فى سنة ١٢٦٣هـ -١٢٧٧هـ - ١٨٤٧م) - (شافعى المذهب)

نسبة إلى باجور من قرى المنوفية . ولكن يكتب لقبه غالبا

البيجورى. بالياء. ولا أدرى العلة فى ذلك. وقد كان عالما مهابا موقرا وكان عباس الأول يحضر دروسه فلا يقوم له بل يكتفى بالأمر بإحضار كرسى جريد له خارج الحلقة . فيجلس عليه مدة من الزمن ثم ينصرف .

وبنى له عباس الأول منزلا بجوار الجامع الأزهر وبجوار منزل الشيخ أحمد عبد الجواد الصائم السابق له فى المشيخة .

وقد ذكرنا مرضه آخر حياته وعجزه عن العمل فلم يُعزل وتعين مجلس من أربعة برئاسة الشيخ العروسى لإدارة شئون الأزهر حتى توفى الشيخ الباجورى عن ستة وسبعين عاما سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م) .

وبعد وفاة الشيخ الباجورى ظل هذا المجلس يباشر شئون الأزهر حتى تعين الشيخ مصطفى العروسى سنة ١٨٦٥م .

٢٠- الشيخ مصطفى محمد أحمد العروسى

(عين فى سنة ١٢٨١هـ - ١٨٦٥م) - (شافعى المذهب)

ذكرنا قرار الخديوى إسماعيل فى فبراير سنة ١٨٦٥ بتعيين الشيخ مصطفى محمد أحمد العروسى شيخا للأزهر. وكان الشيخ مصطفى مجددا حارب البدع. وأبطل الاستجداء بالقرآن فى الطرقات. وهو أول من فكر فى إصلاح الأزهر. ولكنه عزل سنة ١٨٧٠م . وصدر القانون فى عهد خلفه سنة ١٨٧٢ وهو أول شيخ يعزل من شيوخ الأزهر .

٢١- الشيخ محمد المهدى العباسى :

(أول مرة) (عين فى سنة ١٢٨٧هـ - ١٨٠٠م) - (حنفى المذهب)

كان حنفى المذهب كجده لأمه الشيخ محمد الحريرى مفتى الحنفية كما ذكرنا فى ترجمة جده لأبيه الشيخ محمد المهدى الحفنى.

وهو أول حنفى يتولى المشيخة فى شيوخ هذا الجدول. وفى عهده صدر القانون سنة ١٨٧٢ بتنظيم امتحانات الأزهر .

وعزله العرابيون سنة ١٨٨٢ ، وتعين مكانه الشيخ محمد الألبانى ثم أعيد بعد هزيمة العرابيين .

٢٢- الشيخ محمد الألبانى :

(أول مرة) (عين فى سنة ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م) - (شافعى المذهب)

عينه العرابيون سنة ١٨٨٢ . ثم أعيد تعيين الشيخ محمد المهدى العباسى فى نفس السنة .

(م) (١) - الشيخ محمد المهدى العباسى

(ثانى مرة) (عين فى سنة ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م) - (حنفى المذهب)

أعيد لمنصبه بعد هزيمة العرابيين. وظل به حتى استقال سنة ١٣٠٤هـ (١٨٨٧م) واكتفى بمنصب الإفتاء . وكان يجمع بين الوظيفتين . وتوفى سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٨م) .

(م) - الشيخ محمد الألبانى

(ثانية) (عين فى سنة ١٣٠٤هـ - ١٨٨٧م) - (شافعى المذهب)

أعيد لمنصبه بعد استقالة الشيخ محمد المهدى العباسى واستمر فى

وظيفته ثمان سنوات حتى سنة ١٣١٣هـ (١٨٩٥م) . وتوفى فى السنة التالية .

٢٣- الشيخ حسونة عبد الله النواوى :

(أول مرة) (عين فى سنة ١٣١٣هـ - ١٨٩٥م) - (حنفى المذهب)

استمر فى وظيفته هذه حتى سنة ١٣١٧هـ (١٩٠٠م) ثم استقال. وأعيد ثانية بعد ذلك . وجمع بين وظيفتى مشيخة الأزهر والإفتاء . وفى عهده صدر القانون سنة ١٨٩٦ بإصلاح الأزهر .

٢٤- الشيخ عبد الرحمن النواوى

(عين فى سنة ١٣١٧هـ - ١٩٠٠م) - (حنفى المذهب)

قريب سلفه الشيخ حسونة النواوى وينتسبان إلى قرية نواى مركز ملوى . ولم يمكث الشيخ عبد الرحمن فى وظيفته غير شهر واحد وتوفى لرحمة الله .

٢٥- الشيخ سليم البشرى

(أول مرة) (عين فى سنة ١٣١٧هـ - ١٩٠٠م) - (مالكى المذهب) .

من محلة بشر من قرى البحيرة . واستمر فى مشيخته هذه المرة حتى سنة ١٣٢٠ (١٩٠٢م) .

٢٦- الشيخ على الببلاوى

(عين فى سنة ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م) - (حنفى المذهب)

استقال سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) وتوفى فى نفس السنة .

٢٧- الشيخ عبد الرحمن الشربينى

(عين فى سنة ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م) - (شافعى المذهب) .

استمرت مشيخته حتى سنة ١٣٢٦هـ ثم استقال .

(م) الشيخ حسونة النواوى

(ثانى مرة) (عين فى سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م) - (حنفى المذهب) (م)

لم يمكث هذه المرة غير شهور. وفيها صدر القانون ١ سنة ١٩٠٨ بإصلاح الأزهر وتوفى سنة ١٩٢٤م .

(م) الشيخ سليم البشرى

(ثانى مرة) (عين فى سنة ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م) - (مالكى المذهب) (م)

ظل فى منصبه حتى سنة ١٩١٦ وتوفى فى نفس السنة .

٢٨- الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى

(عين فى سنة ١٢٣٥هـ - ١٩١٦م) - (مالكى المذهب) .

ظل فى منصبه إلى أن توفى لرحمة الله وفى عهده صدر القانون سنة ١٩٢٣ بمقتضاه انقضت مدة الدراسة وأنشئت أقسام التخصص .

وقد ذكرنا أن الجامع الأزهر كان من معاقل ثورة سنة ١٩١٩ تلتقى فيه وتخرج منه المظاهرات وحاول الإنجليز إغلاقه . فاستدعت دار الحماية فى ١٩١٩/٤/٢ الشيخ الجيزاوى شيخ الجامع وطلبت منه

إغلاقه فرفض قائلا إنه مسجد تقام فيه الشعائر الدينية وليس له أن يوصد أبوابه في وجوه المصلين . فطلبوا منه أن يقتصر فتحه على أوقات الصلاة . فرفض أيضا .

واشتد ضيقهم بالأزهر فاقتحموه في ١٩١٩/١٢/١١ بأحذيتهم وأسلحتهم واعتدوا على من وجدوه به وعبثوا ببعض محتوياته . فاجتمع العلماء وأرسلوا احتجاجا شديد اللهجة إلى (السلطان) أحمد فؤاد وإلى يوسف وهبة باشا رئيس الوزراء وقتذاك وإلى اللورد اللنبي المعتمد البريطاني الذى رد على الشكوى بالاعتذار بأن دخول الجند كان لتعقب إحدى المظاهرات .

٢٩- الشيخ محمد مصطفى المراغى

(أول مرة) (عين فى سنة ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م) - (حنفى المذهب)

واستمر في وظيفته حتى استقال سنة ١٩٣٠ . وقبل مشيخة الأزهر شغل عدة وظائف هامة مثل قاضي قضاة السودان ورئاسة المحكمة العليا الشرعية سنة ١٩٢٣ .

٣٠- الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى

(عين فى سنة ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م)

الخلافة في القاهرة سنة ١٩٢٦ بعد إلغاء الخلافة من تركيا سنة ١٩٢٤ . وكان الملك أحمد فؤاد يطمح إلى منصب خليفة المسلمين. فاقترح الشيخ الظواهرى فض المؤتمر بدون قرار لعدم تكامل تمثيل الأمم

الإسلامية . وبذلك فوت على الملك غرضه .

وفى عهده صدر القانون ٤٩ .

(م) - الشيخ محمد مصطفى المراغى

(ثانى مرة) (عين فى سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م) - (حنفى المذهب) (م)

ظل في وظيفته هذه المرة حتى توفى سنة ١٩٤٥م . وفى عهده صدر القانون ٢٦ سنة ١٩٣٦ الشامل لقوانين سنة ١٩٣٠ و١٩٣٣ بإصلاح الأزهر .

٣١- الشيخ مصطفى باشا عبد الرازق

(عين فى سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥ - ١٩٤٧م)

من قرية أبى جرج مركز بنى مزار محافظة المنيا حصل على عالمية الأزهر. ودرس بمدرسة القضاء الشرعى . ثم سافر إلى فرنسا فالتحق بجامعة السوربون لزيادة معارفه. وحصل على إجازتها. وعين أستاذا بجامعة القاهرة . ثم وزيراً للأوقاف . ثم شيخا للأزهر وظل بوظيفته حتى توفى لرحمة الله سنة ١٩٤٧ .

٣٢- الشيخ محمد مأمون الشناوى

(عين فى سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م)

تقلب فى عدة وظائف كبرى منها شيخ كلية الشريعة وعضوية هيئة كبار العلماء ووكالة الأزهر ثم عين شيخا للأزهر فى ١٩٤٨/١/١٨ (٢ صفر

سنة ١٣٦٧هـ) .

وظل فى وظيفته حتى توفى رحمه الله سنة ١٩٥٠م .

٣٣- الشيخ عبد المجيد سليم

(أول مرة) (عين فى سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م) - (حنفى المذهب)

وظل فى منصبه هذه المرة من ٨ أكتوبر سنة ١٩٥٠ لغاية سبتمبر سنة ١٩٥١ . ثم أعفى منه .

وكان يسعى للتقريب بين المذاهب الإسلامية لعدم الخلاف بين المسلمين وللتيسير على الناس .

واستقال من وظيفة الإفتاء لسنة ١٩٤٦ لما رأى الحكومة وقتذاك تريد التدخل فى شئون الأزهر .

٣٤- الشيخ إبراهيم حمروش

(عين فى سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م)

من تلاميذ الشيخ محمد عبده . وتقلب فى الوظائف مدرسا بالأزهر ثم قاضيا بالمحاكم الشرعية . ثم شيخا لمعهد أسيوط الدينى ثم شيخا لمعهد الزقازيق . ثم شيخا لكلية اللغة العربية . ثم شيخا لكلية الشريعة . وكان عضوا لمجمع اللغة العربية منذ إنشائه سنة ١٩٣٢ .

وتولى مشيخة الأزهر فى ١٩٥١/٩/٢ واستقال منها فى ١٩٥٢/٢/٩ . وتوفى سنة ١٩٦٠ عن ثمانين عاما .

(م) الشيخ عبد المجيد سليم

(عين فى سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م) - (حنفى المذهب) (م)

من فبراير سنة ١٩٥٢ إلى سبتمبر ١٩٥٢ بعد قيام الثورة وتوفى سنة ١٩٥٤ عن ٧٢ عاما .

٣٥- الشيخ محمد الخضر حسنين

(عين فى سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)

ذكرنا فى مقدمة هذا الفصل أن ثورة يوليه سنة ١٩٥٢ عينته فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ شيخا للأزهر . وأنه استقال سنة ١٩٥٣ لضعف صحته. وتوفى سنة ١٩٥٨ عن ٨٢ عاما .

٣٦- الشيخ عبد الرحمن تاج :

(عين فى سنة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م)

تخرج من الأزهر ثم التحق بجامعة السوربون بفرنسا حيث حصل على الدكتوراه عن رسالته (البابية وعلاقتها بالإسلام). وتقلد عدة وظائف هامة كالتدريس بقسم تخصص القضاء الشرعى والتفتيش بالمعاهد الأزهرية ثم شيخا لمعهد الزقازيق الدينى . ثم أستاذا للشريعة بكلية حقوق جامعة القاهرة .

وعين شيخا للأزهر فى يناير سنة ١٩٥٤ حتى سنة ١٩٥٨ ثم عين وزيرا لدولة الاتحاد العربى من اليمن ومصر وسوريا، ثم عضوا بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٦٣ .

٣٧- الشيخ محمد شلتوت

(عين فى ١٣٨٧هـ - ١٩٥٨م) - (حنفى المذهب)

من مواليد سنة ١٨٩٢م بمحافظة البحيرة . وعين شيخا للأزهر سنة ١٩٥٨ حيث ظل فى منصبه حتى وفاته .

٣٨- الشيخ حسن مأمون

(عين فى سنة ١٩٥٩م) - (حنفى المذهب)

ظل شيخا للأزهر حتى سنة ١٩٦٩م

٣٩- الشيخ الدكتور محمد محمد الفحام

(عين فى سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٦٩م)

تولى المشيخة فى ٥ رجب ١٣٨٩ (١٩٦٧/٩/١٧)

٤٠- الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود

(عين فى سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م)

ولد فى ١٩١٠/٥/١٨ بقرية غيته مركز بلبيس وتخرج من الأزهر سنة ١٩٣٢ . ودرس بجامعة باريس حيث حصل على الليسانس والدكتوراه فى التصوف الإسلامى وعين مدرسا بكلية اللغة العربية ثم أستاذا للفلسفة فى كلية أصول الدين بالأزهر . وعميدا للكلية وله عدة مؤلفات .

وفى سنة ١٩٧٢ عين وزيرا للأوقاف وشؤون الأزهر، وفى سنة ١٩٧٣ عين شيخا للأزهر . وتوفى صباح الثلاثاء ١٩٧٨/١٠/١٧ (٦ ذو القعدة ١٣٩٨) .

٤١- الشيخ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار

(عين في سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م)

ولد ٢٠/١٠/١٩١٠ بقرية السالمية بمحافظة كفر الشيخ وحصل على العالمية عن درجة أستاذ في الفلسفة ثم حصل على الدكتوراه من جامعة أدنبره (بأسكتلنده ومثل مصر في عدة مؤتمرات إسلامية وله مؤلفات في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وغيرها) .

واشتغل مدرسا بكلية أصول الدين. ومديرا بالمركز الإسلامي بواشنطن وأمينا للمجلس الأعلى بالأزهر خمس سنوات .

وفي أكتوبر سنة ١٩٧٨ عين وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر ثم في نفس السنة أسندت له مشيخة الأزهر . وتوفي رحمه الله في ١٩٨٢/٣/٨ .

٤٢- الشيخ جاد الحق على جاد الحق

(عين في سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)

ولد في ١٨١٧/٤/٥ بمحافظة الدقهلية . وتخرج من كلية الشريعة بالأزهر سنة ١٩٤٥ . وحصل على الشهادة العالمية مع إجازة القضاء العالي . وتقلب في القضاء . وعين مفتيا للجمهورية في ١٩٧٨/٨/٢٦ .

ثم عين شيخا للأزهر في ١٩٨٢/٣/١٧ (٢٢ جمادى الأولى - سنة ١٤٠٢هـ) .

فضيلة أ.د محمد سيد عطية طنطاوى

شيخ الجامع الأزهر

تاريخ الميلاد : ١٩٢٨/١٠/٢٨

جهة الميلاد : قرية سليم الشرقية طما سوهاج

حصل على الليسانس سنة ١٩٥٨ .

حصل على الشهادة العالمية (الدكتوراه) من أصول الديـن القاهرة قسم التفسير والحديث سنة ١٩٦٦ .

سلم العمل بكلية أصول الدين بأسيوط بوظيفة مدرس ١٩٦٩/١٠/١١ .

عين أستاذا مساعدا بالكلية ١٩٧٢/١/٣١ .

عين أستاذا بالكلية ١٩٧٦/٢/٤ .

عين عميدا للكلية بأسيوط ١٩٧٦/٨/١٢ .

عين مفتياً للجمهورية ١٩٨٩/٣/٣ .

ثم عين شيخا للجامع الأزهرِ وما زال يشغل هذا المنصب أطال الله فى عمره.

نبذة مختصرة عن جامعة الأزهر

في النصف الثاني من القرن التاسع عشرا أخذ الأزهر يتأثر بتيار الحركة الإسلامية الجديدة التي نمت بمصر ففي عام ١٢٨٨هـ - ١٨٧٢م صدر أول قانون نظامي للأزهر رسم كيفية الحصول على الشهادة العالمية وحدد موادها وكان هذا القانون خطوة عملية في تنظيم الحياة الدراسية في الأزهر في القرن التاسع عشر .

وفي عام ١٩٣٠ صدر القانون الثاني الذي ينظم الدراسة في الأزهر ومعاهده وكلياته، ونص على أن التعليم العالي بالأزهر يشمل الكليات التالية :-

كلية أصول الدين - كلية الشريعة - كلية اللغة العربية ويعد هذا القانون خطوة حاسمة في نظم الدراسة القديمة في الأزهر .

وفي ٥ مايو ١٩٦١ م صدر القانون رقم ١٩٦١/١٠٣م وهو القانون الخاص بتنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها. وبمقتضى هذا القانون قامت في رحاب الأزهر جامعته العلمية الكبرى التي تضم عددا من الكليات العلمية التي لم تكن موجودة من قبل مثل كليات التجارة والطب والهندسة والزراعة كما فتحت أبواب الدراسة بالجامعة للفتاة المسلمة بإنشاء كلية البنات التي كانت تضم حينئذ شعبا لدراسة الطب والتجارة والعلوم والدراسات الإسلامية والعربية والدراسات الإنسانية .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه ليست المرة الأولى التى تفتح أبواب التعليم فى الأزهر أمام المرأة المسلمة فقد سبق أن جلست فى حلقات خاصة بهن لتلقى العلم فى الجامع الأزهر .

رسالة جامعة الأزهر :

تختص جامعة الأزهر بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر والبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه .

كما تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته ونشره وتؤدى رسالة الإسلام إلى الناس وتعمل على إظهار حقيقته وأثره فى تقدم البشر وكفالة السعادة لهم فى الدنيا والآخرة كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى والروحى للأمة العربية وتعمل على تزويد العالم الإسلامى بالعلماء العاملين الذين يجمعون إلى جانب الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح والثقة فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن كفاية علمية وعملية ومهنية فى الطب والهندسة والزراعة والتجارة وغيرها لتأكيد الصلة بين الدين والحياة والربط بين العقيدة والسلوك وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما تعنى الجامعة بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية .

كليات جامعة الأزهر

أولا - كليات البنين

(أ) كليات القاهرة :

١- كلية أصول الدين .

٢- كلية الشريعة والقانون .

٣- كلية اللغة العربية .

٤- كلية الدراسات الإسلامية والعربية .

٥- كلية الدعوة الإسلامية .

٦- كلية التجارة .

٧- كلية التربية .

٨- كلية اللغات والترجمة .

٩- كلية الطب .

١٠- كلية الصيدلة .

١١- كلية طب الأسنان .

١٢- كلية الهندسة .

١٣- كلية العلوم .

١٤- كلية الزراعة .

(ب) كليات الأقاليم بالوجه البحرى :

١- كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق .

٢- كلية اللغة العربية بالزقازيق .

٣- كلية أصول الدين والدعوة بطنطا .

٤- كلية الشريعة والقانون بطنطا .

٥- كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة .

٦- كلية اللغة العربية بالمنصورة .

٧- كلية أصول الدين والدعوة بشبين الكوم .

٨- كلية اللغة العربية بشبين الكوم .

٩- كلية الشريعة والقانون بدمنهور .

١٠- كلية اللغة العربية بدمنهور ومقرها إيتاى البارود .

١١- كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط .

١٢- كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا .

١٣- كلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف - دقهلية .

١٤- كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدسوق - كفر الشيخ .

١٥- كلية التربية بتفهنا الأشراف - دقهلية .

(ج) كليات فرع الجامعة بأسيوط : عمداء الكليات

١- كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط - أ.د / أحمد سليمان .

٢- كلية الشريعة والقانون بأسيوط - أ.د / عبد القادر أبو العلا .

٣- كلية اللغة العربية بأسيوط - أ.د / محمد نيسان .

٤- كلية الطب بأسيوط - أ.د / أحمد عبد العزيز .

٥- كلية الصيدلة بأسيوط - أ.د / محمود حامد .

٦- كلية العلوم بأسيوط - أ.د / عبد الدايم نصير .

٧- كلية الدراسات الإسلامية بأسوان - أ.د / مسموع أحمد .

٨- كلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا - أ.د / على الشامى .

٩- كلية اللغة العربية بجرجا - أ.د / محمد فهمى عمر .

١٠- كلية الزراعة بأسيوط - أ.د / سالم محمد سالم .

١١- كلية طب الأسنان - أ.د / أحمد قاسم .

ثانياً - كليات فرع الجامعة للبنات :

(أ) كليات القاهرة :

١- كلية الدراسات الإسلامية والعربية .

٢- كلية الدراسات الإسلامية .

٣- كلية الدراسات الإسلامية والعربية ببنى سويف .

٤- كلية التجارة .

٥- كلية الطب .

٦- كلية العلوم .

٧- كلية الصيدلة .

٨- شعبة طب الأسنان بكلية البنات بالقاهرة .

(ب) كليات الأقاليم :

١- كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية .

٢- كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالمنصورة .

٣- كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالزقازيق .

٤- كلية الإقتصاد المنزلى .

٥- كلية البنات الإسلامية بأسيوط .

٦- كلية الدراسات الإسلامية والعربية بسوهاج .

٧- كلية التجارة للبنات بتفهنا الأشراف - دقهلية .

والتعليم بكليات جامعة الأزهر غير مختلط حيث يقتصر قبول الذكور على كليات البنين ويقتصر قبول الإناث على كليات فرع الجامعة للبنات ولا يوجد نظام الانتساب بالجامعة حيث يشترط تفرغ الطالب للدراسة تفرغا كاملا .

وتسير الدراسة بالكليات على نظام الفصلين الدراسيين .

قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة
رقم ١٥١٧ لسنة ١٩٦٩
فى شأن إنشاء فرع لجامعة الأزهر بأسيوط
رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور :
وعلى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها والقوانين المعدلة له .
قرر :
(المادة الأولى)
ينشأ بمدينة أسيوط فرع لجامعة الأزهر يتكون من الكليات الآتية :
أ- كلية أصول الدين .
ب- كلية الشريعة والقانون .
جـ- كلية اللغة العربية بأسيوط - تتكون كلية اللغة العربية بأسيوط - جامعة الأزهر من الأقسام العلمية الآتية :
١- قسم الأدب والنقد الأدبى .
٢- قسم اللغويات العربية .
٣- قسم البلاغة والنقد .
٤- قسم أصول اللغة .
٥- قسم التاريخ والحضارة .
وقد استحدث فيها .
٦- قسم الوثائق والمكتبات .
وتتبع هذه الكليات جامعة الأزهر بالقاهرة وتكون وظائف أعضاء هيئة التدريس بها ومثيلاتها بجامعة الأزهر بالقاهرة وحدة واحدة .
(المادة الثانية)
ينشر هذا القرار بالجريدة الرسمية .
صدر برياسة الجمهورية فى ٥ جمادى الثانية سنة ١٣٨٩هـ (١٨ أغسطس سنة ١٩٦٩) .

(جمال عبد الناصر)

قرار وزارى رقم (٣٧٣) لسنة ١٩٧٨م .

وزير الأوقاف ووزير الدولة لشئون الأزهر :

- بعد الإطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها والقوانين المعدلة له .

- وعلى القرار الجمهورى رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥م بشأن اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م .

- وعلى كتاب السيد الأستاذ الدكتور / مدير جامعة الأزهر رقم ٣٣٨٧ بتاريخ ١٩٧٨/١١/٥م .

قرر

المادة الأولى : تتكون كلية اللغة العربية بالزقازيق بجامعة الأزهر من الأقسام العلمية الآتية :-

١- قسم الأدب والنقد الأدبى . ٢- قسم اللغويات العربية .
٣- قسم أصول اللغة . ٤- قسم البلاغة .
٥- قسم الحضارة الإسلامية .

المادة الثانية :

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار ويعمل به من تاريخ صدوره .

وزير الأوقاف
ووزير الدولة لشئون الأزهر
توقيع
"د. محمد عبد الرحمن بيصار"

١٥ من ذى الحجة سنة ١٣٩٨هـ
١٦ من نوفمبر سنة ١٩٧٨م

جامعة الأزهر
مراقبة شئون مجلس الجامعة
صورة مبلغه إلى /
برجاء التكرم بالإحاطة والتنبيه باتخاذ اللازم ..
تحريراً فى ١٩٧٨/١١/٢١م .

المراقب

(بسم الله الرحمن الرحيم)
قرار شيخ الأزهر رقم (٢٣٣)
بتاريخ : ٣٠ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٧هـ
الموافق : ١٨ من مايو سنة ١٩٧٧م .

شيخ الأزهر :
- بعد الإطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها والقوانين المعدلة له .
- وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥م بشأن اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ المشار إليه .
- وعلى موافقة المجلس الأعلى للأزهر بجلسته الثانية والأربعين المنعقدة في ٢٤ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٧هـ .
- الموافق ١٢ من مايو سنة ١٩٧٧م .

قرر

المادة الأولى :
الموافقة على إنشاء الأقسام الآتية بكلية اللغة العربية بالمنصورة وهي :
١- قسم الأدب والنقد الأدبي .
٢- قسم اللغويات العربية .
٣- قسم أصول اللغة .
٤- قسم البلاغة .
٥- قسم التاريخ والحضارة .

المادة الثانية :-
على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار كل فيما يخصه .
تحريرا في : ١٩٧٧/٥/٢٣م

شيخ الأزهر
توقيع
"د / عبد الحليم محمود"

جامعة الأزهر
مراقبة شئون مجلس الجامعة
صورة مبلغه إلى /
برجاء التكرم بالإحاطة واتخاذ اللازم ..
تحريرا في ١٩٧٧/٧/١٨م .

المراقب

"قرار رئيس مجلس الوزراء"
رقم (٧٥) لسنة ١٩٨٣
رئيس مجلس الوزراء

بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها والقوانين المعدلة له .

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥م بشأن اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م .

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٤٢٩ لسنة ١٩٨٢م بتحديد الوزير المختص بشئون الأزهر .

وعلى قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ١٥٢ لسنة ١٩٨١م بإنشاء فرع لجامعة الأزهر بالبحيرة .

وعلى موافقة مجلس الجامعة في ١٩٨٣/٣/٩م .

قرر

(المادة الأولى)

وافق على إنشاء الأقسام العلمية الآتية بكلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالبحيرة وهي :

١- قسم أصول اللغة .
٢- قسم الأدب والنقد الأدبي .
٣- قسم اللغويات العربية .
٤- قسم البلاغة .
٥- قسم التاريخ .

(المادة الثانية)

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار .

صدر برئاسة مجلس الوزراء في ٢٣ جمادى الأخر سنة ١٤٠٣ (٧ أبريل سنة ١٩٨٣) .

(د. فؤاد محيي الدين)
أمين عام مجلس الوزراء
(مستشار / أحمد رضوان)

صورة مرسلة إلى /

قرار وزارى
رقم (١٥١) لسنة ١٩٧٨م
وزير الأوقاف ووزير الدولة لشئون الأزهر

- بعد الإطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها والقوانين المعدلة له .
- وعلى القرار الجمهورى رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥م بإصدار اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م .
- وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ١٠ لسنة ١٩٧٨م بإنشاء كلية اللغة العربية بمحافظة المنوفية .
- وعلى كتاب السيد الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر رقم ٣٦٧ بتاريخ ١٩٧٨/٦/٢٦م .

قرر

المادة الأولى : تتكون كلية اللغة العربية بالمنوفية من الأقسام الآتية :-
١- قسم اللغويات .		٢- قسم البلاغة .
٣- قسم الأدب والنقد .		٤- قسم أصول اللغة .

المادة الثانية : على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار .

وزير الأوقاف
ووزير الدولة لشئون الأزهر
توقيع
"محمد متولى الشعراوى"

جامعة الأزهر
المراقبة العامة لشئون مجلس الجامعة
صورة مبلغة إلى /
برجاء التكرم بالإحاطة والتنبيه باتخاذ اللازم ..
تحريرا فى ١٩٧٨/٧/١٥م .

المراقب العام

نبذة عن كلية اللغة العربية بأسيوط فى سطور :

بدأت الدراسة بالكلية فى العام الجامعى ١٩٧٢/١٩٧٣م وتخرجت الدفعة الأولى فى العام الجامعى ١٩٧٥م/١٩٧٦م .

أهداف الكلية :

١- تخريج المدرس الكفء للغة العربية بمدارس التربية والتعليم والمعاهد الأزهرية وكذلك مدرس التاريخ .

٢- الإسهام الفعلى فى تخريج أمناء المكتبات المؤهلين والمعدين إعداداً خاصاً .

٣- إعداد طالب الدراسات العليا فى التخصصات المختلفة .

٤- مدة الدراسة بالكلية أربع سنوات للحصول على درجة الإجادة العليا (الليسانس) وتقبل الكلية الحاصلي على الثانوية الأزهرية .

نظام الدراسة بكليةاللغة العربية :

أولاً : مرحلة الليسانس :

مدتها كما ذكرنا سالفا أربع سنوات متصلة نظام الفصلين الدراسيين وتضم الأقسام التالية :-

بالإضافة إلى الشعبة العامة - قسم التاريخ والحضارة - قسم الوثائق - قسم المكتبات .

يحصل الطالب بعدها على درجة الليسانس فى التخصص الذى درسه .

ثانياً : مرحلة الدراسات العليا :

أ- مرحلة الماجستير :

شروط القيد لنيل درجة الماجستير :-

١- ألا يقل التقدير العام فى الفرقة الرابعة النهائية عن (جيد) على الأقل طبقا للائحة الكلية .

٢- متوسط تقدير السنوات الأربع لمواد التخصص لا يقل عن (جيد) بالفرق الأربع بجميع الشعب .

٣- مادة من مواد التخصص بالفرقة الرابعة النهائية لا يقل عن جيد جداً بجميع الشعب .

ومواد التخصص لشعب الكلية علىالنحو التالى :-

أ- شعبة الأدب والنقد هى (الأدب والنقد - الأدب والنصوص) .

ب- شعب البلاغة والنقد هى (البلاغة والنقد الأدبى) .

جـ- شعبة اللغويات هى (النحو والصرف) .

د- شعبة أصول اللغة هى (فقه اللغة) .

هـ - شعبة الوثائق هى (الوثائق العثمانية الحديثة - إدارة الأرشيفات المتخصصة والآثار والفنون الإسلامية) .

و- شعبة المكتبات هى (علم المعلومات وتطبيقاته - نظم المعلومات البيوجرافية - والمكتبات النوعية - والمخطوطات والتراث العربى -

والمصادر والمراجع المتخصصة - والتحليل الموضوعى) .

ز- شعبة التاريخ والحضارة وهى (التاريخ الإسلامى - التاريخ الحديث - التاريخ القديم - الحضارة الإسلامية) .

جـ- مرحلة الدكتوراه :

شروط القيد والتسجيل لمرحلة الدكتوراه كالتالى :

يجب ألا يقل التقدير الحاصل عليه في الماجستير عن (جيد) حتى يتقدم للتسجيل لمرحلة الدكتوراه فى الشعب التالية :

الأدب والنقد والبلاغة والنقد واللغويات وأصول اللغة والتاريخ والوثائق والمكتبات وأن يجتاز بنجاح القرآن الكريم كله شفوى وتحريرى الذى يعقد بكلية أصول الدين بالقاهرة فى شهرى يناير ويوليو وشهرى مايو وأغسطس مع طلاب التمهيدى للماجستير حتى يتمكن من تشكيل لجنة المناقشة له وعمل تقرير صلاحية عن طريق المشرف على رسالته. ومدة التسجيل لا تزيد عن ٦ سنوات من تاريخ تسجيله لهذه الرسالة ومدة ٦ سنوات أخرى يقوم المشرف على رسالته فيها بعمل مد مدة له لمدة عام متفرقين بحيث لا تزيد أعوام المد عن ٦ سنوات لتصبح إجمالى عدد السنوات التى يقضيها الباحث فى الدكتوراه لا تزيد عن ١٢ عاماً بما فيها سنوات المد .

أولاً : رئيس جامعة الأزهر

أ.د / أحمد عمر هاشم .

نواب رئيس الجامعة

أولاً : الأستاذ الدكتور / طه أبو كريشة - نائب رئيس جامعة الأزهر لشون الطلاب

ثانياً : الأستاذ الدكتور / ممدوح الصدفى - نائب للدراسات العليا والبحوث

ثالثاً : الأستاذ الدكتور / القطبى محمود زلط - نائب لفرع أسيوط

رابعاً : الأستاذ الدكتور / سامح جاد - نائبا لفرع البنات

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسيوط

شئون العاملين

كشف بأسماء السادة أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ والحضارة

م	الاســم	الوظيفة	ملاحظات
١-	أ.د / محمد نيسان سليمان مناع	عميد الكلية	
٢-	أ.د / محمود عبد الفتاح شرف الدين	رئيس القسم	
٣-	أ.د / عبد الرازق الطنطاوى القرموط	أستاذ	معار
٤-	أ.د / مالك محمد أحمد رشوان	أستاذ	مشرف قسم الوثائق والمكتبات
٥-	أ.د / فتحي عفيفي بدوى	أستاذ متفرغ	
٦-	أ.د / أبو ورده عبد الوهاب عطية	أستاذ مساعد	معار
٧-	د / عبد الفتاح عبد العزيز عبد اللطيف	مدرس	معار
٨-	د / حسين حسان محمد حسين	مدرس	
٩-	د / محمد صخر أحمد سليمان	مدرس	
١٠-	د / فوزي حامد عباس	مدرس	
١١-	السيد / محمد خالد فؤاد عبد المنعم	مدرس مساعد	
١٢-	السيد / محمود عبده نورالدين محمود	مدرس مساعد	
١٣-	السيد / امام الشافعي محمد محمودى	مدرس مساعد	
١٤-	السيد / أشرف محمد حسن علي	مدرس مساعد	
١٥-	السيد / حمادة مصطفى إسماعيل	مدرس مساعد	
١٦-	السيد / سعيد علي عبد الحميد علي	معيد	
١٧-	السيد/ إسماعيل أحمد الدردير عبداللاه	معيد	
١٨-	السيد/محمد نور الدين محمود ابراهيم	معيد	
١٩-	السيد/عبدالمنعم عبدالرحمن عبدالمجيد	معيد	

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسيوط

شئون العاملين

كشف بأسماء السادة أعضاء هيئة التدريس بقسم البلاغة

م	الاسـم	الوظيفة	ملاحظات
١-	أ.د / عبد الفتاح محمد محمد سلامة	أستاذ	
٢-	أ.د / يحيى محمد يحيى	أستاذ رئيس القسم	
٣-	أ.د / عبد المنعم سيد عبد السلام	أستاذ	
٤-	أ.د / أحمد عبد الجواد محمد عكاشة	أستاذ	معار
٥-	أ.د / محمد علي هريدي الصعيدي	أستاذ مساعد	
٦-	أ.د / عبد الحافظ محمد عبد الحافظ	أستاذ مساعد	
٧-	أ.د / سيد أحمد حسين عوض الله	مدرس	
٨-	أ.د / العادلي محمد أحمد سليمان	مدرس	
٩-	أ.د / عبد الهادي عبد الرحمن سيد	مدرس	
١٠-	د/ محمود حسن مخلوف	مدرس	معار
١١-	د/ عبد العزيز عبد السلام محمد	مدرس	
١٢-	د/ محمد سويفي محمد السمين	مدرس	
١٣-	د/ حمدي سيد عبد العال	مدرس	
١٤-	د/ محمد سيد سلطان	مدرس	
١٥-	د/ أبو الوفا شرقاوي حسن	مدرس	
١٦-	د/ أبو زيد محمد علي أحمد	مدرس	
١٧-	د/ حنيدق محمد خليفة	مدرس	معار
١٨-	د/ علي عبد الحميد أحمد عيسى	مدرس	معار
١٩-	د/ فتحي جلال أحمد أحمد	مدرس	
٢٠-	د/ بدر عبد العال	مدرس	
٢١-	السيد / شعبان شوقي عبد المحسن	معيد	

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسيوط

شئون العاملين

كشف بأسماء السادة أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغويات

م	الاســم	الوظيفة	ملاحظات
١-	أ.د / علي أحمد أحمد طلب	رئيس القسم	علي المعاش ٢٠٠٠/٥/١٣
٢-	أ.د / فتحي علي حسانين	أستاذ	
٣-	أ.د / محمد محمد فهمي عمر	أستاذ	عميد كلية لغة جرجا
٤-	أ.د / محمد عبد النبي عبد المجيد	أستاذ	
٥-	أ.د / ماهر عبد الغني كريم	أستاذ	
٦-	أ.د / علي السنوسي محمد حسين	أستاذ مساعد	
٧-	أ.د / عبد الهادي أحمد فراج	أستاذ مساعد	
٨-	أ.د / مصطفي سيد محمد السمين	أستاذ مساعد	
٩-	أ.د / أحمد عبد الحميد خليل	أستاذ مساعد	
١٠-	أ.د / إبراهيم عمر محمد حسين	أستاذ مساعد	
١١-	أ.د / صابر حامد عبد الكريم	أستاذ مساعد	
١٢-	أ.د / محمود محمد عبد المولي	أستاذ مساعد	معار
١٣-	أ.د / البسيوني عطيه عبد الكريم	أستاذ مساعد	معار
١٤-	د / محمد عبد العظيم محمد جاد	مدرس	
١٥-	د / صلاح الدين حسن عبيد	مدرس	معار
١٦-	د / عبد الفتاح محمد سيد سليمان	مدرس	معار
١٧-	د / حمدي سيد عبد المطلب	مدرس	معار

تابع كشف بأسماء السادة أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغويات

١٨-	د / جمال عبد الحفيظ هاشم	مدرس	معار
١٩-	د / محمد صادق محمد عبد الله	مدرس	
٢٠-	د / عبد المنعم محمد علي عبد الحافظ	مدرس	معار
٢١-	د / لطفي عبد الرحيم أحمد خليل	مدرس	معار
٢٢-	د / جلال حسن سيد زايد	مدرس	معار
٢٣-	د / أحمد محمد حسن يوسف	مدرس	معار
٢٤-	د / عبد الرحيم أحمد عبد الرحيم	مدرس	
٢٥-	د / بشيري عبد المعطي سيد	مدرس	
٢٦-	د / أحمد عبد العزيز محمد أحمد	مدرس	
٢٧-	د / علي حسن محمد يوسف	مدرس	
٢٨-	د / جمال أحمد أبو زيد حسانين	مدرس	
٢٩-	د/محمد عبدالحميد حسين حسن بودى	مدرس	
٣٠-	السيد/ عدوي أحمد عبد النبي عمران	مدرس مساعد	
٣١-	السيد / حامد عيسى مصطفى العسيلي	مدرس مساعد	
٣٢-	السيد / أحمد حشمت عبد اللاه	معيد	
٣٣-	السيد / ناصر إبراهيم محمد	معيد	

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسيوط

شئون العاملين

كشف بأسماء السادة أعضاء هيئة التدريس بقسم الأدب والنقد

م	الاســم	الوظيفة	ملاحظات
١-	أ.د / حمدان عبد الرحمن أحمد	رئيس القسم	
٢-	أ.د / علي محمد علي طلب	وكيل الكلية	
٣-	أ.د / عبد الصبور ضيف محمد	أستاذ	
٤-	أ.د / زهران محمد جبر	أستاذ	
٥-	أ.د / أحمد أحمد منصور نفادي	أستاذ	توفي سنة ٢٠٠٠
٦-	أ.د / تمساح علي أحمد أحمد	أستاذ	
٧-	أ.د / هاشم عبد الرحيم هاشم	أستاذ	
٨-	أ.د/عمر أحمد حسين صالح شرف الدين	أستاذ مساعد	معار
٩-	أ.د / عمر عبد المعبود عبد الرحمن	أستاذ مساعد	
١٠-	أ.د / أحمد محمد علي شومان	أستاذ مساعد	معار
١١-	أ.د/ محمد أحمد محمد حسن مخلوف	أستاذ مساعد	معار
١٢-	أ.د / عبد العاطي سيد حرب	أستاذ مساعد	معار
١٣-	أ.د / فؤاد أحمد صبره	أستاذ مساعد	
١٤-	أ.د / عيد عبد الرحمن قناوي	أستاذ مساعد	
١٥-	أ.د / أحمد عبد المنعم العسيلي	أستاذ مساعد	
١٦-	أ.د / محمود عبد الرحيم محمد فراج	أستاذ مساعد	
١٧-	أ.د / حمدي عبد المجيد عبد الرحيم	أستاذ مساعد	
١٨-	أ.د / صابر أحمد عبد الحافظ	أستاذ مساعد	معار
١٩-	د / قرني عبد الحليم عبد الله	مدرس	

تابع كشف بأسماء السادة أعضاء هيئة التدريس بقسم الأدب والنقد

٢٠-	د/ عبد الجواد أحمد محمد	مدرس	
٢١-	د/ ماهر أحمد محمد الملاح	مدرس	
٢٢-	د / رمضان حسانين جاد المولى	مدرس	
٢٣-	د / مصطفى حسانين إبراهيم	مدرس	
٢٤-	د / داود لطفي حافظ	مدرس	معار
٢٥-	د / يحيى عبد الهادي عبد العزيز	مدرس	معار
٢٦-	د / صلاح محمود سيد مناع	مدرس	معار
٢٧-	د / حارس عبد الله محمد	مدرس	
٢٨-	د / طلعت إبراهيم عبد الحكيم	مدرس	
٢٩-	د / عبد الرحيم أحمد عبد المولى	مدرس	
٣٠-	د / شعبان زكي عبد الحفيظ	مدرس	
٣١-	السيد/عبدالرحمن عبدالحكيم عبدالرحمن	معيد	
٣٢-	السيد / عادل كامل عبد الحكيم	معيد	
٣٣-	السيد / أبو الحسن عبد اللطيف محمد أحمد	معيد	

١-	أ.د / عبد الحميد هلال عبد العزيز	أستاذ متفرغ	بعد سن السبعين
٢-	أ.د / عبد اللاه محمود حسن محروس	أستاذ غير متفرغ	
٣-	أ.د / علي أحمد محمد العريني	أستاذ غير متفرغ	

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسيوط

شئون العاملين

كشف بأسماء السادة أعضاء هيئة التدريس بقسم أصول اللغة

م	الاســم	الوظيفة	ملاحظات
١-	أ.د / ناجح عبد الحافظ مبروك	أستاذ/رئيس قسم	
٢-	أ.د / حسن سيد فرغلي	أستاذ مساعد	
٣-	أ.د / أحمد محمد سلامة	أستاذ مساعد	معار
٤-	أ.د / سيد أحمد الصاوي	أستاذ مساعد	
٥-	أ.د / عبد الحكيم حسين عبد الرحمن	أستاذ مساعد	
٦-	أ.د / أحمد عبد الحميد أحمد فراج	أستاذ مساعد	
٧-	أ.د / محمد عبد اللطيف علي	أستاذ مساعد	معار
٨-	د / محمد علام محمد عبد الرحمن	أستاذ مساعد	
٩-	د / السيد شرف أحمد السيد	مدرس	
١٠-	د/ عبد الهادي أحمد محمد السلمون	مدرس	معار
١١-	د / ناصر محمد أبو زيد	مدرس	معار
١٢-	د / كمال حسين أحمد عيسى	مدرس	
١٣-	د / صلاح الدين عبد الرحمن سلطان	مدرس	
١٤-	د / محمود محمد حفني الشرقاوي	مدرس	
١٥-	د / عبد المنعم علي لطيف	مدرس	
١٦-	د / عبد الرؤوف كامل علي	مدرس	
١٧-	د / محمد أحمد صالح كتان	مدرس	
١٨-	د / محمود أحمد عبد الرحيم	مدرس	
١٩-	د / سيد عباس محمد	مدرس	
٢٠-	د / ممدوح إبراهيم محمود محمد	مدرس مساعد	
٢١-	السيد / زكريا عطيفي حمادة	معيد	

الجهاز الإدارى بالكلية

١- مدير إدارة الكلية الأستاذ / محمد عبد المعز دردير

٢- قسم رعاية الشباب :

١- سمير محمود عثمان

٢- هانى محمد مصطفى درويش

٣- يوسف محمود رجب

٣- قسم الشئون المالية :

١- أحمد عبد الغنى محمد

٤- قسم شئون العاملين :

١- محمود محمد محمود عبد المجيد

٢- رأفت محمد الأمين

٣- أشرف عبد النعيم

٤- محمد كامل مرسى

٥- قسم شئون الطلاب :

١- السيد / سيد محمد على عبد العال

٢- السيد / جمال محمد على عبد الحميد

٣- السيد / حسن محمد على إسماعيل

٤- السيد / مصطفى محمد عبد القادر

٥- السيد / عبد الناصر مصطفى محمد

٦- السيد / بهاء الدين هاشم محمد

٧- السيد / محمود سيد سر

٨- السيد / محمد عماد مختار

٩- السيد / حسن عطيه محمد

١٠- السيد / عطيه عبد العال

١١- السيد / ممدوح فرغلى محمد

١٢- السيد / فادى محمد إسماعيل

٦- قسم شئون الخريجين :

١- عبد العال محمد عبد العال

٢- ضياء الدين عدلى

٧- قسم الشئون العامة والأرشيف :

١- أحمد على عبد الحافظ

٢- عبد الغفار تمام عبد الغفار

٨- قسم شئون الدراسة والامتحانات :

١- محمد فؤاد أحمد حسن

٢- أحمد نسيم

٣- على محمود حسان

٩- قسم الدراسات العليا :

١- مجدى محمد محمد زيدان

٢- مدحت زكى محمد

١٠- قسم المخازن :

١- حسانين أحمد حسانين

٢- عادل على محمود

١١- مكتب أ.د / عميد الكلية :

١- محمد شعبان خليفة

١٢- الكنترول :

١- علاء الدين حسن أحمد

١٣- السويتش :

١- زين العابدين محمد زين العابدين

١٤- المكتبة :

١- على حسين أحمد فزاع

٢- محمد بيومى محمد عبد الكريم

٣- الريدى عبد الحفيظ عبد الرحيم

٤- رجب مدبولى سليمان

١٥- الكمبيوتر :

١- ممدوح مصطفى محمد

رعاية الشباب :

تهدف إدارة رعاية الشباب الاستفادة من طاقات الطلاب لخدمة المجتمع لما يعود عليه بالتقدم والرقى. لذا تعمل رعاية الشباب من خلال الأنشطة الآتية :

١- النشاط الرياضى :

يهدف إلى بث الروح الرياضية بين الطلاب وتشجيع المواهب الرياضية. وتقوم رعاية الشباب بتكوين الفرق الرياضية (كرة القدم - سلة - طائرة - يد - تنس طاولة - سباحة - دراجات - ألعاب قوى - ملاكمة -

مصارعة - رفع أثقال - كمال أجسام - كاراتيه - جودو) .

٢- النشاط الاجتماعي والرحلات :

أ- تعمل على تنمية الروابط بين الطلاب وهيئة التدريس وإشاعة روح التعاون والإخاء وبث الروح الجماعية .

ب- وتقوم بتقديم المساعدات للطلاب من خلال صندوق التكافل الاجتماعي والمسابقات الاجتماعية مثل مسابقة الشطرنج وأحسن بحث اجتماعي - والتبرع بالدم - ومسابقة الطالب المثالي و الطالبة المثالية .

ج- تقوم بتنظيم الرحلات التي تساعد الطلاب على التعرف على معالم الوطن وآثار مصر القديمة .

٣- النشاط الأسرى :

يهدف إلى تنمية القيم الأخلاقية وتعويد الطلاب على القيادة وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن آرائهم وتوثيق الروابط بينهم وبين أساتذتهم. فتعمل رعاية الشباب على تشجيع تكون الأسر في الكلية مع تنسيق الأنشطة بين أسر الكلية بعضها ببعض .

٤- النشاط الفني :

يهدف إلى تنمية المواهب الفنية المختلفة والارتقاء بمستواهم لدى الطلاب وإشباع الميول الفنية للطلاب من : (مرح - موسيقى - فنون شعبية - فنون تشكيلية) ، كما تهدف إلى نشر الثقافة الرفيعة وتنظيم العروض الفنية وإقامة المعارض التي تبرز النشاط الفني للطلاب .

٥- النشاط الثقافى :

يهدف إلى تنمية القيم الروحية للطلاب (حفظ القرآن الكريم - تلاوة - تفسير) كما تتيح للطلاب تنمية الهوايات الأدبية والثقافية (شعر - زجل - خطابة - قصة قصيرة - مقال - مجلات حائط) .

فبذلك يهدف النشاط إلى نشر القيم الدينية والوعى والنظافة وتعميق إدراك الشباب .

نشاط الجوالة والخدمة العامة :

أ- تهدف إلى إعداد المواطن الصالح الذى يسعى لخدمة مجتمعه ووطنه، وتقوم رعاية الشباب بإقامة المعسكرات التدريبية على الأسس الكشفية وذلك بتكوين عشيرة جوالة الكلية .

ب- كما تقوم بعمل معسكرات الخدمة العامة لخدمة البيئة بما يساهم فى تنمية المجتمع .

ج- الاشتراك فى المسابقات الكشفية ومعسكرات العمل الصيفية .

الاتحادات الطلابية :

يتم تشكيل الاتحادات الطلابية كل عام وتحديد المواعيد بقرار من السيد الأستاذ الدكتور / رئيس الجامعة وفيما يلى الشروط الواجب توافرها لعضوية الاتحاد :

١- أن يكون مصرى الجنسية .

٢- أن يكون طالبا نظاميا بالكلية .

٣- أن يسدد رسم الاتحاد ضمن الرسوم الجامعية .

٤- أن يكون له نشاط ملحوظ فى نطاق عمل اللجنة التى يرشح نفسه فيها .

٥- أن يكون مستجدا فى فرقته وغير باقى للإعادة لأى سبب من الأسباب.

٦- إلا يكون قد صدرت ضده عقوبات تأديبية أو مقيدة للحرية .

ويتم الترشيح شخصيا بمقتضى طلب كتابى وفق النموذج الذى يوزع برعاية الشباب .

وتتكون الاتحادات الطلابية من اللجان الآتية :

١- لجنة النشاط الرياضى .

٢- لجنة النشاط الثقافى .

٣- لجنة الجوالة والخدمة العامة .

٤- لجنة النشاط الاجتماعى والرحلات .

٥- لجنة نشاط الأسر .

٦- لجنة النشاط الفنى .

ويتم انتخاب اثنين من كل لجنة من اللجان السابقة عن كل فرقة دراسية ويتم فرز أصوات الناخبين فور انتهاء الموعد المحدد للانتخابات فى حضور ممثل لكل مرشح ويشترط فى الناخب -

١- أن يكون مصرى الجنسية .

٢- أن يكون طالبا نظاميا بالكلية .

٣- أن يكون مسددا للرسوم الجامعية

ويشترط لصحة الانتخابات حضور ٥٠ ٪ على الأقل من مجموع الناخبين الذين لهم حق التصويت . أما إذا لم يكتمل العدد فتعاد الانتخابات خلال (٤٨) ساعة وفى هذه الحالة يشترط حضور ٢٠ ٪ على الأقل من مجموع الناخبين .

وتتكون كل لجنة من لجان الاتحاد من :

١- السيد الدكتور / رائد اللجنة .

٢- ممثل لجهاز رعاية الشباب .

٣- ممثلى اللجنة فى الفرق الدراسية الأربعة .

وينتخب الطلاب أعضاء اللجنة أمينا لها وأمينا مساعدا من بين أعضاءها من الطلاب ..

أما اتحاد طلاب الكلية فيتكون من :

١- السيد الأستاذ الدكتور / رائد الشباب بالكلية .

٢- السادة رواد اللجان .

٣- رئيس رعاية الشباب .

٤- أمناء اللجان والأمناء المساعدين .

وينتخب الطلاب أعضاء المجلس أمينا وأمينا مساعدا له من أعضائه من الطلاب . هذا ويحق للطالب المنتسب الاستفادة من خدمات الاتحاد دون ترشيح أو الانتخاب إذا سدد رسم الاتحاد ..

تشكيل رواد اللجان

١- عميد ورائد للشباب	أ.د / محمد نيسان
٢- رائد لجنة الأسر	أ.د / فؤاد صبره
٣- رائد لجنة الثقافة	أ.د / رمضان
٤- رائد لجنة الجوالة	أ.د / ابراهيم عمر
٥- رائد لجنة الرحلات	د / عبد الهادى عبد الرحمن
٦- رائد اللجنة الفنية	د / محمود أحمد عبد الرحيم
٧- رائد اللجنة الرياضية	أ.د / مصطفى السمين

شئون الطلاب

اختصاصات شئون الطلاب

١-تحرير استمارات الكشف الطبى للطلاب المقبولين بالكلية .
٢- إصدار البطاقات الجامعية (الكارنيه) بعد أن يسدد الطلاب الرسم المقرر.
٣- تأجيل التجنيد للطلاب الذكور فوق سن الـ ١٨ عام لحين التخرج أو بلوغ سن الـ ٢٨ سنة .
٤- إصدار شهادات القيد .
٥- إجراءات صرف المكافأة التفوق .
٦- اعتماد جميع الوثائق الصادرة من إدارة رعاية الشباب :-
(استمارات جواز السفر، بطاقات تحقيق الشخصية، استمارات صندوق التكافل، استمارات المعسكرات، استمارات الاشتراكات فى الدورات الرياضية، تحويل الطلاب للمراقبة الطبية تمهيدا للتحويل أو اعتماد العذر المرضى) .
٧- تلقى طلبات خريجى حملة المؤهلات العليا الذين يرغبون فى الانتساب
٨- تلقى طلبات خريجى الطلاب المفصولين من كليات أخرى ومراجعة المجموع الحاصلين عليه .
٩- تلقى طلبات المعوقين وتحويلهم للقومسيون الطبى لتقرير حالتهم .
١٠- أعمال خاصة بالامتحانات .
١١- أعمال خاصة بالخريجين .
١٢- تحرير براءات الخريجين .
١٣- إصدار الشهادات المؤقتة .
١٤- إصدار شهادة التقديرات فى خلال سنين الدراسة بالكلية .

يسر رعاية شباب الكلية أن تهنئ الأخوة الطلاب بالعام الجامعى الجديد وتخص بالتهنئة الطلاب الجدد .

إنجازات الكلية التي تحققت في عهد
الأستاذ الدكتور / محمد نيسان سليمان عميد الكلية
خلال أعوام ١٩٩٧م إلى ٢٠٠١م

١- تم تجهيز وحدة حاسب آلي بالكلية .

٢- تم فتح أقسام للدراسات العليا لأقسام التاريخ والحضارة والوثائق والمكتبات .

٣- تم تركيب جهاز فاكس بالكلية لخدمة طلاب الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس .

٤- تم تركيب مظلات أمام شبابيك مكاتب شئون الطلاب ورعاية الشباب والخزينة لوقاية الطلاب من الشمس .

٥- أقيم حفل يوم الوفاء بالكلية كرم عمداء الكلية السابقين والوكلاء وأوائل الطلاب لجميع الشعب وحضره عدد كبير من القيادات السياسيين والشعبيين بالمحافظة وأرسلت برقيات التأييد والمبايعة لقائد مصر الرئيس/ محمد حسني مبارك .

٦- قامت الكلية برحلات علمية لجميع شعب الكلية، وما زالت .

٧- تم تجهيز مكتب حجز تذاكر السكك الحديدية لخدمة أعضاء هيئة التدريس بالفرع داخل الكلية .

٨- تم افتتاح الدراسات العليا لقسم أصول اللغة .

مع أطيب التمنيات للجميع بعام دراسي سعيد وتدعوهم إلى المشاركة في الأنشطة الطلابية المختلفة .

مع أطيب التمنيات بدوام التوفيق والنجاح

أثر السلاطين والأمراء والأعيان

فى

تنشيط الحركة العلمية فى مكة
فى القرنين السابع والثامن الهجريين

اعداد

الدكتور / بندر محمد الهمزانى

كلية الشريعة – جامعة أم القرى

أهمية الموضوع ، وسبب اختياره

وخطة العمل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

أهمية الموضوع :

أما بعد؛ فإن مكة جعلها الله- تعالى- نقطة التقاء، ومحط أنظار، ومركز تجمع لجميع المسلمين، من مختلف الأقطار وشتى البقاع الإسلاميه؛ لهذا كانت- وما تزال- من أقوى مراكز نشر الثقافة والعلم بين تلك الأقطار.

كانت همزة الوصل بين علماء المسلمين، في شرق البلاد وغربها، وشمالها وجنوبها في مختلف العصور .

ومع انتقال الخلافة الإسلامية من الجزيرة العربية[1] انصرفت أنظار العلماء وتوجهت أبصارهم وتركزت آمالهم حيث يوجد الملك والسلطان، اللذان بهما تتيسر سبل الحياة ويحصل الطمأنينة والهدوء .

ولكن مكة المكرمة لها مكانة دينية في نفس كل مسلم تجعلها دائماً-

---

(١) انتقلت الخلافة من المدينة إلى الكوفة سنة ٣٥هـ على يد الخليفة علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- ثم إلى الشام على يد معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنه سنة ٤١ هـ انظر : البداية والنهاية لابن كثير (١٩/٨) .

مابقي المسلمون- مطمح انظارهم، فضلاً عن كونها تضم بيت الله المعظم (الكعبة) محط أنظار المسلمين، وهم بحكم الدين لا يمكن أن ينصرفوا عنها؛ ولهذا فقد أصبحت منذ جاء الإسلام مركزاً للثقافة والعلوم الإسلامية والعربية، يجتمع فيها من العلماء في كل عام ما لا يجتمع في أية مدينة أخرى في العالم .

وكان العلماء في القرون الماضية يقصدونها من مختلف بلدان العالم الإسلامي ليؤدوا ركناً من أركان دينهم، وحيث إن الحج يتم في زمن معلوم، فضلاً عن مكان مخصوص (مكة) يحدث الالتقاء والتبادل المعرفي بين العلماء، فالعالم يفد إليها من أقصى المشرق أو المغرب، فيلتقي بعالم آخر من بلاد بعيدة عن بلاده، فيحدث من هذا الالتقاء تقارب وتفاهم، واستزادة علم، وامتداد لروافد المعرفة، وانتشار للأفكار بين مختلف البلدان الإسلامية .

فكانت مكة ومسجدها الحرام مركزاً لحركة علمية بدأت منذ ظهور الإسلام، وأخذت أشكالاً مختلفة بين الانتشار والانحسار على مدار القرون الماضية .

وكان للسلاطين والأمراء والأعيان أثر هام في تنشيط الحركة العلمية فيمكة المكرمة على مدى القرون الماضية .

لذلك أردنا أن ندرس أثرهم وتأثيرهم في الحركة العلمية في مكة المكرمة، خاصة وأن الغالبية العظمى منهم يقدرون المكانة الكبيرة للحرم وما يمثله من قيمة كبيرة في نفوس المسلمين في أقطار العالم

الإسلامى جميعها لذا حرصوا على أن يكون الحرم الشريف تحت سيطرتهم ونفوذهم فإشرافهم على الحرمين الشريفين يضفى على خلافتهم وزعامتهم الصبغة الشرعية .

ومع أن الحركة العلمية بمكة لها أهمية كبيرة، خاصة إذا أخذنا فى الاعتبار مكانة مكة ومسجدها الحرام وما لها من التعظيم والتقديس فى قلوب المسلمين إلا أنها لم تلق العناية الكافية من الباحثين لدراستها .

سبب اختيار الموضوع :

لذلك أردنا أن نلقى الضوء على جزئية أسهمت فى نهوض الحركة العلمية، وهى أثر السلاطين والأمراء والأعيان فى تنشيط الحركة العلمية فى مكة المكرمة، فى فترة زمنية معينة (القرنين السابع والثامن الهجريين) وذلك لاعتبارات مختلفة :

- شهدت هذه الفترة تقلبات سياسية كبيرة فى العالم الإسلامى.

غزو التتار، وسقوط بغداد .

أفول نجم بنى أيوب، وصعود نجم المماليك .

الحروب الصليبية، وغزو لويس التاسع ملك فرنسا لمصر .

تحويل إمارة مكة من حكم بنى فليتة، وهم من أبناء وأولاد الحسن بن على ابن أبى طالب- رضى الله عنه- إلى أمير ينبع أبى عزيز قتادة

بن إدريس، وهو أيضاً من أولاد الإمام الحسن- رضى الله عنه- [1]ومن ثم انتقال الحكم إلى أبنائه من بعده والصراعات الدامية فيما بينهم .

صراع المماليك على الحكم والخلافات التى حدثت بينهم وبين بعض أمراء مكة [2].

ففى ظل تلك التغيرات السياسية الجسيمة فى معظم أنحاء العالم الإسلامى أردنا التعرف على أثرها على الحركة العلمية بمكة المكرمة، وهل كان الخلفاء والسلاطين والأمراء فى وقت صراعهم السياسى منشغلين عن واجبهم تجاه الحرمين الشريفين .

خطة البحث :

ولما كان الموضوع يرتبط بالمسجد الحرام ودوره العلمى، رأينا أن نبدأه بمدخل تاريخى مختصر عن المسجد الحرام، نوضح فيه تاريخه ومكانته عند المسلمين، وإسهامات الرسول -صلى الله عليه وسلم- والرعيل الأول من الصحابة والتابعين فى إثراء الحركة العلمية به .

ثم عرضنا لمقومات البيئة العلمية وأسقطناها على المسجد الحرام، وما يتمتع به من عوامل تؤهله لأن يكون بيئة علمية خصبة .

ثم تحدثنا عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمكة

---

(١) المقريزى : السلوك (٢٠٦/١)؛ الفاسى : شفاء الغرام (٣١٥/٢)؛ عز الدين بن فهد : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام (١/ ٥٥٠-٥٥٢) .

(٢) المقريزى : السلوك (٧٢٤/١-٧٢٦)؛ الفاسى : العقد الثمين (٤٦١/١-٤٦٢-٤٦٦) .

المكرمة فى فترة البحث ومدى تأثيرها على النهضة العلمية .

ثم تكلمنا عن إسهامات الخلفاء والسلاطين والأمراء والتجار، والقادة فى هذه النهضة العلمية وأثر هذه الإسهامات فى تطور الحياة العلمية وتدفق العلماء وطلبة العلم إليها من جميع البلدان .

ثم تطرقنا فى حديثنا عن دولة بنى رسول ودور حكامها فى إثراء الحركة العلمية بمكة.

وختمنا بعد ذلك هذا البحث بخاتمة توضح أهم النتائج التى توصلت إليها .

فكان البحث كالآتى :

الفصل الأول: مدخل تاريخى للحياة العلمية بمكة المكرمة والمسجد الحرام ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نبذة عن الحياة العلمية فى مكة قبل الإسلام .

المبحث الثانى : موجز للحياة العلمية فى الصدر الأول من الإسلام.

المبحث الثالث :الحياة العلمية بمكة قبيل وأثناء فترة البحث .

الفصل الثانى: مقومات البيئة العلمية، وجعلناه فى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : العوامل المؤثرة فى البيئة العلمية :

(أ) العامل الدينى .

(ب) العامل الجغرافى .

(ج) العامل الاجتماعى .

(د) العامل السياسى .

(هـ) العامل الاقتصادى .

المبحث الثانى : الحج :

المبحث الثالث : الأسواق :

الفصل الثالث : الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمكة المكرمة فى القرنين السابع والثامن الهجريين .

الفصل الرابع : إسهامات السلاطين والأمراء والقادة فى تنشيط الحركة العلمية .

الفصل الخامس: إسهامات الأعيان والتجار فى تنشيط الحركة العلمية.

الفصل السادس: دولة بنى رسول ودور حكامها فى الحركة العلمية بمكة المكرمة .

خاتمة : أهم نتائج البحث .

الفصل الأول

المدخل التاريخي للحياة العلمية بمكة المكرمة والمسجد الحرام

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نبذة عن الحياة العلمية في مكة قبل الإسلام.

المبحث الثاني: موجز للحياة العلمية بمكة في الصدر الأول من الإسلام .

المبحث الثالث: الحياة العلمية بمكة المكرمة قبيل وأثناء فترة البحث.

المبحث الأول

نبذة عن الحياة العلمية

(فى مكة قبل الإسلام)

يظن كثير من الباحثين أن العرب قبل الإسلام كانوا لا يقرؤون ولا يكتبون، وأن الكتابة كانت قليلة بينهم، وأن البداوة هى الغالبة على طبعهم، وأنهم كانوا قد تخلفوا عمن حولهم من الأمم فى الحضارة، وكان يعتقد أن أكثرهم عاش عيشة القبائل الرحل فى جهل وغفلة، ولم تكن لهم صلات بالعالم الخارجى، ولم يكن للعالم الخارجى اتصال بهم، وأنهم أميون عبدة أصنام، ليس لهم تاريخ حافل بالحضارة، لذلك أطلقوا على الحقبة التى سبقت الإسلام اسم : الجاهلية .

ولكن بعد البحث والدراسة عن كثب، ومعرفة الخواص الطبيعية لجغرافيتها، يتبين لنا أن جزيرة العرب لا تشمل صحراوات فحسب، بل تشمل كذلك بقاعاً شديدة الخصوبة، قامت منذ آلاف السنين، وكثرت فيها المدن والقرى الزاهرة، حيث سكانها أقوام مستقرون، وانتشرت هذه الجهات الخصبة على أطراف شبه الجزيرة بصفة خاصة [1].

فأرض نجد المرتفعة التى تقع وسط بلاد العرب، بجبالها المنعزلة ووديانها ذات الجداول الطويلة وسهولها التى تربى عليها أفضل الخيول

---

(١) لمزيد من المعلومات : د. صلاح الشامى : الوطن العربى دراسة جغرافية؛ محمد ولد داداه : جزيرة العرب قبل الإسلام .

العربية، ومعها اليمامة التي تقع في الجنوب الشرقي، تعدان مخزن غلال بلاد العرب الوسطى .

فعلى أثر ذلك ازدهرت في هذه المناطق حضارة راقية من أرقى الحضارات التي عرفها التاريخ، ففي الجنوب الغربي ازدهرت حضارة قامت على أساس الزراعة والتجارة، ولا تزال السدود المنشأة لخزن المياه وتصريفها، والمدن المحصنة، والقصور، والهياكل القائمة في تلك الأصقاع خير شاهد على ما كان يتمتع به أصحاب هذه الحضارة من الصناعة الزاهرة، وما كانوا يتحلون به من النزعة الاجتماعية .

أما حياتهم الفكرية، فيستدل من النقوش التي وصلت إلينا أنه كانت هناك مجموعة من القوانين قد نظمت شئون الملكية العقارية، والزراعية، والتجارية ومعاملات الناس تنظيماً دقيقاً [1].

ولقد تم اكتشاف ألوف من النقوش المدونة باللغة العربية الجنوبية (المسند).

ولقد أشار القرآن الكريم إلى وصف العرب قبل الإسلام بأنهم أميون، قال تعالى ﴿ قل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم ﴾ (آل عمران : ٢٠) وقال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام؛ جويدى إغناطيوس : المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة .

(آل عمران : ٧٥) وقوله تعالى : ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منه ﴾(الجمعة:٢).

ولقد بين الراغب الأصفهانى[١] مفهوم الأمية بقوله: والأمى هو الذى لايكتب ولا يقرأ من كتاب وعليه حمل قوله- تعالى-: ﴿ هو الذى بعث فى الأمين رسولا ﴾. قال قطرب[٢]: الأمية : الغفلة والجهالة .

يتبين لنا أن هذا الوصف للأمية لا يعنى الأمية الكتابية ولا العلمية[٣] إنما يعنى الأمية الدينية، أى أنهم لم يكن لهم قبل القرآن الكريم كتاب دينى، ومن هنا كانوا أميين دينياً، ولم يكونوا مثل أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كانت لهم التوراة والإنجيل[٤] غير أن بعضهم كان على ملة إبراهيم عليه السلام، فكلامنا على التغليب وهناك أناس فى الجزيرة على علم بالأديان وعلى دين إبراهيم الخليل مثل قيس بن ساعدة الإيادى وأمية بن أبى الصلت الذى كانت أشعاره تدعو إلى التفكر والتدبر .

---

(١) مفردات القرآن ص (٢٢) .

(٢) قطرب، هو: محمد بن المستنير، مولى سلم بن زياد، م علماء اللغة. الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين ، (٩٩) .

(٣) د . ناصر الدين الاسد : مصادر الشعر الجاهلى ص ٤٥ .

(٤) د . على الجندى : تاريخ الأدب الجاهلى ، ص ٨ .

وقد بين الطبرى فى تفسيره[1] : أن الأميين من لا كتاب لهم من الناس، مثل الوثنيين والمجوس، ففى قوله تعالى : ﴿ قل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم ﴾ (آل عمران: ٢٠) يعنى بذلك- جل ثناؤه-: وقل يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى، والأميين الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب : أأسلمتم ؟.

فأمية العرب ليست أمية كتابية، وإنما هى أمية دينية، أى جهل بالدين وإنكار له وعدم تصديق، وقد ذهب ابن عباس إلى هذا القول، فقال : ﴿ ومنهم أميون ﴾(البقرة:٧٨)، قال : قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله، ولا كتاباً أنزله الله، فكتبوا كتاباً بأيديهم، ثم قالوا لقوم سفلة جهال : هذا من عند الله. وقال : قد أخبرأنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين؛ لجحودهم كتاب الله ورسوله [2].

وعلى هذا لا يمكن أن نطلق على عرب ما قبل الإسلام اصطلاح أمي بمعنى الجهل بالكتابة، وفى نفس الوقت لا ندعى أن العرب قبل الإسلام قاطبة كانوا قادرين على القراءة والكتابة، وكان لديهم مدارس منتشرة فى كل مكان من جزيرتهم، تعلم الناس القراءة والكتابة والعلوم المعروفة فى ذلك الزمن؛ لأن ذلك لم يكن حتى عند الشعوب المعروفة آنذاك من اليونان والرومان والساسانيين، فالسواد الأعظم من الأمم

---

(١) محمد بن جرير : تفسير الطبرى (١٤٣/٣) .

(٢) المصدر نفسه (٢٥٨/٢) .

جميعها كان جاهلاً، لا يحسن القراءة ولا الكتابة، وإنما عرفت القراءة والكتابة فى الخاصة وفى أصحاب المواهب .

وفى مكة : وجد عدد كبير ممن كان يقرأ ويكتب قبل الإسلام، منهم حرب ابن أمية، وأبو سفيان بن حرب، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة، وعمر بن عدس، وحنظلة بن أبى سفيان، وغيرهم[١].

وكان نافع بن نوفل بن عبد مناف بن قصى القرشى ممن يكتب، وهو الذى كتب لعمر بن الخطاب- رضى الله عنه-، وكذلك حاطب بن أبى بلتعة، الذى كان من الكتاب[٢].

وذكر البلاذرى فى فتوحه[٣].

-(دخل الإسلام وفى قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب : عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح، وطلحة، ويزيد بن أبى سفيان، وأبو حذيفة، وعتبة بن ربيعة، وحاطب بن عمرو أخو سهل بن عمرو العامرى من قريش، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى، وأبان بن سعيد بن العاص بن أمية، وخالد بن سعيد، وعبد الله بن سعيد بن أبى السرح العامرى، وأبو سفيان بن حرب

---

(١) ابن قتيبة : المعارف، ص٥٥٣ ؛ ابن النديم : الفهرست ص١٣ .

(٢) ابن حجر : الإصابة، (٥١٥/٣)؛ ابن سعد الطبقات (٢٩٩/١).

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان (٥٨١/١)؛ د. محمد الوكيل : الحركة العلمية فى عهد الرسول وخلفائه (١٤).

بن أمية، ومعاوية ابن أبى سفيان، وجهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف، ومن حلفاء قريش العلاء الحضرمى) .

ويتبين لنا من هذا العدد الذى ذكره البلاذرى أنهم قليلون جداً، إذ من المحتمل أن يكون البلاذرى قد اقتصر على ذكر أسماء الشخصيات المهمة التى عاصرت الرسول ﷺ ، وأغفل كثيراً من الشخصيات الأخرى. فالمجتمع المكى كان قائماً على التجارة، التى تقتضى معرفة الكتابة والحساب، وقد ذكر القرآن الكريم تعابير كلفظة (كتب، واكتب، ويكتب) وغيرها، وذكر (الكتاب العدول) وهى ألفاظ تدل على معرفة بالكتابة. وإن كانت غير معروفة على نطاق واسع فى مكة المكرمة .

وقد استعان الرسول ﷺ برجال كتبوا له، وكان عددهم اثنين وأربعين كاتباً ومعظمهم من أهل مكة[1].

وكان كتاب -الرسول ﷺ قد وزعوا الأعمال الكتابية فيما بينهم، وربما كان الرسول ﷺ هو الذى وزع تلك الأعمال عليهم، بحيث خص كل واحد منهم بعمل من الأعمال الكتابية، وهذا يدل على معرفة واسعة بالكتابة، وأن هناك اختصاصات حيث يمكن للمرء أن يختص بمعرفة شيء من فنون الكتابة.

والمعروف أن الرسول ﷺ طلب من أسرى بدر من قريش- ممن يعرف القراءة والكتابة- أن يكون فداؤهم تعليم كل واحد منهم عشرة

---

(١) ابن سعد : الطبقات (٢٦٥/١) .

من صبيان المدينة الكتابة والقراءة، وقد علم كل واحد منهم عددا من صبيان المدينة الكتابة بينه[1].

وهكذا نجد أن الكتابة والقراءة كانتا منتشرتين في مكة، وأن عدد من يعرف القراءة عند ظهور الإسلام كان كبيراً[2].

ولم تقتصر معرفة العرب قبل الاسلام على القراءة والكتابة باللغة العربية، إذ كان للعربي معرفة ببعض اللغات المهمة الحية آنذاك، وقد أتقنها بعضهم ونقلوا عنها إلى اللغة العربية، فقد ذكر بعض المصنفات معرفتهم بكتب أهل الكتاب ومعرفتهم بالعبرانية والسريانية. فكان ورقة بن نوفل(يكتب العبراني فيكتب بالعبرانية في الإنجيل ما شاء أن يكتب)[3].

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص كثير العناية بكتب أهل الكتاب[4]، وكان يقرأ بالسريانية[5]، كما أن رجلاً من بني عبد القيس كان يسكن

---

(١) السهيلي : الروض الأنف(٢٤٥/٥).

(٢) ابن قتيبة : المعارق(١٣٠)؛ ابن سعد : الطبقات (١٤/٢)؛ المقريزي : امتاع الأسماع(١٠١/١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي رقم حديث(٤)، ومسلم في كتاب الإيمانرقم حديث(١٦٠).

(٤) أبو نعيم : حلية الأولياء (٢٨٥/١).

(٥) ابن قتيبة المعارف ص (١٢٥).

بالسوس[1] نسخ كتاب دانيال، وكان يقرأه ويفسره للناس، فأمره عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- بترك ذلك[2].

كما أن عدى بن زيد العبادى تعلم الكتابة بالخط العربى، ثم الخط الفارسى، فصار أفصح الناس بالعربية والفارسية، ثم انتقل إلى بلاد فارس فعرف كاتباً بالعربية، وعمل مترجماً فى ديوان كسرى[3].

وتعلم زيد بن ثابت على عهد الرسول- صلى الله عليه وسلم- الكتابة العبرانية[4] والسريانية والفارسية والرومية، والقبطية، والحبشية، وتعلم ذلك من أهل هذه الألسن[5]، وهذا يدل على أن الحياة العلمية لم تقتصر على اللغة العربية، بل تعدى ذلك إلى اللغات المعروفة آنذاك .

إن تطور اللغة العربية والخط العربى وكثرة من يعرف الكتابة والقراءة لابد أن يصاحبه وجود من يقوم بتعليم هذه اللغة؛ لذا فوجود المعلمين عند العرب قبل الإسلام أمر ثابت على الرغم من قلة من ذكر من أسماء المعلمين .

لقد ذكر محمد بن حبيب قائمة بأسماء أشراف المعلمين قبل

---

(١) السوس : بلدة بخورستان، فيها قبر دانيال النبى عليه السلام ياقوت الحموى : معجم البلدان (٣١٩/١).

(٢) الخطيب البغدادى : تقييد العلم ص(٥١).

(٣) الأصبهانى : الأغانى (١٠١/٢).

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان (٥٨٩/١) .

(٥) المسعودى : التنبيه والإشراف (٣٤٦/١).

الإسلام؛ منهم عروة بن زرارة وكان يسمى كذلك الكاتب، وغيلان بن سلمة بن معتب الذى أسلم يوم الطائف، وبشر بن عبد الملك السكونى أخو أكيدر صاحب دومة الجندل، وسفيان بن أمية بن عبد شمس، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة [١]، وعبد الله بن سعيد بن العاص بن أمية الذى كان يعلم الصبيان فى مكة، فأمره الرسول-صلى الله عليه وسلم- أن يعلم صبيان المدينة[٢].

وعلى الرغم من أن مصادرنا تذكر أسماء عدد من المعلمين، إلا أننا لا نعرف هل كان المعلم متفرغاً للتعليم، أو أنه كان يجمع بين مهنته الأصلية ومهنة التعليم؟ كما لا نعرف كم كان يتقاضى المعلم من أجور؟ ويظهر أن بعض المعلمين اتخذوا من حرفة التعليم مهنة ثانوية لهم، بينما كانوا يمارسون حرفاً أخرى ليتمكنوا من إعاشة أنفسهم، كما أن هناك من اتخذ التعليم مهنة رئيسية له .

ويظهر أن واجبات المعلم الأساسية هى تعليم الخط والقراءة والكتابة وبعض المبادئ الأخرى مثل علم الحساب وذلك للحاجة اليومية إلى ذلك، ولا سيما فى مكة، حيث المجتمع التجاري .

هذا ولا نعرف شيئاً عن المدة التى كان يمكثها المتعلم لكى يتقن

---

(١) ابن حبيب : المحبر (٤٧٥/١).

(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب (٧٣/١).

الكتابة، لأن ذلك يختلف باختلاف القدرات والملكات، والمتعلمون متفاوتون في ذلك .

وهناك إلى جانب وظيفة المعلم، وظيفة الكاتب وهو الذى يختص بكتابة الرسائل والأمور التجارية والمعاملات بين الناس .

فكان لقيط بن يعمر الإيادى كاتباً، وكذلك زيد بن عدى بن زيد العبادى .

كما سمي حنظلة بن الربيع كاتب الرسول -صلى الله عليه وسلم- (الكاتب) حتى عرف بـ (حنظلة الكاتب) .

أما المواد التى كان يكتب عليها فعديدة أيضاً، تتوقف على ظروف المكان، ومقدرة أهله المالية .

فيذكر منها مثلاً: الحجر، والخشب، ومختلف المعادن، والطين، وورق الشجر، والجلود، والقراطيس، وأكتاف الإبل، واللخاف، والعسب، والأديم، والقماش، والأكتاف، والرق[1].

---

(١) د . ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلى، ص (٧٧ وما بعدها) .

المبحث الثانى

موجز للحياة العلمية بمكة فى الصدر الأول من الإسلام

إن المعلومات التى جاءت عن الحياة العلمية فى مكة فى عصر النبوة والراشدين، وإن كانت مشتتة إلا أنها واضحة، بسبب عناية المؤرخين المسلمين بهذه الفترة وتقييدهم لأخبار السيرة النبوية، وأخبار الخلفاء الراشدين بالتفصيل، لما تمثله من أهمية دينية وتشريعية .

ولقد جاءت معلومات متناثرة تفيد معرفة أفراد العرب فى مكة والحجاز بالكتابة والقراءة والحساب، كما ذكرنا فى المبحث السابق، حيث استدعت ذلك ضرورات الحياة، وخاصة فى المجتمع المكى التجارى .

ولا ريب أن أسماء المتعلمين التى أوردتها المصادر لا تمثل إحصاء دقيقاً، ولكن ينبغى ألا يبالغ فى تصور انتشار التعليم على نطاق أوسع مما أوردت؛ لأن قلة عدد المتعلمين هى التى استرعت انتباه الإخباريين لذكر أسمائهم[1] .

لقد قامت الحركة العلمية فى عصر النبوة والراشدين على أكتاف رجال يعدون على أصابع اليد، ولكن الحافز الدينى القوى- الذى جعل

---

(١) د . أكرم ضياء العمرى : التعليم فى عصر السيرة والراشيدين، ص ٦١ .

الأمة تحدد أهدافها وتوحد قواها- أوجد وسطا ملائماً لانتشار العلم وبعد زمن يسير ظهرت آثار هذه الحركة في إبراز الطاقات الكامنة، فإذا بأعداد هائلة تعنى بالفكر والعلم، وتظهرالقدرة والإبداع في ميادين شتى، فتسهم في بناء الصرح الثقافي والحضارى الجديد .

ولا شك في أن الانسجام العقيدى والفكرى والاجتماعى، ووضوح الرؤية بتحديد الأهداف العامة للدولة والمجتمع، كان له أثر كبير في الحركة الثقافية العامة، لمواكبة التقدم العسكرى والسياسى، وحل المشكلات الجديدة في الدولة الواسعة .

فتحديد وجهة العلم وأهدافه لأول مرة كان من معطيات عصر النبوة والراشدين، وقد أدت الحوافز القوية والضوابط الجديدة إلى انتشار العلم والتعليم بسرعة خارقة، لا تقل دهشة الإنسان أمامها عن دهشته إزاء سرعة الفتوح العسكرية .

لقد أعاد الإسلام صياغة شخصية الإنسان، ففجر طاقاته الإبداعية الكامنة من أجل العلم والعمل لبناء حضارة إنسانية متوازنة، وكانت نظرية المعرفة الإسلامية بشمولها وتكاملها واتساقها وسيلته لإحداث التغير الجذرى في كيان الإنسان وبنية المجتمع، تلك النظرية التى غرس القرآن بذرتها وعبرت عنها " السنة " في فجر تاريخ الإسلام .

وما إن أشعلت الدولة الفتيل حتى انطلقت الحركة العلمية بحيث أصبح لا قبل للدولة باحتواء مؤسساتها أو الإشراف عليها .

وهكذا تحولت الحركة العلمية إلى كتاتيب وحلقات علم، ومجالس في المساجد وفي دور العلماء، وظهرت جذور المدارس الفكرية المتنوعة متمثلة في مدرسة أبى موسى الأشعرى في القراءات في البصرة، ومدرسة عبد الله بن مسعود في الفقه في الكوفة، ومدرسة عبد الله بن عباس في التفسير بمكة، والمدرستين البصرية والكوفية في النحو.

الحركة العلمية في مكة قبل الهجرة:

كانت دار الأرقم بن أبى الأرقم مكان اجتماع المسلمين في مكة، يوم أن كانت أعدادهم قليلة، يتسربون إليها خلسة خوفاً من قريش، حيث يلتقون بالرسول ﷺ، ويتعلمون منه أمور دينهم، ويتلقون عنه ما ينزل من القرآن [1].

ومن المعروف أن نفراً منهم كان يعرف الكتابة في هذه المرحلة المبكرة، فدون بعض سور القرآن الكريم، ومما يروى أن عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- اطلع على صحيفة فيها صدر سورة طه فتأثر عند قراءتها وأسلم.

وهذا الخبر يفيد معرفة عمر- رضى الله عنه- القراءة في المرحلة المكية [2]، ومعرفة خباب- رضى الله عنه- وهو الذى كان يقرأ الصحيفة

---

(١) ابن هشام : السيرة (١/٢٥٣) حاشية(١)، الحاكم : المستدرك (٣/٥٠٢-٥٠٣).

(٢) المصدر نفسه : (١/٣٦٧) ومابعدها.

على فاطمة أخت عمر وزوجها سعيد بن زيد- رضى الله عنهما- القراءة .

وكان عبد الله بن مسعود أول من علم القرآن بمكة[1].

ولا شك أن ظروف المسلمين الصعبة، ومواجهتهم العنيفة مع قريش، كانت تقف حائلاً أمام توجيه معظم اهتمامهم للتعليم، إذ إن الاستقرار وهدوء البال يساعدان على انشاره. كما أن الحاجة العلمية للدعوة الإسلامية- في بدايتها- كانت محدودة .

وكان في المسلمين الأوائل عدد من المتعلمين .

المسجد الحرام :

كما ذكرنا كان الرسول ﷺ يعلم أوائل المسلمين تعاليم دينه الحنيف في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وقد كانت تلك الدار أول مدرسة في تاريخ الإسلام[2]، كذلك كان الرسول ﷺ يلتقي مع أتباعه في داره إلى أن نزل قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ﴾ (الأحزاب:٥٣) .

ومع أن المقصود في الآية الكريمة بيت رسول الله- صلى الله عليه

---

(١) ابن سعد : الطبقات (١٥١/٣) .

(٢) ابن هشام : السيرة (٢٥٣/١) .

وسلم- إلا أن المسلمين فهموا أنه يستحسن عدم اتخاذ البيوت عامة مقراً للتدريس؛ لذلك أصبح المسجد مقراً للتدريس[١] .

فالمسجد في الإسلام ليس مكاناً للصلاة وحسب، بل هو مدرسة أيضاً، كما أنه مكان للعبادة، ولكن علينا أن نفهم أن العبادة ليست مجرد شعائر، بل إنها إيمان وعمل وعلم وخلق .

فالمسجد مركز للتدريب على الانقياد للمبادئ الإسلامية .

والمسجد هو مدرسة للمسلمين يتعلمون فيها كل ما ينفعهم من أمور دينهم ومصالح دنياهم ويعد المسجد مركزاً للتوجيه الفكرى والأخلاقى والتربوى والاجتماعى[٢] وهو بيت الأتقياء ومكان اجتماع المسلمين يومياً ومركز مؤتمراتهم، ومحل تشاورهم وتناصحهم، والمنتدى الذى فيه يتعارفون ويتآلفون وعلى الخير يتعاونون، فمن المسجد خرجت الجيوش الإسلامية ففتحت مشارق الأرض ومغاربها، ومن المسجد تخرج العلماء والفقهاء والمحدثون والقراء والمفسرون وغيرهم من العلماء، فهو بمثابة الجامعة المفتوحة الأبواب .

ومن مزايا المسجد- كمدرسة- تكافؤ الفرص التعليمية للجميع، فالمسجد مفتوح لجميع المسلمين لا فرق بين غنى أو فقير، صغير أو كبير؛

---

(١) د . أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلاميةص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) محمد حسين الذهبى : رسالة المسجد فى العالم عبر التاريخ (بحوث مؤتمر رسالة المسجد) ص(٤٥٧ - ٤٦٠) .

لذا فإن أى مسلم يمكنه أن ينضم للحلقة التى يريد بدون قيد أو شرط.

كذلك فإن التعليم فى المسجد يقوم فى أساسه على مراعاة الفروق الفردية، إذ لا تفرض على الطالب مادة دون أخرى، ولكن الطالب يختار الشيخ الذى يريد والموضوع الذى يرغب؛ فينتقل الطالب من حلقة لأخرى حسبما تمليه عليه رغبته، حتى يستقر به الأمر فى النهاية مع الاتجاه والموضوع والشيخ الذى يلائم استعد اداته وميوله. كل هذه المزايا جعلت المسجد يخرج القادة والعباقرة[١] .

وكانت مكة والمدينة مركزين هامين من مراكز العلم فى الدولة الإسلامية .

وبعد فتح مكة عين الرسول ﷺ معاذ بن جبل ليعلم الناس دينهم الجديد ويفقه أهلها ويعلمهم الحلال والحرام ويقرئهم القرآن [٢] .

فوضع النبى ﷺ اللبنات الأولى لنهضة علمية قلما تتوفر لشعب من الشعوب وفى عهد من العهود بمثل هذه السرعة الفائقة[٣].

وكان عهد الخلفاء الراشدين امتداداً واضحاً للعصر النبوى فلا غرابة أن يكون مد الحركة العلمية فيه مسايراً لكل ما يجد من فتوح وتطور[٤].

---

(١) محمد المجذوب رسالة المسجد قديماً وحديثاً مؤتمر رسالة المسجد ص٦٩٢ .

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام ص(١٧٣) .

(٣) د . محمد الوكيل : الحركة العلمية وعصر الرسول وخلفائه ص(٣٨ – ٣٩) .

(٤) المرجع نفسه ص(٤٣) .

وأصبح المسجد الحرام يزدحم برجال الحديث والقراء، وفى العهد الأموى كثرت رحلة العلماء لمكة المكرمة، ولعل العلماء اتجهوا شطر مكة لبعدها عن الفتن السياسية .

وكان الصحابى عبد الله بن عباس- رضى الله عنهما- حبر هذه الأمة من أبرز من اتخذ مكة مقراً له .

وكان والياً على البصرة فى خلافة على- رضى الله عنه- وبعد أن انتقلت مقاليد الحكم لمعاوية ابن أبى سفيان، ترك العراق ورجع إلى مكة، وأخذ يلقى دروسه فى المسجد الحرام عند قبة زمزم على يسار الداخل إليها [١].

وأخذ يعلم الناس التفسير والحديث والأدب والمغازى والسير وأيام العرب .

ويصف السباعى هذه المدرسة، فيقول : وظلت هذه المدرسة- أى مدرسة ابن عباس- تؤدى وظيفتها بأقوى ما تؤديه المدارس الحية، وتنتقل معارفها من طبقة إلى أخرى، ومن جيل ليسلمه إلى آخر .

ويرى الأستاذ أحمد على[٢] : أن ما اتبعه ابن عباس فى توزيعه الدروس على أيام معلومة يعتبر أساساً لجدول الدروس الأسبوعى، فقد كان جدول دروسه كالتالى :

---

(١) الأزرقى : أخبار مكة (٥٩/٢)، احمد السباعى: تاريخ مكة (١-١١٦) .

(٢) مجلة الحج : السنة الخامسة عشرة: الجزء الثانى ١٦ شعبان ١٣٨٠ هـ .

اليوم الأول : فقه .

اليوم الثانى : تفسير .

اليوم الثالث : تاريخ الإسلام .

اليوم الرابع : أدب.

اليوم الخامس : تاريخ ما قبل الإسلام .

ولم يكن العلماء يتقاضون راتباً من الدولة لقاء الدروس التى يقومون بتدريسها فى المسجد الحرام، وكذلك فإنهم كانوا لا يأخذون من الطلبة راتباً أو صدقة أو زكاة؛ لأن تعليمهم كان لله وفى سبيل الله [١] .

وكل عالم يلقى على طلبته العلوم التى تبحر فيها، وعليه فإنه لم يكن لكل منهم منهاج مقرر يسير عليه فى تدريسه .

فالدراسة فى الحرم لم تسر وفق مناهج مقررة ومحددة؛ إذ إن المدرس هو الذى يقرر ما يريد تدريسه، والطالب يختار المدرس الذى يلائمه، وعندما يستوعب دروس أستاذه يحصل منه على إجازة التدريس فى ذلك الموضوع، وغالبا ما يحصل الطالب على إجازات من عدة مدرسين[٢].

---

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله: تاريخ التعليم فى مكة المكرمة ص (٣٩) .

(٢) لطيفة محمد البسام : الحركة العلمية فى الحجاز من ظهور الإسلام إلى قيام الدولة العباسية ص (١٥٤)

لم تقتصر فائدة الدروس التي كانت تلقى بالحرم على المكيين أنفسهم، بل نهل من هذه المدرسة علماء من شتى ديار المسلمين، وكانت ترد إلى المشاهير من علماء الحرم أسئلة من المدن والأقطار المجاورة، وكانوا يتولون الرد عليها .

المبحث الثالث

الحياة العلمية بمكة المكرمة والمسجد الحرام

قبيل وأثناء فترة البحث

لاشك بأن اللبنات الأولى التي وضع أساسها الرسول ﷺ للنهضة العلمية ومن جاء بعده من الخلفاء كان لها أثر كبير في النهضة العلمية بمكة المكرمة فيما بعد.وكذلك المكانة الروحية التي تمتعت بها مكة المكرمة جعلت عددا كبيراً من المسلمين يفدون إليها فهي أشبه بالبوتقة التي يجتمع بها العلماء والمفكرون الوافدون إليها من شتى أقطار العالم الإسلامي فيتدارسون فيما بينهم ويعقدون حلقات العلم التي أصبحت تغص بطلاب العلم وكانت اسطوانات وسواري المسجد الحرام مستنداً لظهور العلماء والفقهاء والأدباء والمحدثين والمفسرين وكان الطلاب يتحلقون حولهم وينهلون من علمهم وفقههم[١].

وقد وصف ابن جبير في رحلته إلى مكة الحلقات العلمية التي كانت تعقد في المسجد الحرام حيث قال :" والحرم محدق بحلقات المدرسين وأهل العلم "[٢]وكانت هناك أماكن داخل المسجد الحرام تعقد فيها الدروس العلمية مثل زمزم وقبة الشراب[٣].

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة ص (١٢٧).

(٢) ابن جنيد : الرحلة ص (٦٨) .

(٣) الفاسي: العقد الثمين (٣/١٠٥-١٠٦) .

وكانت هذه الأماكن وغيرها تعج بالكثير من الطلاب والمدرسين والعلماء الذين قدموا إلى مكة للاستفادة والدراسة على أيدى علمائها وفقهائها فكان لكل هؤلاء دور كبير فى النهوض بالحركة العلمية وكانت مكة المكرمة محطة لمرور العلماء القادمين من شتى الأقطار الإسلامية فقلما نجد ترجمة لأى عالم من علماء المسلمين فى تلك الفترة إلا وقد ذكر أنه جاور أو مر بمكة المكرمة ليتلقى العلم بها أو ليحصل على إجازة علمية من أحد علمائها.

وكان المسجد الحرام كذلك مقراً ومكاناً لإلقاء المحاضرات والنشاطات الثقافية التى يشارك بها كبار العلماء الوافدين إلى مكة فكل عالم يلقى محاضرة فى المجال الذى كان متخصصاً فيه، وشهدت ساحات المسجد الحرام كثيراً من هذه المحاضرات والخطب الدينية والثقافية [(١)].

وهكذا كان للمسجد الحرام فى تلك الفترة التى نحن بصدد الحديث عنها دور علمى كبير لم تقتصر فائدته على المكيين أنفسهم بل نهل من هذه المدرسة علماء من شتى البلدان الإسلامية .

ولقد انتاب النشاط العلمى بعضاً من الفتور خلال ثلاثة قرون من

---

(١) الفاسى : المصدر نفسه (٥٢/٢)، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب(١٤٨/٤)، الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج ص (١١٦) .

القرن الرابع حتى القرن السادس الهجرى[1] ويبدو أن المتحكم فى ذلك الفتور هى الأوضاع السياسية التى تتحكم بدورها بقلة أو كثرة العلماء وطلبة العلم القادمين إلى مكة المكرمة وهجرة وتفرق أعلام مكة فى البلدان الإسلامية، وقد اشتهرت بعض الأسر بمكة بطلب العلم مثل بيت الطبرى وآل ظهيرة وآل النويرى الذين كانوا يتولون التدريس والإمامة والخطابة بالمسجد الحرام وأمور الفتوى، واستمر هذا الوضع فى عهد المماليك حيث استمرت البيوت المشهورة بالعلم تنشر العلم بين طلابه سواء فى الحلقات العامة فى المسجد الحرام أو فى بيوتها الخاصة وتوافد عدد كبير من طلبة العلم ونتج عن ذلك كثرة عدد العلماء ومما زاد فى الحركة العلمية تشجيع بعض أمراء مكة على النهوض بالحركة العلمية من خلال المجالس العلمية التى كانوا يقيمونها للعلماء وطلبة العلم [2] وقد تمخض عن ذلك بروز شخصيات علمية بمكة المكرمة فى شتى المجالات ومنهم تقى الدين محمد بن أحمد الفاسى(ت٨٣٢هـ) والشيخ نجم الدين ابن فهد (ت٨٨٥هـ) وابنه عبد العزيز(ت٩٢٢هـ) وثلاثتهم من كبار مؤرخى مكة كما اشتهر الشيخ مجد الدين بن يعقوب

---

(١) السباعى : تاريخ مكة (٢١٧/١) .

(٢) العبيكان : الحياة العلمية والاجتماعية فى مكة ص (٥٧) .

الفيروز آبادى صاحب القاموس وقد ألف كتابه القاموس فى منزله بمكة المكرمة بجوار الصفا[١].

ومنذ الربع الأخير من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى ظهرت بمكة المكرمة مؤسسة تعليمية أخرى بجانب المسجد الحرام ألا وهى المدرسة وعلى الرغم من أن ظهورها بمكة جاء متأخراً عن كثير من البلدان الإسلامية الأخرى إلا أنها أسهمت بشكل كبير فى النهوض بالحركة الثقافية بمكة المكرمة حيث اهتمت بتدريس العلوم الدينية كالحديث والتفسير والفقه وعلوم التصوف والعلوم العربية وتسابق الحكام والأمراء والسلاطين والأمراء والأعيان إلى بنائها.

وأقدم مدرسة أنشئت بمكة هى مدرسة الأرسوفى وقد أمر بإنشائها أحد تجار المسلمين ويدعى عبد الله بن محمد الأرسوفى[٢]. ولا يعطينا الفاسى تاريخاً محدداً لإنشائها فهو يذكر فى موضع أن ذلك قد تم عام ٥٧١هـ/١١١٥ م[٣] بينما يشير فى مكان آخر إلى أن إنشاء المدرسة تم فى

(١) السباعى : تاريخ مكة ص (١/٣٢٧).

(٢) عبد الله بن محمد بن عبد الله الملقب بلعفيف والمعروف بالأرسوفى نسبة إلى مدينة أرسوف بالشام، توفى سنة ٥٩١هـ ١١٩٤م. انظر الفاسى: العقد الثمين(٥/٢٤٧).

(٣) الفاسى : شفاء الغرام (١/٣٣٦).

عام ٥٩١هـ[١] وممن درس بها ناصر بن عبد الله المصرى المتوفى سنة ٦٣٤هـ[٢] .

ثم تابع الخلفاء والسلاطين فى القرنين السابع والثامن الهجرى ما بدأه أسلافهم من بناء المدارس، وإلى جانب المدارس كانت هناك مؤسسات تعليمية أخرى مثل الأربطة التى بناها الخلفاء والسلاطين والأعيان وأصبحت أبوابها مشرعة للعلماء وطلبة العلم للسكن بها وإيواء من لا مأوى له وشجع ذلك على توافد عدد غير قليل من طلبة العلم والعلماء إلى مكة المكرمة وأصبح للأربطة دور فى الحركة العلمية والتعليمية بمكة المكرمة فى القرنين السابع والثامن الهجريين[٣].

ولا شك بأن هذه النهضة العلمية الكبرى فى تلك الفترة التى أشرنا إليها لم تأت من فراغ وإنما كانت بجهود بعض الخلفاء والسلاطين والأعيان والتجار الذين كان لهم دور واضح فى هذه النهضة العلمية، وهذا ما سنوضحه فى الفصلين الرابع والخامس من هذا البحث .

---

(١) الفاسى : العقد الثمين (١٢٢/١).

(٢) الفاسى : المصدر نفسه (٣١٧/٧) وهذا ما سنتحدث عنه إن شاء الله فى الفصلين الرابع والخامس فى هذا البحث .

(٣) العبيكان : الحياة العلمية والاجتماعية ص (٦٦) .

الفصل الثانى

مقومات البيئة العلمية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العوامل المؤثرة فى البيئة العلمية .

(أ) العامل الدينى .

(ب) العامل الجغرافى.

(ج) العامل الاجتماعى .

(د) العامل السياسى .

(هـ) العامل الاقتصادى .

المبحث الثانى: الحج .

المبحث الثالث: الأسواق .

المبحث الأول

العوامل المتحكمة فى البيئة العلمية

أولاً : العامل الدينى (الاعتقادى)

إن المسلم المتدبر لكتاب الله تعالى يجد أن العلم والدين كليهما موجودان فى الفطرة بلا تعارض ولا تضارب .

فالعلم يهدى إلى العقيدة الصحيحة كما أن العقيدة الحقة تحث على طلب العلم، والله سبحانه وتعالى أودع فى النفس البشرية- منذ أن خلقها- الفطرة السليمة، قال تعالى: ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (الروم:٣٠) .

كما أن الله تعالى أمد الإنسان منذ النشأة الأولى بالعلم؛ قال تعالى:﴿وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ (البقرة :٣١) .

وقال تعالى :﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق. إقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (العلق:١-٥).

فهذه العقيدة أثرت فى إعلاء مكانة العلم لدى المسلمين .

وكان لمكة الدور القيادى فى نشر العلم، والدور الريادى فى الدعوة الإسلامية، وذلك لمكانتها فى قلوب المسلمين.

فقال الله تعالى في بيته المعظم: ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين. فيه ءايات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ (آل عمران:٩٦-٩٧).

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره[1] : يخبر الله تعالى أن أول بيت وضع للناس أى لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده الذى (ببكة) يعنى الكعبة التى بناها إبراهيم الخليل- عليه السلام- انتهى .

وعند البخارى[2] عن أبى شريح العدوى أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لى أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح، سمعته أذناى، ووعاه قلبى، وأبصرته عيناى حين تكلم به : أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : " إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجراً، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا له : إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما أذن له فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتهابالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب".

---

(١) تفسير ابن كثير(١/ ٣٨٢) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب العلم (١٠٤)، ومسلم (٢/ ٩٨٧) كتاب الحج: (١٣٥٤) .

والمسجد الحرام هو الذى قال فيه النبى ﷺ "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى"[١].

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال :"صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام "[٢].

قال الحافظ فى الفتح[٣] : واستدل بهذا الحديث على تفضيل مكة على المدينة؛ لأن الأمكنة تشرف بفضل العبادة فيها على غيرها مما تكون العبادة فيه مرجوحة، وهو قول الجمهور، ثم نقل عن ابن عبد البر قوله: ورد فى فضل مكة حديث أبى سلمة عن عبد الله بن عدى بن الحمراء قال : رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحجون، فقال:" والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت ". قال: وهو حديث صحيح أخرجه أصحاب السنن، وصححه الترمذى[٤].

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة (١١٨٩)، ومسلم (١٠١٤/٢) وكتاب الحج (١٣٩٧) من حديث أبى هريرة .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة، (١١٩٠)، ومسلم (١٠١٢/٢) وكتاب الحج (١٣٩٤).

(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى (١٩٠/٣) .

(٤) أخرجه أحمد (٣٠٥/٤) وعبد بن حميد (٤١٩) والترمذى (٢٠٧/٦-٢٠٨) أبواب المناقب (٣٩٢٥) والنسائى فى السنن الكبرى (٤٧٩/٢): كتاب الحج :(٤٢٥٢)- وابن ماجه (٥٤٢/٤): كتاب المناسك (٣١٠٨)، وابن حبان(٣٧٠٨)والحاكم (٧/٣)، وابن البر فى التمهيد (٢٨٨/٢).

قال ابن عبد البر : هذا نص في محل الخلاف فلا ينبغي العدول عنه.انتهى.

فكل هذه العناصر قد تجمعت في تشكيل العامل الديني المتحكم في مقومات البيئة العلمية لدى المسلمين، بإضافة البعد العلمي .

ثانياً: العامل الجغرافي:

يتضمن العامل الجغرافي : البيئة الطبيعية بسماتها ومكوناتها التي تؤثر في الإنسان وتتأثر به، ويضم أيضاً الموقع، والمناخ، وإلى أي مدى يؤثر هذا المناخ والموقع في الطبيعة البشرية .

فإن الله تعالى قد اختار لمكة المشرفة موقعاً متميزاً، في وسط المعمورة [١]، فهي مدينة في واد، والجبال مشرفة عليها من جميع النواحي[٢].

ويقول صاحب الرحلة الحجازية[٣] : يقع على الجانب الشمالي لمدينة مكة (جبل ناقية) على مسافة ستة عشر منزلا(مرحلة)، وعلى البعد منه شمالاً تقع أراضي الشام، وفي الجانب الغربي وعلى مسافة ثمانية عشر منزلا يتم الوصول إلى المويلح، وما بعدها مشاع لأراضي مصر .

---

(١)حسين كمال : الإسقاط المكي للعالم، مجلة الدارة، السنة السابعة، محرم(١٤٠٢هـ) ص١٦.

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان (٢١٧/٤).

(٣) أوليا جلبي: الرحلة الحجازية ص ١٩٩.

وعلى الجانب الغربي، وعلى بعد مسيرة اثنى عشرة ساعة تقع جدة على شاطئ البحر، وما بين الجنوب والشرق طريق مسيرته أربعة أيام، وهو مشاع لليمن، وفي الموقع الذى يقع عليه والمسمى (يلملم) يحرم حجاج بلاد اليمن، وفي الجانب الشرقي، وعلى بعد عشرة مراحل، وعند الوصول إلى (نهر القاع) أى عند الوصول إلى نهر دجلة تكون حدود كل من لحسا، والبصرة .

وفي الاتجاه نحو الشمال الشرقي تقع بلاد أهل السيدة زبيدة، زوجة الخليفة هارون الرشيد، وهي على بعد مسافة ست أو سبع مراحل، وهي مناطق بساتين بغداد، وعلى الطرف الشمالي لمدينة عباس تمتد أرض الله الواسعة، صحراء بيداء ممتدة، وحتى نهر الفرات، وعند الوصول إلى قلعة (آناخ)، وقلعة (سلمى)، وقلعة (الحلة)، والكوفة تقع في صحراء (التيه) وهي تيه بلا حدود، انتهى .

فهي (مكة المكرمة) تقع في منصف طريق القوافل بين اليمن والشام، في واد من أودية تخوم جبال السراة، تحفه الجبال الجرداء من كل جانب، وقد وصفها الله تعالى بقوله : ﴿ بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ﴾ (إبراهيم:٣٧).

لأن هذه الجبال تحيط بالوادى إحاطة كاملة، ليؤدى المسلمون فيها مناسكهم في كل فصل من فصول السنة .

أما موقعها من الكرة الأرضية من حيث خطوط الطول والعرض: فهي تقع عند ملتقى دائرة عرض(٢،٢٢) شمالاً مع خط طول (٨،٣٩) شرقاً، وعلى الدرجة (١٨، ٢١) من العرض الشمالي، و(٣٧ ، ٥٤) من الطول الشرقي .

وبما أن جبالها متفاوتة في الارتفاع، فمن الخطأ إذن أن نعطي رقماً واحداً ليدل على ارتفاعها عن سطح البحر .

وإليك ارتفاعات بعض الأماكن عن سطح البحر [١] :

ارتفاع المعابدة : (٣١١) متراً.

ارتفاع جرول : (٢٧٨) متراً .

ارتفاع جبل أبي قبيس : (٤٢٠) متراً .

ارتفاع قعيقعات (جبل هندى) : (٤٣٠) متراً .

أما الموقع الفلكي للكعبة المشرفة : فهي تقع على خط عرض (١٩،٢١) وخط طول (٣٩ ، ٣٦) شرقاً، وترتفع عن سطح البحر (٣٠٠) متراً .

أما من ناحية المناخ : فهي ليست من أشد بقاع الأرض حرارة، وليست باردة، وهي شفا، وليست ساحلاً، ولا هي شديدة الجفاف، ولا رطبة، وليست كثيرة الأمطار، ولا قاحلة .

---

(١) محمد طاهر الكردى : كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (٢٩/١).

يقول ياقوت[1] : وهى (مكة) حارة فى الصيف، إلا أن ليلها طيب، وقد رفع الله عن أهلها مؤونة الاستدفاء، وأراحهم من كلف الاصطلاء، انتهى.

وهذه العناصر الجغرافية المتمثلة فى وسطية الموقع، واعتدال المناخ، والحدود التى رسمتها الجبال قد جعلت لهذه البقعة ميزات تؤهلها لأن تكون عاصمة علمية، وتصلح لأن يجتمع فيها المسلمون فى كل فصل من فصول السنة .

ثالثاً : العامل الاجتماعى :

ويشتمل هذا فى التركيب الاجتماعى واللغة والكثافة السكانية .

فالتركيب الاجتماعى لأفراد المجتمع يؤثر فى الحياة العلمية؛ فالبلاد التى تكون مجتمعاتها من أجناس وأعراق مختلفة غير متجانسة يحدث بها النزاعات العرقية، الى تؤدى إلى الاضطراب وعدم الاستقرار، فى الحركة العلمية وتطورها أكثر ما تحتاج إلى الاستقرار.

فالاختلافات العرقية تؤدى إلى اختلاف اللغات وبالتالى تختلف المفاهيم والفلسفات، والعادات والتقاليد والأعراف، وكل هذه من المركبات الأساسية للحياة العلمية .

واللغة هى أهم عامل فى شخصية الأمة، وهى دعامة الثقافة بها،

---

(١) الحموى : معجم البلدان (٢١٨/٤) .

ولكل مجتمع لغته القومية التى تتخذ للتعبير والاتصال ويتوارثها الأبناء عن الآباء، ويلعب التكوين اللغوى دوراً هاماً فى الحياة العلمية، فاللغة وعاء الفكر .

وأما الكثافة السكانية، والتى تصل أحياناً إلى ذروتها فيطلق عليها الانفجار السكانى، وهو قد يمثل مشكلة اقتصادية تؤثر على الحياة العلمية.

فسكان مكة الأصليون من قريش، وهناك بعض القبائل التى نزحت إلى مكة، فنالت من قريش حسن الجوار، فاستقر بهم الحال، وامتزجوا بأبناء قريش .

ويقول الطبرى صاحب الأرج[1] : وهناك من القرشيين الأوائل من خرجوا مع الفتح الإسلامى إلى الشام والعراق، واستقروا فى هذه الأمصار، ولم يبق من القرشيين الأصليين فى مكة إلا القليل، أضف إلى ذلك بعض العائلات القرشية التى سكنت بوادى فاطمة، والطائف، وماجاورهما حيث كانوا يشتغلون بالزراعة، انتهى .

وأما الأمراء فمن الأشراف وهم من بنى الحسن بن على بن أبى طالب، وقد اتصفوا بحسن معاملة الوفود والمجاورين المقيمين فى مكة وكانوا متصدرين لفض المنازعات، وكانوا يميلون دائما إلى الصلح

---

(١) نقلا عن فؤاد عبد الحميد : كتاب الحج والطوافة ص ١٦٠ .

ووضعوا قوانين مشددة[١] وكانوا يشاركون أهل مكـة أعيادهم وأفراحـهم وأحزانهم [٢].

أما المجـاورون : فهم الذيـن يـأتون من جميـع الأمصـار الإسـلامية للحـج، ويجـاورون البيـت الحـرام، وأيضـاً طلبـة العلـم الذيـن يلازمـون المسجد للـدروس[٣] ، والتجـار الـذي يمارسـون التجـارة فـي المواسـم التجارية، وكانوا يمثلون جنسيات مختلفة من شتى الأقطار الإسلامية .

وبطـول المقام ومجـاورة المسجد الحـرام، والـتزاوج فيمـا بينـهم، انصـهر المجاورون الذين يفدون كل عام مع السكان الأصليين، واتصـل بقاؤهم بشئون أساسـية لهـم، أهمـها التجـارة، وطلـب العلـم، ومجـاورة المسـجد الحرام[٤] ، ولا شك بأن ذلك التمازج ترك بصماته على المجتمع المكـى وأدى إلى تحسين أحوال مكة الاجتماعية والعلمية والثقافية[٥].

فأدى ذلك إلى الاستقرار فى التركيبة السكانية .

أما اللغة : وهى أساس الاستقرار الحضارى فى مكة وشعابها ووديانها،

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام، (٢/١٩٠) .

(٢) د . سليمان مالكى : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف (١٠٩) .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم (٩/١٣٣) .

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان (٨/٢١٩) .

(٥) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص (١٥٠-١٥١) .

فقد كانت تعمل على تجميع أفراد المجتمع المكى سواء الأصليين أو المجاورين، وتقريبهم وتوطد أواصرهم .

فهذه العناصر التى تمثل العامل الاجتماعى ساعدتِ على تكوين بيئة علمية، أساسها الاستقرار .

رابعاً : العامل السياسى :

العامل السياسى يؤثر فى الحياة العلمية ومقوماتها من ناحيتين :

إحداهما : الأيديولوجية السياسية، وهى الظروف السياسية الدائمة التى يعيشها المجتمع .

والناحية الثانية : الظروف السياسية المؤقتة التى تفرض نفسها على المجتمع .

والأيديولوجية السياسية : هى مجموعة من الأفكار التى تضع الأساس لنظام سياسى واجتماعى معين ويصعب فصلها عن النظرية الاقتصادية والاجتماعية، التى بالتالى تؤثر على البيئة العلمية .

ففى مكة ومع فجر الإسلام طرأ عليها تطور جذرى، وذلك لأن مكة بعد أن كانت مقصد العرب وحدهم أصبحت مقصد المسلمين من شتى بقاع الأرض، يفد إليها فى موسم الحج الآلاف من سائر أقطار المعمورة.

فبعد فتح الرسول ﷺ لمكة، ولى عليها عتاب بن أسيد الذى امتدت ولايته حتى آخر خلافة أبى بكر الصديق [١].

وبقيت مكة طيلة عهد الراشدين تدار من قبل وال يعينه الخليفة .

ثم تحولت الخلافة من الحجاز إلى الشام فى عصر الدولة الأموية، وقد فعل معاوية– رضى الله عنه– أشياء كثيرة ليعوض مكة والمدينة عما فقدتاه، محاولا إسكات المعارضة فترة حكمه، وقد نجح إلى حد كبير، ولكن بوفاته ظهرت المعارضة، وكانت على أشدها فى مكة بقيادة عبد الله بن الزبير.ولكن هذه المعارضة لم يكتب لها النجاح .

ولعل صدمة الفشل جعلت أهل مكة يقبعون بعيداً عن مجريات السياسة فى الدولة الإسلامية، فأصبحوا يعشيون على هامش السياسة الإسلامية بعد أن كانوا يعشيون فى صميمها[٢].

وفى العصر العباسى قام العلويون بثورات متعددة على العباسيين، وكانت مكة منطلق بعض تلك الثورات، ولكن ذلك لم يكن ليدوم إلا لفترة قصيرة، فجميع الثورات العلوية التى حاولت السيطرة على مكة

---

(١) ابن حجر: الإصابة (٣٥٦/٤) .

(٢) أحمد السباعى : تاريخ مكة ص(١٠٢) .

باءت بالفشل [١] ، وفي نفس الوقت أعطت العلويين الإصرار والعزيمة على مواصلة تحركاتهم وتحقيق أهدافهم .

ثم جاء عصر الدويلات، فتناوب على الحكم تارة الإخشيديون على مكة سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م) [٢] والبويهيون تارة أخرى وأصبحت مكة المكرمة مسرحاً للنزاع القائم بين البويهيين والإخشيديين وذلك مما أدى إلى قيام عدة معارك بينهما حيث كان أمير الحج المصرى يحرص على أن تقام الخطبة للإخشيديين بينما حرص أمير الحج العراقى على ذكر اسم البويهيين بجانب اسم العباسيين وقد انتهى ذلك النزاع بتلك الاتفاقية التى أبرمت بين الطرفين سنة ٣٤٨هـ /٩٥٩م على أن تكون الخطبة بمكة خاصة للخليفة العباسى وحده [٣].

إلا أن السيادة الإخشيدية على مكة قد عادت من جديد وذلك فى عهد كافور الإخشيدى الذى أصبحت الخطبة تقام له على منابر مكة وبلاد الحجاز حتى نهاية النفوذ الإخشيدى على مصر سنة ٣٥٨هـ /٩٦٨م [٤].

ثم جاء بعد ذلك حكم الأشراف وطبقاتهم بداية من الطبقة الأولى

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ (٥/٣،٧٥،٧٦،١٧٥،١٧٦)؛ الفاسى : شفاء الغرام (٢/٢٨٠،٢٨٢،٢٨٣،٢٨٦) .

(٢) الفاسى : المصدر نفسه (٢/٣٠٥) .

(٣) ابن خلدون : العبر (٤/١٠٠) .

(٤) ابن ظهيرى : الجامع اللطيف ص (٣٠٥) .

التى تعرف باسم الجعافرة نسبة إلى أول من تولى إمارة مكة منهم وهو جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى أو يطلق عليهم اسم الموسويين نسبة إلى جدهم موسى ابن عبد الله بن موسى الجون [١] .

وكان حكمهم على مكة فى بدايته تحت إشراف وسادة الدولة الفاطمية التى كانت تجبرهم أحياناً على إقامة الخطبة والدعاء للخليفة الفاطمى وقطعها عن الخليفة العباسى فحدث منذ تلك الفترة التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على إقامة الخطبة والدعاء لأى منهما على منابر الحرمين الشريفين، وقام هذا التنافس على مبدأ أن السيادة الشرعية على العالم الإسلامى تكون لمن يدعى باسمه على منابر الحرمين الشريفين دون الآخر [٢].

وأصبح هناك تذبذب فى العلاقات من قبل الأشراف فتارة يقيمون علاقات مع الجانب الفاطميين وتارة أخرى مع الجانب العباسى حتى سقطت الخلافة الفاطمية، فبسقوط الفاطمين خسر الأشراف حليفاً كانوا يتفقون معه فى أكثر المبادئ واضطروا إلى مهادنة الأيوبيين وإرضائهم بقبول الدعاء للعباسيين وإشراكهم فى ذلك على منبر مكة [٣] وأصدر

---

(١) ابن عتبة : عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب ص (٢٢٥)؛ دجلان : أمراء البلد الحرام، ص (٢٨) .

(٢) ابن خلدون : العبر (١٠٢/٤)، الجزيرى : الدرر الفرائد ص (٢٤٧) .

(٣) السباعى : تاريخ مكة (٢٤٢/١) .

السلطان صلاح الدين الأيوبى أوامره بمعاقبة المخلين بالأمن بمكة[1]، ولا شك بأن هذا الإجراء يشجع كثيرا من علماء وأدباء الدول الإسلامية على القدوم إلى مكة والمشاركة فى نهضتها العلمية الموجودة بها فى تلك الفترة وكان آخر طبقات الأشراف التى تولت إمارة مكة المكرمة الطبقة الرابعة بقيادة بن إدريس [2].

واستمر هؤلاء فى الحكم حتى أقصاهم السعوديون عن مكة سنة (١٣٤٣هـ) فمن الواضح أن الحياة السياسية فى مكة كانت تدور فى فلك الخلافة، وسلاطين وأمراء الدول الإسلامية المستقلة القوية، فباستقرار الحكم تستقر الحياة السياسية فى مكة، وباستقرار الحياة السياسية تنمو الحركة العلمية.

خامساً : العامل الاقتصادي :

بين الاقتصاد والعلم علاقة متبادلة، إذ يتأثر كل منهما بالآخر إلى حد كبير، فالتخلف قرين الفقر، والنمو العلمى والفكرى قرين الغنى.

وكان لموقع مكة أثر بالغ الأهمية بالنسبة للنشاط التجارى، فمكة تقع داخل بلاد الحجاز، التى تقع بدورها فى غرب شبه الجزيرة العربية، وهى تمتد مسافة طويلة على ساحل البحر الأحمر، كما أنها تتصل شمالاً ببلاد الشام، وتتصل جنوباً ببلاد اليمن، وكذلك تتصل بمصر براً وبحراً.

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان (٣٨٨/٨)، ابن جبير : الرحلة ص (٧٤-١٠٠).

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى (٥٥٠/٢).

وهذا الموقع ساعد على ازدهار النشاط التجارى الذى ساهم فى النمو الاقتصادى، فقد أخذت القوافل التجارية القادمة من اليمن تسير عبر أراضى الحجاز فى طريقها شمالاً إلى بلاد الشام، وتمر هذه القوافل فى طريقها بمكة [١] .

وتعتبر مكة من أهم المدن التجارية لبلاد الحجاز .

وترجع أهمية مكة المكرمة إلى موقعها المتميز على طريق القوافل ذهاباً وإياباً كما ذكرنا، وقد أشار الرحالة ابن جبير إلى تلك الأهمية بقوله : " والطريق إليها ملتقى الصادر والوارد [٢] لذلك كانت مكة المكرمة محطة تجارية تتزود منها القوافل التجارية بالماء والمؤن والبضائع ثم تتابع تلك القوافل سيرها شمالا وجنوبا " [٣] أضف إلى ذلك وجود الكعبة المشرفة فيها حيث يقصدها ألوف عديدة من المسلمين على مدار العام، ويشتد تدفقهم فى موسم الحج مما يؤدى بدوره إلى تنشيط حركة البيع والشراء فى أسواقها[٤] .

ومما زاد فى أهميتها الاقتصادية أيضاً موقعها القريب من ميناء جدة الواقع على ساحل البحر الأحمر والذى يستقبل أعداداً كثيرة من

---

(١) ابن جبير : الرحلة (٩٦-٩٧) .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) فريال عبد المجيد : مكة كما جاءت فى كتب الرحالة المسلمين ص (٩٥) .

(٤) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ص(١٥٩) .

المراكب التجارية القادمة من موانى مصر والحبشة والهند والصين واليمن [١] وتعد جدة بوابة الحجاز للقادمين إليها من مصر وأفريقيا والمغرب وبلاد السودان [٢] وهكذا كان للتجارة الدولية المارة بميناء جدة أهمية كبيرة فى حياة مكة الاقتصادية .

ونظراً لما تتميز به مكة من موقع دينى يضفى كثيراً من التأثيرات والمؤشرات على حياتها الاقتصادية، وذلك نتيجة حتمية لدعوة أبى الأنبياء إبراهيم-عليه السلام-: ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً ءامنا وارزق أهله من الثمرات من ءامن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ (البقرة:١٢٦).

الخلاصة : فهذه العوامل الخمسة (الدينى ، والاجتماعى ، والجغرافى ، والسياسى ، والاقتصادى) التى مرت بنا هى الأساس فى تواجد بيئة علمية مناسبة تجذب إليها طلاب العلم والعلماء .

---

(١) السبتى : مستفاد الرحلة والاغتراب ص (٢١٨) .

(٢) رينشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة ص (١٧٥) .

المبحث الثانى

الحـــج

كان للحج آثاره البعيدة المدى على الناحية العلمية .

فالمسلمون يأتون من كل جهة وصوب؛ قال تعالى : ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ﴾ (الحج:٢٧-٢).

وكان لأهل مكة خاصة ميزة ومركز يشعرانها بما عليهم من واجبات نحو الكعبة والحجاج، فقد كانوا يرون لأنفسهم حق الحرمة والميزة على العرب بسبب اختصاصهم بكرامة البيت الحرام، ويعتبرون أنفسهم أهله وأولياءه، كما كانوا يدركون مركز بلدهم وكرامتها وقدسيتها، وقد جعلها الله مثابة للناس وأمنا، لا يسفك فيها دم ولا يثار فيها نزاع ولا قتال .

لذلك كانوا يتعاونون فى القيام بواجبهم نحو وفود الحجاج من ترحيب وإكرام، باعتبارهم ضيوف بيت الله فى بلدتهم ، وهم سدنته الأقربون .

وكان عليهم أن يضعوا للضيوف القوانين والأنظمة لتنظيم الحياة وتوفير الأمن وحفظ الحقوق، وحماية من يفد إليها من الأذى، فمكة وبها بيت الله الحرام لا يجوز العبث والبغى فيها ولا ارتكاب المعاصى واقتراف الذنوب، وسكان البلد الحرام هم فى حمى البيت وفى جواره، فلابد من إنصافهم وإحقاق حقوقهم .

وهذا الاستقرار الحضارى فى مكة إنما هو ثمرة من ثمار الحج؛ فبالحج عمرت مكة وبه ازدهرت ، ونمت تجارتها القديمة واتصلت بالأمم المجاورة وتوطدت علاقتها بالقبائل العربية فى أنحاء الجزيرة العربية.

فكان الحج يعمل على تجميع العرب من كل مكان، ويقرب مجتمعاتهم، ولهجاتهم وتوطيد أواصرهم [١] .

فأثرى الحج الحياة العلمية وكان بدوره أحد مقومات البيئة العلمية فى مكة، فالعرب يأتون من كل جهة ثم يتفرقون، وقد امتلأت جعباتهم بالأخبار، وذاكرتهم بالأشعار والخطب ودروس العلم، وامتلأت أذهانهم بمختلف الصور والمشاهد .

وكما كانوا يأخذون كانوا يعطون؛ فالعلماء وطلبة العلم يأتون إليها من شتى بقاع الأرض فيلتقون بعضهم ببعض، فيحدث التقارب والتفاهم واستزادة علم وامتداد لروافد المعرفة، وانتشار للأفكار بين مختلف الأقطار الإسلامية .

فنستطيع أن ندرك مدى استفادة أهل مكة من هذا الاحتكاك، والاتصال بالوافدين من مختلف الأقطار الإسلامية [٢].

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى (٥/١٥٣-١٥٦-١٥٨) .

(٢) ابن بشكوال : كتاب الصلة (٢/٤٢٦)، ابن الأبار : تكملة الصلة (١/٨٢-٨٣) .

فلقد كان علماء الأندلس والعراق، والشام، ومصر يفدون إلى مكة المكرمة لا للحج وحده، ولكن لينشروا علماً، وليستزيدوا منه، وليكونوا صلة بين شرق البلاد وغربها بالعلم والمعرفة [1].

وهذا العامل جعل مكة ومسجدها الحرام من أقوى مراكز نشر الثقافة بين الأقطار الإسلامية وأثرى الحياة العلمية .

---

(١) أوليا جلبى : الرحلة الحجازية ص (٣٧) .

المبحث الثالث

الأســـواق

إن للجزيرة العربية موقعاً متوسطاً متميزاً؛ فهى تقع بين أكبر الدول فى ذلك الوقت وأقدم الحضارات، فإلى شمالها الغربى بلاد الروم ومصر، وإلى شمالها الشرقى بلاد فارس، وإلى غربها الجنوبى وراء البحر بلاد الحبشة، وفى جنوبها البحرالهندى، الذى يفصلها عن بلاد الهند .

فإن معظم تجارات العالم منذ القدم هى بين هذه البلاد التى عددنا، فالدولتان العظيمتان اللتان تنازعتا النفوذ والسياسة فى العالم (فارس والروم) كانتا على علاقات تجارية وسياسية مع بلاد العرب، (وكان للمواصلات التجارية فى جزيرة العرب طريقان : أحدهما : شرقى يصل عمان بالعراق وينقل بضائع اليمن والهند وفارس براً، ثم يجوز غرب العراق إلى البادية حتى ينتهى به المطاف فى أسواق الشام، يمر التجار فيه على أسواق اليمن والعراق وتدمر وسورية، ويبيعون فى كل قطر ما لا يكون فيه ويأخذون منه إلى غيره ما يروج فيه .

والطريق الثانى : وهو الأهم، غربى، يصل بين اليمن بالشام مجتازاً بلاد اليمن والحجاز ناقلاً أيضاً بضائع اليمن والحبشة والهند إلى الشام، وبضائع الشام إلى اليمن حيث تصدر إلى الحبشة وإلى الهند فى البحر[1].

---

(١) سعيد أفندى : أسواق العرب ص (١٦) .

وكان من الطبيعى أن يمارس كثير من العرب التجارة رجالاً ونساءً، وخاصة الذين تقع بلادهم قريبة من الطرق التجارية .

فليس بدعاً أن تكون التجارة وإقامة الأسواق من أول أسباب المعاش للحجازيين، وبخاصة مكة المركز التجارى العظيم فى جزيرة العرب، فعكفوا على التجارة وتمادحوا بكسب المال، وأخذوا يضربون فى الأرض يبتغون الرزق من هذه المهنة .

ويقول الأستاذ أحمد أمين [1] : ووصل المكيون قبيل الإسلام- عندما كان العداء بين الفرس والروم بالغاً منتهاه- إلى درجة عظيمة فى التجارة، وكان على تجار مكة اعتماد الروم فى كثير من شئونهم، حتى فيما يترفهون به كالحرير، وحتى استظهر بعض مؤرخى الافرنج أنه كان فى مكة نفسها بيوت تجارية رومانية يستخدمها الرومانيون للشئون التجارية، والتجسس على أحوال العرب، كذلك كان فيها أحابيش ينظرون فى مصالح قومهم التجارية، انتهى .

والتجارة منذ القدم تنقل معها الثقافية والمعرفة، وتعمل على إثراء الحركة العلمية .

فيقول ابن صاعد[2] : ليس يوصل إلى خبر من أخبار العجم والعرب إلا بالعرب ومنهم، وذلك أن من سكن بمكة من العماليق وجرهم وآل

---

(١) فجر الإسلام ص (١٠) .

(٢) طبقات الأمم ص (٦٩).

السميدع وخزاعة أحاطوا بعلم العرب العاربه، والفراعين العاتية، وأخبار أهل الكتاب، وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون أخبار الناس، وكذلك من سكن الحيرة وجاوروا الأعاجم من عهد أسعد أبى كرب وبختنصر حووا على الأعاجم وأخبارهم وأيام حمير ومسيرها فى البلاد، وعنهم صار أكثر ما رواه عبيد بن شرية، ومحمد بن السائب الكلبى، والهيثم بن عدى، وكذلك من وقع بالشام من مشايخ غسان خبير بأخبار الروم ، وبنى إسرائيل، واليونانيين، ومن وقع بالبحرين من تنوخ وإياد، فعنه أتت أخبار طسم وجديس، ومن وقع من ولد نصر من الأزد بعمان، فعنه أتى كثير من أخبار السند والهند وشئ من أخبار فارس، ومن وقع بجبلى طىء، فعنه أتت أخبار آل أذينة، والجرامقة، ومن سكن باليمن، فإنه علم أخبار الأمم جميعاً، لأنه كان فى دار مملكة حمير وفى ظل الملوك السيارة إلى الشرق والغرب والجنوب والشمال، ولم يكن ملك منهم يغزو إلا عرف البلاد وأهلها، انتهى .

إذا تجاوزنا عن جانب المبالغة فى الكلام، فالشاهد أن العرب لم تقتصر فائدتهم فى ترحالهم على الاتجار بل كانوا يستفيدون من رقى أهل الحضارات المجاورة ويحملون عنهم آثار من تقدمهم وثقافتهم .

وإقامة الأسواق التجارية ضرورة ملحة لرواج التجارة .

وارتبطت أسواق مكة بأيام الحج، وخاصة أسواق (ذى المجاز، وعكاظ، ومجنة)، فكانت فى أيام معلومات وأماكن مستقرة .

وإذا كانت هذه الأسواق مجالاً لنشاط أهل مكة التجارى، فقد كانت من جهة أخرى تقليداً خطير الشأن جليل النفع بالنسبة للعرب الذين كان لهم فى موسم الحج وأشهره الحرم فرصة الغدو والرواح آمنين مطمئنين، فكانوا يفدون على موسم الحج من كل الجهات من أطراف الشام والعراق ومن اليمن وتهامة، والبحرين على مختلف القبائل والبيئات والجهات والعقائد، فيلتقون فى هذه الأسواق، ويتبادلون السلع ويقيمون أودهم، ويتزودون بما هم فى حاجة إليه من العروض، كما كانوا يجدون فيها فرصةلإقامة مجالس المفاخرة، وإنشاد الأشعار والمفاضلة بين الشعراء، ولعقد حلقات السمر، ومجالس القضاء لحل المشاكل والقضايا المعقدة .

كما كانت فرصة لبث الأفكار وتسيير الأخبار، وتعارف الزعماء والشعراء والخطباء، كما كانت مجالاً لمزاولة أنواع الرياضة من فروسية وسباق ومصارعة ومناضلة .

وقد وجد النبى ﷺ هذه الأسواق فرصة للقاء وفود العرب وزعمائهم ونبهائهم ليعرض عليهم رسالته ويقرأ عليهم القرآن، وقد تقابل مع وفد يثرب وتم بينهم الاتفاق، فكانت الهجرة بعد ذلك وما تلاها من أحداث غيرت مسار التاريخ العربى بل وجه التاريخ العام.

وكانت أهم الأسواق : عكاظ [١]: أهم أسواق العرب أيام الجاهلية، فهي مجمع أدبي لغوي رسمي، له محكمون تضرب عليهم القباب، فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم شعرهم وأدبهم، فما استجابوه، فهو الجيد، وما بهرجوه فهو الزائف، وحول هذه القباب الرواة والشعراء. فما ينطلق الحكم بحكمه حتى يتناقل أولئك الرواة القصيدة الفائزة فتسير في أغوار الجزيرة وأنجادها، وتلهج بها الألسن والبوادي والحواضر .

وهي السوق التجارية الكبرى لعامة أهل الجزيرة، يحمل إليها من كل بلد تجارته، وصناعته كما يحمل إليها أدبه .

وعكاظ تحل (تقع) بين مكة والطائف على مرحلتين من مكة، ومرحلة من الطائف، فهي جنوب مكة من الشرق[٢] .

ذو المجاز[٣] : وهي موضع بمنى، ومنى بين مكة وعرفات في نصف الطريق تقريباً، قالوا: إنها على فر سخ من عرفة بناحية كبكب .

وسمي ذا المجاز؛ لأن إجازة الحاج كانت منه .

---

(١) سعيد أفندي : أسواق العرب ص (٢٧٧) .

(٢) الحموي : معجم البلدان(١٦٠/٤). وقد كثرت في الآونة الأخيرة اجتهادات العلماء والكتاب لتحديد موقع عكاظ ويذكر السباعي في أخبار مكة ص ٤٥ أن هذه السوق يرجح أن تكون شوق الحوية يمين الذاهب إلى الرياض .

(٣) الحموي : معجم البلدان (٦٦/٥) .

وتحفل ذو المجاز- لوقوعها أيام الحج- بجموع العرب وتجارهم وأشرافهم، وهى تلى عكاظ فى الشأن ويجرى فيها ما يجرى فى هذه من تبايع وتناشد، وتفاخر، وفداء أسرى، وطلب ثأر ..إلخ .

أما مجنة [١] : فهى موضع قرب مكة أيضاً تقع بمر الظهران، قرب جبل يقال له : الأسفل وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها، ويرجح السباعى أن تكون هى بلدة بحرة حالياً [٢].

وهذا السوق لكنانة وأرضها من أرض كنانة، تقوم فى العشر الأخير من ذى القعدة، ويقصدها العرب بعد أن تنفض سوق عكاظ، يتمون فيها ما قصدوا له من تجارة وفداء وتفاخر .

وإذا انقشع الناس من مجنة حين يهل ذو الحجة، ساروا بأجمعهم إلى ذى المجاز وأقاموا بها حتى اليوم الثامن من ذى الحجة، وهو يوم التروية، سمى بذلك؛ لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء ويملؤون أوعيتهم لما بعده إذ لا ماء بعرفة .

وفى داخل مكة المكرمة أسواق تجارية مشهورة مثل سوق المسعى الذى كان يعتبر من أكبر وأهم الأسواق التجارية، بمكة وكان يباع فى هذا السوق جميع أنواع البضائع الواردة من الشرق والغرب كالجواهر، والذخائر والأحجار الكريمة والطيب والمسك والعقاقير الهندية وغيرها

---

(١) المصدر نفسه (٥/٧٠)، سعيد أفندى : أسواق العرب ص (٣٤٤) .

(٢) السباعى : تاريخ مكة ص (٤٥) حاشية (٢) .

من البضائع التى تجلب من الهند والحبشة واليمن والعراق وخراسان والمغرب[١] .

وكذلك الأسواق الموسمية فى منى وعرفة وقد سجلت هذه الأسواق نشاطاً تجارياً ملحوظاً فالتجمع الإسلامي الكبير كان يصاحبه دائماً حركة هامة ونشطة في البيع والشراء ففى هذه الأسواق الموسمية كان يلتقى عدد من التجار والوكلاء وغيرهم وتعقد فيها الصفقات التجارية الكبرى [٢].

الخلاصة : أن هذه الأسواق التى كانت تقام فى مكة، وفى زمن الحج، والتى شهدت البيع والشراء والمفاخر والإنشاد- قد ساهمت فى تشكيل الحركة العلمية وعملت على إثرائها .

---

(١) ابن جبير ص(٩٦-٩٧)، جميل حرب : الحجاز واليمن فى العصر الأيوبى ص (١٣٧-١٣٨).

(٢) سعاد الحسن : النشاط التجارى فى مكة فى العصر المملوكى ص (٢٧٨-٢٨٠) .

الفصل الثالث

الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمكة المكرمة فى القرنيين السابع والثامن الهجريين

أولاً : الأوضاع السياسية :

حاول العلويون منذ وفاة النبى -صلى الله عليه وسلم - الوصول إلى الحكم واعتلاء الخلافة ولكنهم فشلوا فى تحقيق ذلك وكانوا يشعرون أنهم أصحاب حق مهضوم يجب استرداده من أبناء عمومتهم العباسيين الذين سلبوا بلك الخلافة وأصبحت مكة المكرمة والمدينة موطناً لثوراتهم ضد الخلافة العباسية التى أخذت على عاتقها محاربة تلك الثورات العلوية والقضاء عليها وعلى زعمائها ومدبريها [١] ولكن تلك الانتصارات العباسية قد أعطت للعلويين الإصرار والعزيمة على مواصلة تحركاتهم وتحقيق أهدافهم، إذ أخذوا يتحينون الفرص المواتية لهم لتحقيق مآربهم فى الاستيلاء على بلاد الحجاز وإعلان الخلافة لأنفسهم، ولكى يضمن العباسيون بقاء نفوذهم وسيادتهم على مكة المكرمة فقد أسندوا إمارتها إلى الرالى الإخشيدى محمد بن طفيح القائم بولاية مصر والشام فى سنة ٣٣٢هـ /٩٤٣م [٢] فعين عليها أمراء من قبله وأصبح اسم الإخشيديين يذكر فى الخطة مع اسم الخليفة العباسى لا ينافسهم على

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ (٣٣٠،٣٢٩،١٧٥،١٧٤،٧٥،٧٤،٣،٢/٥) .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام (٣٠٥/٢) .

ذلك أي منافس حتى ظهور البويهيين على مسرح الأحداث السياسية فبدءوا فى منافسة الإخشيديين على الخطبة بمكة فأبرمت بعد ذلك اتفاقية تقضى بموجبها على أن تكون الخطبة بمكة خاصة للخليفة العباسى وحده ثم عادت السيادة الإخشيدية من جديدواستمر حتى نهاية النفوذ الإخشيدى على مصر سنة ٣٥٨هـ /٩٦٨ م[1] .

وفى هذا العام استطاع أحد العلويين، وهو جعفر بن محمد بن الحسن من طردهم منها وكون (حكومة الطبقة الأولى من الأشراف)[2].

وبانتهاء حكم طبقة الأشراف الأولى عام (٤٥٣هـ) انتقل الحكم فى مكة إلى فرع آخر من الأشراف، هم السيمانيون الذين دام حكمهم لها بضع سنين، انتقل بعدها لفرع ثالث من الأشراف هم الهواشم، أو الطبقة الثالثة من الأشراف، وقد استمر حكمهم حتى عام (٥٩٧هـ)، أى : مطلع القرن السابع الهجرى ، وفى ظل هذه الدوله كانت يدعىللفاطميين فى مصر، فى أغلب الأحيان، وللعباسيين فى بعض الأحيان .

ولقد تغير مزان القوى فى العالم الإسلامى بظهور صلاح الدين الأيوبى، الذى قضى على الحكم الفطمى بمصر عام (٥٦٩) [3] .

---

(١) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف فى فضل مكة ولأهلها وبناء البيت الشريف ص (٣٠٥) .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص (٤٧)، العز بن فهد : غاية المرام (٤٨٠/١) .

(٣) المقريزى : السلوك (٤١/١ : ٦٧) .

وكان صلاح الدين يعترف بسلطة الخلافة العباسية، لذا أصبح الخطباء في مصر وكذلك في مكة يدعون للخلفة العباسي، ولصلاح الدين الأيوبي [١] .

ثم انتقل الحكم في مكة إلى فرع آخر من الأشراف وهم الطبقة الرابعة من الأشراف، ويعرفون بأشراف قتادة، نسبة إلى مؤسس حكمهم، وهو قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى [٢]، أبو عزيز، العلوي، وكان شجاعاً عاقلاً، ترأس عشيرته، واستولى على ينبع والصفراء، وكثرت الفتن بمكة بين المتنازعين على إمارتها، فقصدها بجمع قوي، فملكها سنة(٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) واتسع ملكه إلى المدينة والطائف ونواحي اليمن وبلاد نجد[٣]، وكان فاضلاً محسناً في بدء أمره، ثم جدد المظالم والمكوس، وكان يقول : أنا أحق بالخلافة[٤]. وولي من بعده ابنه الحسن، واستمر الحكم في هذه الطبقة من الأشراف حتى أقصاهم السعوديون عن مكة سنة (١٣٤٣هـ /١٩٢٤م) [٥].

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر(١٠٤/٤)؛ أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين (٢١٦/١)؛ الجزيري : الدرر الفرائد (٥٦٩/١) .

(٢) ابن عنبة : عسدة الطالب ص (٢٣٩) .

(٣) الفاسي : العقد الثمين(١٧٣/١)، والقلقشندي : صبح الأعشى (٢٧٢/٤)، دجلان : أمراء البلد الحرام ص (٣٧) .

(٤) المقريزي : السلوك (٢٠٦/١)، ابن الأثير : الكامل في التاريخ (١٥٤/١٢).

(٥) السباعي : تاريخ مكة (٦٤٠/٢)؛ المالكي : بلاد الحجاز ص (٥٠) .

وعندما اصبحت مصر نقطة الانطلاق للحكم الإسلامى، ومصدر إصدار القرارات فى العصرين الأيوبى والمملوكى، أصبحت مكة والمسجد الحرام يتأثران بما يحدث فيمصر، وتبعاً لقرارتها .

ولعل الدولة الأيوبية كانت الحياة السياسية بها مليئة بالصراعات مع الصليبيين، والدولة الأيوبية نفسها إحدى النتائج الهامة التى تمخضت عنها الحركة الصليبية فى الجانب السياسى، ودولة بنى أيوب تعتبر بدورها مسئولة إلى حد كبير عن قيام دولة سلاطين المماليك فى نفس المنطقة فى منتصف القرن السابع الهجرى، ففى كثير من جوانب النشاط السياسى والحربى والحضارى تبدو دولة سلاطين المماليك استمرارا لدولة بنى أيوب، وذلك باستثناء بعض أوجه التباين الهامشية نتيجة لنوعية الحكام فى كل من الدولتين من ناحية، ولطبيعة الظروف الخارجية التى أحاطت بكل منهما من ناحية أخرى، مما ترك أثره فى صورة البلاد الداخلية من ناحية ثالثة .

فمنذ أن ملك الأيوبيون بلاد مصر تطلعت أنظارهم إلى بلاد الحرمين الشريفين نظراً لمكانتها الدينية فى نفوس الكثير من المسلمين ورغبة منهم فى أن يكونوا حماة للحرمين الشريفين وأن يسودوا بهذا العالم الإسلامى[1] .

---

(١) المالكى : بلاد الحجاز ص (٣٧).

فدخلت مكة تحت طاعة الأيوبيين سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م فحرص الأيوبيين على توطيد الأمن بمكة وتحقيق العدالة للسكان المحليين والحجاج والتجار القادمين إليها [١] ، وأهم ما يميز تاريخ الأيوبيين في المنطقة وقوفهم بشجاعة ضد توغل الصليبيين في البحر الأحمر نظراً لأهميته باعتباره الطريق البحرى الموصل بلاد الحجاز حيث الحرمان الشريفان فى مكة المكرمة والمدينة المنورة [٢].

ولما كان المماليك الأوئل قد نشأوا وشبوا فى حجر سادتهم وأساتذتهم ملوك بنى أيوب، فإنهم منذ اللحظة الأولى التى أعلنوا فيها دولتهم، أظهروا تمسكاً شديداً بما كان سائداً فى العصر الأيوبى من نظم ورسوم، كما اعتبروا أنفسهم ورثة أساتذتهم الأيوبيين ليس فى ممتلكاتهم فحسب؛ بل أيضاً فى سياستهم الخارجية تجاه القوى المعاصرة سواء الصديقة أو المعادية .

وبطبيعة الحال كان للماليك نفس السياسة التى اتبعها بنو أيو ب تجاه مكة وحكامها من الأشراف، وأصبح لدولة المماليك نفوذ واسع فى مكة المكرمة منذ القرن السابع الهجرى [٣].

---

(١) الفاسى : العقد الثمين (١٧٤/١)، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف (٣٠٩-٣١١) .

(٢) حسنين ربيع : البحر الأحمر فى العصر الأيوبى ص (١)، نقلا عن المالكى ص (٤٠).

(٣) دخلت إمارة مكة المكرمة تحت نفوذ المماليك، وذلك فى عهد الأمير الشريف ابى نمى بن أبى سعيد الحسنى فى سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م عندما بلغ النزاع بين أبى نمى الشريف إدريس غايته وطلب احد الطرفين المتنازعين من تلقاء نفسه تدخل الظاهر بيبرس الذى وجدها فرصة سانحة للتدخل فى شؤون أمارة مكة المكرمة . انظر الفاسى : العقد الثمين (٤٥٩/١)، المقريزى : السلوك (٥٧٩/١)، ابن رشد: ملء العيبة بما جمع الغيبة (٨٧/٥) .

وسرعان ما ظهر على الساحة دولة بني رسول، وهي أسرة وفدت إلى اليمن منذ الفتح الأيوبي، واستقل نور الدين عمر بن رسول باليمن عام (٦٢٦هـ /١٢٢٨ م)، ونال اعتراف الخليفة العباسي، وكانت زبيد عاصمة بني رسول التي استمرت في الحكم حتى عام (٨٥٨هـ)، وكان معظم حكام هذه الدولة من بناة المساجد والمدارس بل وكان بعضهم من الكتاب[1] .

وسوف يأتي الكلام عليهم بالتفصيل في المبحث الثالث، وقد حدث تنافس بين حكام بني رسول والمماليك على بسط النفوذ على مكة المكرمة؛ لأن السيطرة على مكة تضفي على صاحبها فخراً ورفعة، وتجعله في نظر العالم الإسلامي مكتملاً لشرعية الخلافة. ومما زاد في هذا التنافس صراع الأشراف(حكام مكة) أنفسهم على السلطة، فإذا كان الشريف مدعوماً من قبل المماليك، اتجه خصومه صوب اليمن طالبين المساعدة .

ويمكن القول بوجه عام : إن نفوذ المماليك كان الأقوى، فقد أخذوا يرسلون مراسيم تعيين الأمير الجديد، ويرسلون كذلك مرتبات القائمين على شئون الحرم، فكانوا حريصين على بسط نفوذهم وسيطرتهم على الحجاز؛ لعوامل دينية وسياسية .

---

(١) أحمد جابر عفيف : الموسوعة اليمنية (١/ ١٧٥).

واستمر هذا الوضع في عهد المماليك الشراكسة، بل إن تدخلهم في شئون مكة ازداد عن ذى قبل [١] .

ثانياً : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية :

من المعلوم أن توفير الطعام للحجاج في مكة، وشعائر الحج مرتبطان بالاستقرار السياسي والإدارى في كل موسم، ومدى إمكانية السلطان في توفيرهما للحجاج .

وهذه نظرية تبدو بديهية، ولكن الظروف التي عاشتها الأراضى المقدسة خاصة والحجاز عامة في نهاية العصر العباسي، أو ما قبل ذلك بقليل، فرضت على مؤرخين مثل الفاسي وابن جبير وغيرهما من المعاصرين أن يشترط الأمن والاستقرار في كافة أنحاء البلدان المحيطة بالحرمين الشريفين؛ كي يتمكن الحجاج من الوصول إلى بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج، دون أن يتعرضوا لنهب أو سلب، أو أن تفرض عليهم ضرائب باهظة يدرؤون بها الخطر المدلهم المحيط بهم[٢].

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام (١٩٠/٢). ولمزيد من المعلومات حول الأوضاع السياسية في تلك الفترة انظر. الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، ريتشارد مورتيل .

(٢) الجزيرى : الدرر الفرائد (٥٣٩/١-٥٥٣)، الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ص (١١٣).

فمنذ بداية القرن الرابع الهجرى تعرضت قوافل الحجاج لكثيرمن المضايقات وأنواع الفزع والهلع، ثم أخذت هذه الصورة تتلون بألون شتى، منها ما كان سياسياً، ومنها ما كان تملقاً وتزلفاً للولادة والحكام [1] .

وأصبحت الضغوط على قوافل الحج والحجاج والتجارة تخف وتشتد إذا ما بسط أو قبض الخلفاء أيديهم عن حكام وأشراف مكة، الذين كانت لهم سيطرة على قبائل البدو الذين يشنون غاراتهم على الطرق ويروعو ن المارين عليها، أو كانت لهم ومعهم مهادنات ومصالح[2].

بيد أنه على الرغم من تلك الظروف، ونظراً لما تتميز به مكة المكرمة من موقع دينى يضفى كثيراً من التأثيرات والمؤشرات على حياتها الاقتصادية، فإن أفئدة قلوب المسلمين تهفو إليها، والراغبون فى حج بيت مالله الحرام يفدون إليها من جميع الأقطار الإسلامية ويتدفق عليها من الخيرات والثمرات ما ينعش اقتصادها، ويعوض عجز مصادر الدخل فيها [3] .

هذا بالإضافة إلى أن المناطق الزراعية الخصبة المحيطة بمكة والتابعة لإمارتها كوادى فاطمة والطائف، ووادى نخلة ومنطقة عسفان،

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى (٢/٨٠٥ ، ٥٤٩)، ابن جبير الرحلة ص (١٥٠).

(٢) النجم عمر بن فهد : اتحاف الورى(٢/٤٨٦)، العز بن فهد : غاية المرام (١/٥٣٦-٥٣٧).

(٣) ابن الجوزى : المنتظم (١٠/٢٢٢)، ابن جبير : الرحلة ص (٩٧)، على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية، ص (١٥٩).

ومر الظهران وحداء وما يجاورهما من القرى- كانت نتنتج الكثير من المحصيل والمنتجات الزراعية، كما عرفت في مكة تعض الصناعات مثل دبغ الجلود حيث كان يوجد بها صناع مهرة متخصصون في هذا المجال وكانت هذه الجلود التي تدبغ تجلب إليها من بلاد اليمن وعمان وهجر وبقية المدن الإسلامية الأخرى ثم تدبغ بها وتصدر إلى مصر والحبشة وفارس وما وراء النهر[1] ، كما عرفت مكة صناعية الحلوى التي تفننوا في إعدادها وذلك منذ العهد الفاطمي وعرفت أيضاً المراوح اليدوية والحصر، والزنابيل [2] .

وقد حدد المؤرخون المصادر الرئيسية للدخل فيمكة، وترتبط جميعها بالحج ارتباطاً وثيقا إذ تعتمد عليها الحياة الاقتصادية وهي :

١- الضرائب والمكوس على الحجاج والتجار .

٢- الجارة وخاصة في مواسم الحج .

٣- الهبات والأوقاف والصدقات .

بالنسبة للمصدر الأول : فمعلوم أن أمراء مكة لجأوا إلى فرض الضرائب والمكوس على الحجاج والتجار منذ أن استقلت مكة عن

---

(١) أحمد فاروق : دباغة الجلود وتجارتها عند العرب ص (٥٣٨-٥٤٠).

(٢) محمد طاهر الكردي : التاريخ القويم (١٣٥/٢)، سعاد الحسن : النشاط التجاري في مكة ص (١٩٥).

الخلافة العباسية، وأن الخلفاء العباسيين والفاطميين قد تباروا في إغداق الأموال على مكة والمدينة من أجل الحصول على نفوذ أسمى فيها .

أما بالنسبة للتجارة- وهي المصدر الثاني- فمعروف أن أسواق مكة تتحول في موسم الحج من أسواق محلية إلى أسواق عالمية، وتلتقي فيها بضائع ومنتجات الشرق والغرب، وتنشط فيها حركة البيع والشراء .

وقد كانت أشهر الحج منذ العصر الجاهلي وقبيل الإسلام موسماً تجارياً فريداً تقوم فيه الأسواق وتكثر فيه البضائع .

ويقول الرحالة ابن جبير[1] : ومكة أكثر البلاد نعماً وفاكهة ومنافع ومتاجر، فضلاً عما يتبه من الذخائر النفيسة كالجواهر والياقوت، والأمتعة العراقية واليمانية إلى غير ذلك من السلع الخراسانية والبضائع المغربية إلى ما لا ينضبط ما لو فرق بها على البلاد كلها لأقام الأسواق النافعة وتعم جميعها بالمنفعة التجارية .

كل ذلك في ثمانية أيام بعد الموسم، حاشا ما يطرأ بها على طول الأيام من اليمن وسواها . فما على الأرض من سلعة ولا ذخيرة إلا وهي موجودة فيها مدة الموسم .

---

(١) الرحلة (١١٩) .

أما المصدر الثالث من مصادر الدخل بالنسبة لمكة وأمرائها وقد يصيب أهلها أيضاً، فهو ما كان يتدفق في شكل هبات وصدقات كانت تحمل إلى مكة كل عام تقريباً من خلفاء وملوك العالم الإسلامي .

وقد نشأت عادة حمل الأموال سنوياً وتوزيعها في صورة صدقات وهبات منذ العهد الأموي، وتطورت في العصر العباسي، واستمرت حتى نهاية العصر العثماني عام ١٤٣٤هـ .

ويبدو أن الهدف من وراء هذه الهبات كان سياسياً وخاصة أثناء فترة الصراع بين الخلافتين العباسية والفاطمية على السيادة على الحرمين الشريفين، فقد أصبحت الصدقات والهبات مصدراً ثابتاً للدخل في تاريخ مكة الاقتصادي .

ويمكن أن ندرك عظم هذا المورد بتقديم بعض الأمثلة :

وقد بلغت الجراية لأهل الحجاز من الأشراف وغيرهم في عهد المعز لدين الله الفاطمي أربعمائة ألف درهم [1] .

وكانت صلة أمير مكة في عهد المستنصر بالله الفاطمي ثلاثة آلاف دينار في الشهر، وكانت ترسل إليه الخيول والخلع مرتين في السنة .

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفاء (١/١٠١) .

أما حفيد قتادة محمد أبو نمي الحسني، فقد تعهد السلطان بيبرس أن يدفع له مبلغ عشرين ألف درهم سنوياً لقاء الدعوة له في الخطبة وضرب السكة باسمة وقبول بعض الشروط الأخرى [١].

أما عن الأوضاع الاجتماعية : فإن ثمة عوامل لها أثر كبير في تكون الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة فالأوضاع الاقتصادية المزدهرة، والصدقات المزدهرة، والصدقات والهبات من الخلفاء والسلاطين والتجار وغيرهم لها أثر فعال في إنعاش الأحوال الاجتماعية، وكذلك الأوقاف، والمؤسسات الخيرية كالأربطة وغيرها .

وقد أدرك الخلفاء والسلاطين والتجار ذلك فساهموا في بناء الأربطة التي تؤدي المحتاجين والوافدين لطلب العلم والمجاورين وغيرهم. فالسكن عامل من عوامل الاستقرار النفسي، وكانت بداية بناء الأربطة بمكة منذ مطلع القرن الخامس الهجري [٢]، وقد تكون المجتمع المكي في الفترة التي نحن بصدد دراستها من عدة طبقات : كطبقة

---

(١) د : ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ص (٥٥).

(٢) الفاسي : شفاء الغرام (١/٥٢٧).

الأشراف وهم الطبقة الحاكمة، وطبقة القواد والقضاء والوزراء، وطبقة سكان مكة الأصليين ، وطبقة المجاورين وهم : من الحجاج والتجار والعلماء الذين وفدوا من مختلف بقاع العالم الإسلامى واستقروا بمكة واختلطوا مع سكانها. وتعداد السكان يتأثر بتأثر الوضع الأمنى والسياسى والاقتصادى بمكة المكرمة .

* * *

الفصل الرابع

إسهامات السلاطين والأمراء والقادة

في إثراء الحركة العلمية

اشتهر سلاطين وملوك بنـي أيـوب ومـن بتعـهم مـن بحبـهم للعلـم والعلماء، فكان صلاح الدين يجمع حوله رجـال العلم ويحضر مجالسهم ويستمع إليهم، ويشاركهم في أبحاثهم [١].

وأما العزيز عثمان الـذى خلف أباه صلاح الديـن فـي السلطنة فقد قال عنه ابن خلكان [٢] : إنه سمع الحديث من الحـافظ السلفي، والفقيـه أبي طاهر بن عـوف الزهـري، وسمع بمصر من العلامة أبي محمـد بـن بري النحوي وغيرهم، انتهى .

ومثل ذلك يقال عـن بقيـة سلاطين بنـي أيـوب، وبخاصـة السـلطان الكـامل الـذى قـال عنـه المقريزي [٣] : وكـان يحـب أهـل العلـم، ويؤثـر مجالستهم، وعنـده شغف بسماع الحديث النبـوي، وكـان يناظر العلماء وعنده مسائل غريبـة مـن فقه ونحـو يمتحـن بها، فمن أجاب عنها قدمه وحظي عنده، وكانت عنده بالقلعة جماعة مـن أهـل العلم، فينصب لهـم

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٣٢٩/٤).

(٢)وفيات الأعيان (٢٥١/٣).

(٣) السلوك : (٢٥٨/١).

أسرة ينامون عليها بجانب سريره ليسامروه، انتهى .

وإذا كانت هذه هى رغبة سلاطين بنى أيوب وملوكهم فى العلم، فإننا لا نعجب لكثرة ما أسسوه من مدارس درست فيها العلوم الدينية، وغير الدينية وصارت مراكز الحياة علمية نشيطة فى ذلك العصر .

واقتفى المماليك أثر بنى أيوب فى ازدهار الحركة العلمية .

وكان المماليك أنفسهم- رغم كونهم من أصول غير عربية متعددة- أصحاب فضل فى ازدهار النشاط العلمى فى مصر، من ذلك ما نسمعه عن ولع بعض السلاطين- مثل الظاهر بيبرس- بسماع التاريخ[1] .

كانت مكة المكرمة فى القرنين السابع والثامن الهجريين من أبرز مراكز العلم فى العالم الإسلامى بفضل كثرة العلماء بها فهى مقصد للعلماء من شتى الأقطار الإسلامية .

وكانت مكة المكرمة والمدينة المنورة تنافسان كبريات العواصم الإسلامية فى العلم بما ضمته من علماء وأدباء ومكتبات وإن صغرت ومدارس كان يدرس فيها فقه جميع المذاهب[2].

فبجانب المسجد الحرام الذى كان له دور كبير وهام فى النهوض بالحركة العلمية والثقافية بمكة المكرمية نلمس دور خلفاء وسلاطين

---

(١) ابن تغرى بردى : النحو الزاهرة (١٨٥/٧) .

(٢) عواطف نواب : الرحلات المغربية والأندلسية ص(٣٠٥).

وأمراء الدول الإسلامية بشؤون التعليم فى مكة المكرمة، وكان اهتمام هؤلاء نابعاً من إيمانهم بمكانتها المقدسة فى قلوب جميع المسلمين فجاء إسهامهم فى عدة نواحى مثل الأموال والهبات التى يقدمونها للعلماء وطلبة العلم، أو الأعمال الخيرية والأوقاف التى تصرف على طلبة العلم، أو إقامة المجالس العلمية الخاصة أو انشاء الأربطة التى يسكن بها العلماء وطلبة العلم الذين لا مأوى لهم أو إنشاء المدارس، أو إنشاء المكتبات أو إنشاء الدورس الخاصة على حسابهم والتى تلقى فى ساحات المسجد الحرام وهذا ما شجع العلماء وطلبة العلم على التوافد إلى مكة المكرمة والمجاورة بها فكانت حافزاً لهم للقدوم إلى مكة [١].

وسنقوم بتفصيل كل من هذه الإسهامات على حدة :

أولاً : الأموال والهبات :

حرص الخلفاء والسلاطين والأمراء منذ العصور الإسلامية الأولى على إرسال الأموال الوفيرة إلى سكان الحرمين الشريفين واختلف هؤلاء الخلفاء والسلاطين والأمراء فى تخصيص هذه الأموال فالبعض منهم خصصها لتصرف على الأمراء والوزراء وبعضهم خصصها لتصرف على فقراء الحرم والمحتاجين والبعض الآخر خصصها لتنفق على أصحاب المناصب وبعضهم خصصها لتصرف على العلماء وطلبة العلم بها وكانت هذه الأموال عوناً لهم على تلقى العلم .

---

(١) السليمان : العلاقات الحجازية المصريةص(٢٢٢).

وسنورد هنا بعض الأمثلة على ذلك حيث يذكر أن ملك إربل مظفر الدين كوكبورى كان يبعث كل عام صحبة مندوبه عمر بن إبراهيم الخلكانى [١] أموالاً كثيرة تصرف على الأعمال الخيرية والمحتاجين[٢] وخصص جزءا من هذه الأموال لتصرف على بعض العلماء بمكة المكرمة وكان يرسل مخصصات سنوية لبعض رجال العلم بمكة المكرمة .

ومن ذلك صلته إلى العالم الخضر بن محمد الإربلى [٣] الذى كان يقدره كثيراً حتى أنه أشركه مع عمر الخلكانى ليقوم بتوزيع الصدقات على المحتاجين والفقراء تحت إشرافه، وفى سنة ٦١١هـ حج الملك عيسى بن الملك العادل الأيوبى وتصدق فى الحرمين بمال عظيم [٤]؛ نال المنقطعون من العلماء وطلبة العلم نصيباً كبيراً منه وكان هذا المال عوناً لهم فى مواجهة حياتهم العلمية . وفى رجب سنة ٦٣٥هـ /١٢٣٧م قدم الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول إلى مكة معتمراً

---

(١) هو عم المؤرخ ابن خلكان وكان يدرس في بعض مدارس إربل، وكان ملك إربل مظفر الدين يثق به كثيراً وقدم إلى مكة وسمع الحديث بها : توفى سنة ٦٠٩هـ . الفاسى العقد الثمين(٦/٢٨٥) .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام (٢/٢٣٤) .

(٣) أحد المجاورين بمكة وكان زاهدا توفى سنة ٦٠٨هـ، الفاسى : العقد الثمين (٤/٣١٧) .

(٤) الفاسى : شفاء الغرام (٢/٢٣٤) .

وتصدق فيها بأموال جزيلة فـي محاولـة منـه لكسـب ود أشـراف مكـة والمجاورين والعلماء وعامة أهل مكة [١] .

كما حج الملك المظفر يوسف بن الملـك المنصور نـور الديـن عمر بن علي بن رسول قادماً من اليمـن وذلـك سنة ٦٥٩هـ وتصدق بأموال جزيلة عمـت جميـع سكان مكـة المكرمة [٢] وواصل سلاطين المماليك أعطياتهم وهباتهم لأهالي مكة المكرمـة ففي سنة ٦٦٧هـ /١٢٦٩م حـج الظاهر بيبرس وقام أثناء حجه بأعمال بـر كثيرة برهـن بها علـى مراعاتـه مصالح الأشراف والمجـاورين وعامـة أهل مكة علـى السـواء، ويـروى أن صدقاته شملت جميع أهل مكة فضلاً عـن اهتمامـه الخـاص بالمجـاورين والفقهاء، كما وزع الملابس على المحتاجين ودفـع مبلغاً مـن المال إلى خواصه وأمرهم بتوزيعه على أهالي مكة سمراً[٣].

وكذلـك أمر السلطان المنصـور قلاوون المملوكـي بصـرف النفقـات لأشراف مكـة وعلمائها وقضاتـها وأصحـاب المنـاصب بـها وأجـرى لهـم الرواتب [٤] .

---

(١) المقريزي : السلوك (٢٢٥/١).

(٢) الفاسي : شفاء الغرام (٢٤٠/٢) .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى (٩٤/٣)، د : ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية ص(٥٦).

(٤) الفاسي : العقد الثمين (٢٤٤/٢)، د : ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية ص(٥٩).

وفي سنة ٧٢٤هـ /١٣٢٣م حج سلطان مملكة مالي واسمه منسا موسى [١] ومعه ١٥ ألفاً من أتباعه فحمل معه مائة حمل جمل من الذهب ووزعه على أهالي الحرمين ولا سيما أهالي مكة المكرمة ومن بينهم علماؤها [٢].

وفي سنة ٧٣٢هـ حج الملك الناصر محمد بن قلاوون وتصدق على أهل الحرم والمجاورين والفقهاء[٣].

وكذلك عرف عن السلطان المملوكي برقوق أنه كان يبعث الذهب باستمرار إلى مكة المكرمة وخصصه للعلماء والفقهاء تشجيعاً لهم وقد بلغت مصروفاته على العلماء وطلبة العلم في بعض المرات خمسين ألف دينار مصري [٤].

والحقيقة أن هذه الهبات والأعطيات التي صرفها السلاطين والحكام

---

(١) منسا موسى بن أبي بكر تولى حكم مملكة مالي وكان عادلا في حكمه عرف عنه الصلاح والتقوى وقد وسع مملكته حيث افتتح كثيراً من البلدان الإفريقية وضمها إلى مملكته . انظر القلقشندي : صبح الأعشى (٢٧١/٥-٢٨١)؛ عواطف نواب : الرحلات المغربية والأندلسية ص(٥٩).

(٢) السباعي : تاريخ مكة (٢٦٧/١)، ابن كثير : البداية والنهاية (١١٢/١٤)؛ الفاسي : شفاء الغرام (٣٩٠/٢)؛ العبيكان : الحياة العلمية والاجتماعية في مكة ص(١٩١).

(٣) الجزيري : الدرر الفوائد (٦٣٨/١).

(٤) الفاسي : شفاء الغرام (٢٣٤/٢).

كان لها تأثير كبير على أحوال العلماء وطلبة العلم وتساعدهم على اقتناء ما هم بحاجة إليه من كتب وأدوات وغيرها .

وتعتبر مواسم الحج مناسبات خاصة يوليها السلاطين عناية كبيرة حيث يفرقون الكثير من أموالهم وصدقاتهم وزكاتهم على فقراء البيت الحرام، إلى جانب حرصهم على إلغاء الضرئب والمكوس المقررة فى تلك البقاع الطاهرة والتى تشكل عبئاً ثقيلاً يعانى منه السكان، وبشكل خاص أولئك الذين يقاسون الفقر المدقع والحاجة الماسة للمال والطعام والمأوى بالإضافة إلى بذل الخلع السنية على حكام تلك الأماكن المقدسة تعويضاً لهم عن المكوس التى أسقطوها، غلاوة على تقسيم الإقطاعات الواسعة ذات الأراضى الزراعية الخصبة فى مصر والشام من أجل كسب رضاهم، فيتبعون فى معاملة رعايا البيت الحرام منهج أولئك السلاطين الحريصين على مساعدة الأهالى، ومد يد العون لهم كى يتيسر لهم ولو شىء قليل من العيش الكريم فى ظل حكم السلاطين المماليك.

ويمكننا أن نلاحظ جزءا من هذه الاتجاهات الطيبة فى حجة الناصر محمد بن قلاوون إلى الأراضى المقدسة عام (٧٩١هـ /١٣١٩م)

حيث يقول المقريزى [1] : قدم السلطان مكة بتواضع وذلة، بحيث قال للأمير بدر الدين جنكلى بن البابا : لازلت أعظم نفسى إلى أن رأيت الكعبة، وذكرت بوس الناس الأرض لى فدخلت فى قلبى مهابة عظيمة ما زالت حتى سجدت لله تعالى، وحسن له بدر الدين محمد بن جماعة أن يطوف راكبا، كما فعل النبى ﷺ فقال له ومن أنا حتى أتشبه بالنبى ﷺ ،والله لا طفت إلا كما يطوف الناس .

ومنع السلطان الحجاب من منع الناس أن يطوفوا معه، وصاروا يزاحمونه وهو يزاحمهم كواحد من الناس فى مدة طوافه وفى تقبيله الحجر، وبلغه أن جماعة من المغل ممن حج قد اختفى خوفاً منه، فأحضرهم وأنعم عليهم وبالغ فى إكرامهم، وغسل الكعبة بيده، وأخذ أزر إحرام الحجاج وغسلها لهم بنفسه، وأبطل سائر المكوس من الحرمين، وعوض أميرى مكة والمدينة عنها إقطاعات بمصر والشام، وأحسن إلى أهل الحرمين، وأكثر الصدقات.

ولم يقتصر الحرص على إيجاز فعل الخير فى أثناء تأدية فريضة الحج على الأمراء والمماليك وإنما شمل ذلك الحكام المسلمين فى البلاد

---

(١) المقريزى : السلوك (١٩٧/٢)، المقريزى : درر العقود الفريدة (٧٦/٢)، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (٥٩/٩).

القريبة والبعيدة دون تميز، وعلى سبيل المثال يقول المقريزى [1] قصد الأمير جوبان [2] عمل خير بمكة، فدله بعض الناس على عين كانت تجرى فى القديم ثم تعطلت فندب لذلك بعض ثقاته وأعطاه خمسين ألف دينار وجهزه فى موسم سنة خمس وعشرين فلما قضى حجه تأخر بمكة وشهر أمره بها، فأعلم بعين فى عرفة فنادى بمكة : من أراد العمل فى العين فله ثلاثة دراهم فى كل يوم، فهرع إليه العمال، وخرج بهم إلى العمل، فلم يشق على أحد منهم ولا استحثه، وإنما كانوا يعملون باختيارهم، فأتاه جمع كبير من العرب، وعمل حتى النساء، إلى أن جرى الماء بمكة بين الصفا والمروة، فى ثامن عشر جمادى الأولى من هذه السنة[3] فكانت مدة العمل أربعة أشهر، وكثر النفع بهذه العين، وصرفه أهل مكة إلى مزارع الخضروات[4] .

---

(١) المقريزى : درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة (٢/٧٨)، والسلوك (٢/٢٧٤)، ابن اياس : بدائع الزهور (١/١٦٤).

(٢) جوبان هو نائب السلطنة بالعراق مقبل السلطان ابى سعيد بن خربندا ملك العراقين؛ الفاسى؛ شفاء الغرام (١/٣٤٧) .

(٣) يقصد بها سنة ٧٢٦ هـ .

(٤) الفاسى : شفاء الغرام (١/٣٤٧) .

ثانياً : إنشاء المدارس :

اهتم الخلفاء والسلاطين والأمراء في تشييد المدارس بمكة المكرمة لتسهم في تربية المقيمين بها وتعليمهم وتثقيفهم . وإذا كانت المدارس الإسلامية قد بدأت في الظهور منذ منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، فإن ظهورها بمكة لم يبدأ إلا في الربع الأخير من القرن السادس الهجرى/ الثاني عشر الميلادى [١]، وكانت المدارس بمكة منذ إنشائها قد اعتنت واهتمت بتدريس العلوم الدينية كالحديث والتفسير، والفقه، وعلوم التصوف، والعلوم العربية، وقليلاً ما تذكر كتب التراجم أن عالماً أو طالباً قد درس الشعر والعلوم العقلية كالمنطق والفلسفة [٢] .

ومنذ أن بدأ الاهتمام بإنشاء المدارس بمكة كانت تلك المدارس موزعة بين المذاهب الأربعة الرئيسية، وسارت هذه المدارس جنباً إلى جنب مع المسجد الحرام في نشر العلم وأخذت على عاتقها مهمة التدريس ونشر العلم والمعرفة بين المسلمين، وتسابقت الحكام والأمراء والسلاطين إلى تأسيسها حتى كثر عددها وكان هؤلاء المؤسسون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي .

ولعل السبب الرئيسي لذلك مكانة مكة المكرمة والمسجد الحرام في

---

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله : تاريخ التعليم فيمكة ص(٥٩).

(٢) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ص(٢٢٣).

قلوب المسلمين وهجرة أكثر العلماء المهتمين بالعلوم الدينية إلى مكة ولذلك فإن هذه الحقبة الزمنية أدت إلى رواج هذه المدارس وتولى الحكام والسلاطين والأمراء أمر هذه المدارس وأوقف عليها أوقاف مختلفة، وكثرة هذه المدارس يوضح مدى النهضة التعليمية التى شهدتها المدينة المقدسة فى القرنين السابع والثامن الهجريين .

ويعتبر عصر المماليك العصر الذهبى لإنشاء المدارس فى مكة، وكان الغرض من إنشاء المدارس هو تحقيق أهداف مذهبية، وسياسية وساهم الحكام والأمراء والسلاطين والتجار من شتى الأقاليم الإسلامية فى تأسيس هذه المدارس حتى أصبح عددها فى تزايد مستمر .

ومن المدارس التى تم تأسيسها تحت إشراف الأمراء :

مدرسة الأمير فخر الدين عثمان بن على المعروف بالزنجيلى [(١)] فى مكة، وقد نسبت إليه وعرفت بمدرسة الزنجيلى، وكان قد وقفها على الحنفية عام (٥٧٩هـ /١١٨٣م)[(٢)].

---

(١) هو من كبار امراء الدولة الأيوبية وخاصة دولة المعظم توران شاه الأيوبى وقد شارك فى فتح اليمن سنة ٥٦٩هـ ولقب بالزنجيلى نسبة إلى القرية التى نشأ بها وتسمى زنجيلة ولما رجع توران شاه إلى مصر سنة ٥٧١هـ عينه على عدن والمناطق المحيطة بها وتوفى سنة ٥٨٣هـ . انظر الفاسى : العقد الثمين (١٦٩/٣).

(٢) الفاسى : العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين (١٦٩/٣) ، ابن فهد : اتحاف الورى (٥٤٩/٢) .

ويحدثنا النعيمى عن الزنجيلى فيقول : ولهذا الأمير أوقاف وصدقات بمكة واليمن ودمشق، وإليه تنسب المدرسة والرباط المتقابلان بباب العمرة بمكة المشرفة [١]، وهذا الرباط خصصه لسكنى المدرسين فيها، وممن درس بهذه المدرسة صديق بن يوسف بن قريش الحنفى [٢]، وشهاب الدين أحمد بن محمد الصاغانى المتوفى عام (٨٢٥)هـ ، وقد جهزها بتجهيزات عديدة منها إقامة مبنى مجاور لها خصصه لسكنى المدرسين الذين يدرسون بها واختار موقعها بالقرب من المسجد الحرام ليسهل على الطلبة والأساتذة الصلاة فى المسجد الحرام [٣].

وفى سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٥م) افتتحت طاب الزمان الحبشية مدرسة فى الموضع المعروف بدار زبيدة، ولا يذكر مصدرنا الوحيد عن هذه المدرسة وهو الفاسى أى معلومات سوى أن مؤسستها هى عتيقة الخليفة العباسى المستضىء بالله وقد خصصت هذه المدرسة لتدريس العلوم الدينية على المذهب الشافعى .

وفى العقد الرابع من القرن السابع الهجرى قامت فى مكة ثلاث مدارس جديدة هى : مدرسة النهاوندى، ومدرسة ابن أبى زكريا، ومدرسة ابن الحداد، ويذكر الفاسى أن مدرسة النهاوندى وجدت منذ أكثر من مائتى سنة والمعروف أن الفاسى ألف كتابه فى أخريات أيامه

---

(١) النعيمى : الدرس فى تاريخ المدارس(٥٢٦/١).

(٢) الفاسى : العقد الثمين (٣٩/٥) .

(٣) النجم عمر بن فهد : إتحاف الورى (٥٤٩/٢).

لذا يمكن أن نستنتج بأن هـذه المدرسة أنشئت قرابة عام ٦٣٠هـ وقد بنيت هذه المدرسة ملاصقة للمسجد الحرام بالقرب من باب السلام في موضع يعرف قديماً باسم الدريبة [١] .

وأما المدرسة الثانية : فموقعها بالقرب من المدرسة المجاهدية بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام، ويحدثنا عنها الفاسي فيقول : ومدرسة أبي علي بن أبي زكريا قرب المدرسة المجاهدية، وتعرف بمدرسة أبي طاهر المؤذن وتقع بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام.

وتاريخ وقفها خمس وثلاثون وستمائة على ما في حجرها وواقفها فيه مترجم بالإمام الشهيد، وما عرفت حاله [٢].

وإذا رجعنا إلى العقد الثمين [٣] نجد أن اسم المدرسة هو مدرسة أبي علي بن زكري لا ابن أبي زكريا .

وأما المدرسة الثالثة : فمؤسسها أبو المنصور عبد الحق بن عبد الرحمن المهدي المعروف بابن الحداد، وقد أوقف مدرسته على طلبة المذهب المالكي، وكان ذلك في ربيع الثاني سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٣م ، وأصبحت تعرف في القرن التاسع الهجري بمدرسة الأشراف الأدارسة لاستيلائهم عليها، وكانت تقع بالقرب من مدرسة الأرسوفي [٤] بالشبيكة

---

(١) الفاسي : العقد الثمين (١/ ٣٣٠)، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ص(١٠٥).

(٢) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (١/ ٣٣٠).

(٣) (١/ ١١٨).

(٤) المصدر نفسه (٥/ ٣٣٥).

أسفل مكة وكان قد درس بها إمام المالكيين بالحرم أبو البركات القسطلاني .

وأما المدرسة الشرابية : فبناها عام (٦٤١هـ) الأمير العباسي شرف الدين إقبال الشرابي خادم المستنصر بالله العباسي وأحد قواده، وكانت تقع عن يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السلام، وهناك إشارة إلى أنها استمرت في أداء رسالتها حتى أواخر القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، وقد اهتم الشرابي بهذه المدرسة وجهزها بمكتبة وزودها بكتب عديدة ونادرة وخصصها لتدريس فقه المذاهب الأربعة وأمر بأن يدرس بها النحو والأدب كذلك وفتح المجال بالدراسة بها لجميع جنسيات الطلاب سواء كانوا عرباً أو عجماً وحتى لا تتعطل الدراسة بهذه المدرسة فقد خصص أوقافاً كثيرة بوادي نخلة ووادي مر ليكون دخلها مصروفاً على المدرسين والطلبة الذين يدرسون بها [١] .

ويقال بأن الذي أوقفها الخليفة المستنصر بالله العباسي ولكن الذي قام ببنائها وأشرف على البناء هو الأمير شرف الدين إقبال الشرابي نيابة عن الخليفة وقد عرفت باسم بانيها وليس باسم واقفها [٢].

أما المدرسة الأرغونية[٣] : مؤسسها الأمير أرغون الدوادار أحد مماليك السلطان المملوكي المنصور قلاوون وقد ولاه نيابة حلب، وكان

---

(١) باقاسي : بلاد الحجاز (١٠٦).

(٢) جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ص(١٩٧).

(٣) د. محمد عبد الرحمن الشامخ : التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني ص(٦٩) .

له ميل للمذهب الحنفي فأقبل على دراسته ومهر فيه إلى أن صار يعد من أهل الإفتاء، وقد دعاه ميله الشديد إلى هذا المذهب إلى تقرير دروس في الحنفية بهذه المدرسة التي كانت تقع على يسار الداخل إلى المسجد الحرام من الباب المعروف بباب العجلة، وأول من درس بهذه المدرسة يوسف بن علي الحنفي المكي، فقد درس بها عدة سنين(١) .

وكان لأمراء مكة مساهمة أيضاً في إنشاء المدارس حيث أنشأ الأمير الشريف عجلان بن رميشة سنة ٧٧٢هـ مدرسة خصصها لتدريس العلوم الدينية، وكذلك أنشأ الأمير الشريف جار الله بن حمزة بن راجح بن أبي نمي مدرسة سنة ٧٨٩هـ وكانت ملاصقة للمسجد الحرام وخصصها لتدريس العلوم الدينية كالقرآن وعلومه، والفقه على المذاهب الأربعة (٢).

ثالثاً : إنشاء الأربطة :

تعتبر الأربطة واحدة من المؤسسات التعليمية بمكة المكرمة وأسهمت جنباً إلى جنب مع المسجد الحرام والمدارس والكتاب للنهوض بالحركة العلمية وقد فتحت الأربطة أبوابها للعلماء وطلبة العلم

---

(١)لقد سمع وأجاز له كثير من العلماء، وحدث ودرس وأفتى، وله مؤلفات كثيرة في العروض والشعر وسمع منه كثيرون وقد ناب عنه الشهاب الحنفي بمقام الحنفية وعن القاضي شهاب الدين الطبري ثم عزل عنها وتوفي بمكة المكرمة ودفن بها سنة (٧٦١هـ) . الفاسي : العقد الثمين (٧/٤٨٤-٤٨٥).

(٢) العبيكان : الحياة العلمية بمكة ص(٧٥).

الذين كانوا يتنقلون في أنحاء العالم الإسلامي طلباً للعلم، ورأى الخلفاء والسلاطين والأمراء بأن إنشاء هذه الأربطة ضرورة لابد منها لأنها توفر جميع سبل الراحة للفقراء والمنقطعين وطلاب العلم والمجاورين للمسجد الحرام من كافة الأجناس، وهذه الأربطة كانت موقوفة على كافة المسلمين من كافة الأجناس والمذاهب وبعضها كان موقوفاً على الرجال والآخر على النساء وبعضها كان وقفاً على طائفة الصوفية أو على أحد المذاهب الإسلامية والبعض خاص بجنس معين من الناس وبعضها خاص بالغرباء والمجاورين .

ولا شك بأن إنشاء هذه الأربطة أدى بدوره إلى اندفاع المجاورين إلى الإقبال على طلب العلم بمكة طالما أنهم قد وجدوا بها المدارس التي يدرسون بها والأربطة التي يعيشون فيها [1].

ولم تكن هذه الأربطة مجرد إقامة لهؤلاء المجاورين فقط، وإنما كانت تعقد فيها حلقات التدريس وتوضع بها الكتب القيمة والنفيسة[2] وهذا ما جعل مكة وطلابها يرتادون هذه الأربطة ليطلعوا على ما تحويه مكتباتها من كتب وعلوم هامة، وكان نزلاء الأربطة بمكة يتدارسون العلم ويتذاكرون، وينتهزون فرصة اجتماعهم لتناول المعلومات والإجازات مما

---

(١) المالكي : بلاد الحجاز ص(٢٠٧-٢٠٨).

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى (٥٦٤/٢)، عبد الله الماجد : المكتبات في جزيرة العرب (مجلة العرب، السنة الثانية، رجب ١٣٨٧هـ) ص(٨٩٤).

جعل للأربطة دوراً علمياً كبيراً وفضلاً عن ذلك فإن بعض هذه الأربطة كانت مخصصة لسكنى طلبة بعض المدارس التى أنشأها الخلفاء والسلاطين[١] .

وسنتناول الأربطة التى أقامها الخلفاء والسلاطين والتى كانت قائمة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين [٢].

١- رباط دار الخيزران : بناه والى مكة الذى لم تذكر المصادر اسمه سنة ٤٠٢هـ وكان يقع بالقرب من الصفا[٣] .

٢- رباط الخاتون : أنشأته الخاتون الشريفة فاطمة بنت الأمير أبى ليلى محمد بن أبى سروان الحسينى وذلك سنة ٥٧٨هـ /١١٨١م، وعرف باسم رباط ابن محمود[٤] .

٣- رباط قايماز : أوقفه أحد أمراء السلاجقة وهو الأمير قايماز عبد الله بن قليج أرسلان السلجوقى سنة ٥٨٩هـ / ١١٨٢م وخصصه للمقيمين

---

(١) العبيكان : الحياة العلمية والاجتماعية بمكة ص(٦٦).

(٢) جميع الكتب والرسائل التى كتبت تاريخ مكة أسهمت فى ذكر الأربطة فلا حاجة إلى التكرار لذلك سأورد فى هذا البحث أسماء الأربطة التى بناها الخلفاء والسلاطين والأمراء وسنة بنائها فقط .

(٣) الفاسى : شفاء الغرام (٣٣٣/١).

(٤) الفاسى : العقد الثمين (١١٨/١).

والمجـاورين والمنقطعـين فـى مكـة ممـن هـم علــى مذهــب الإمــام أبى حنيفة[١].

٤- رباط الزنجيلى : أنشأه الأمير عثمان بن على الزنجيلى نائب الدولة الأيوبية على عدن، وذلك سنة ٥٧٩هـ [٢] وجعل مكان هذا الرباط أمام مدرسته عند باب العمرة والتى سبق الحديث عنها .

٥- رباط أم الخليفة الناصر العباسى : أنشأته سنة ٥٧٩هـ /١١٨٣م ويبدو أنه بقى فترة طويلة حتى يقال : إن أمير مكة عطيفة بن أبى نمى كان يسكن هذا الرباط [٣] .

٦- رباط أبى رقيبة : أوقفه الوزير عبد الرحيم بن على العسقلانى وهو وزير السلطان صلاح الدين الأيوبى وقد حدد هذا الوزير فى وقفيته لهذا الرباط بأن تكون أطول مدة يمكث فيها المقيم ثلاث سنوات .

٧- رباط ربيع : أوقف هذا الرباط السلطان الملك الأفضل نور الدين على بن الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب صاحب دمشق وذلك سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٧م .

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام (١/٣٣٣).

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٨- رباط ابن عنايم : أوقفه ملك الهند محمد بن أبى على الدار سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م واشترط ألا يتجاوز عدد ساكنيه عن عشرة أشخاص[١] .

٩-رباط الشرابى : ينسب هذا الرباط إلى الأمير إقبال الشرابى أحد قادة الخليفة المستنصربالله العباسى سنة ٦٤١هـ /١٢٤٣م وهذا الرباط كان قريباً من المسجد الحرام تحت منارة بنى شيبة[٢]، وكان هذا الرباط يتكون من دورين، الدور الأول كان سكناً للمدرسين والمشرفين على المدرسة، والدور الثانى كان سكناً للطلبة [٣] .

١٠-رباط الصفا : أنشأه سلطان بلاد فارس شاه شجاع بن محمد المظفر اليزيدى [٤] وذلك سنة ٧٧١هـ [٥].

رابعاً : إنشاء المكتبات :

وبجانب المدارس والأربطة أقام الحكام والسلاطين والأعيان

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام (٣٣٥/١).

(٢) المصدر نفسه (٣٣٠/١) .

(٣) المالكى : بلاد الحجاز ص(١٤٨).

(٤)هو شاه شجاع بن محمد بن مظهر اليزيدى ملك شرايز وما حولها اشتهر بحب العلم وله إلمام بالعربية. وكان ينظم الشعر ويحب مجالسة الأدباء انظر : ابن حجر : الدرر الكامنة (١٨٧/٢).

(٥)الفاسى : شفاء الغرام، (٣٣٠/١)، العبيكان : الحياة العلمية بمكة ص(٢١٤) .

المكتبات التى تعتبر مكملة للمدارس ولها دور كبير فى الحركة العلمية والتعليمية وكانت هذه المكتبات تزخر بالكتب النفيسة التى يجلبها علماء البلدان الإسلامية معهم أثناء قدومهم إلى مكة المكرمة .

ومن أهم المكتبات التى كانت موجودة بمكة، مكتبة الحرم المكى الشريف، فقد كانت هذه المكتبة تضم العديد من الكتب المتخصصة فى شتى العلوم والمعارف ولكن هذه الكتب لم تحفظ فى غرف خاصة، وإنما كانت موضوعة فى دواليب فى دائر حائط الحرم المكى، وكانت هذه الدواليب مكشوفة وهذا ما يجعلها عرضة للتلف وخاصة فى الوقت الذى تهطل فيه الأمطار [١]، وهذا ما تنبه له بعض من السلاطين والعلماء فقاموا بإنشاء خزائن للكتب داخل المسجد الحرام [٢].

هذا وكانت بعض الأربطة الموجودة بمكة تضم العديد من الكتب والمراجع التى يحتاجها طلاب العلم والمعرفة فقد كان برباط ربيع مجموعة من الكتب النفيسة ومن بينها الكتب التى أوقفها السلطان الملك الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين الأيوبى فى ذلك الرباط كمثل كتاب المجمل فى اللغة لابن فارس، وكتاب الاستيعاب لابن عبد البر [٣].

---

(١) البتنونى : الرحلة الحجازية (٥٨).

(٢) ابن جبير : الرحلة ص(٨٣).

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى (٥٦٧/٢).

وأصبح رباط ربيع فيما بعد أحفل الأربطة التي كانت موجودة بمكة من ناحية الكتب، وأصبح مرتاداً لكثير من العلماء والطلاب الذين جاءوا اليه للاطلاع على ما به من كتب نادرة ونفيسة [١].

ويبدو أن هذا الرباط يضم مكتبة تعد من أكبر المكتبات بمكة المكرمة والدليل على ذلك أن المؤرخ تقى الدين الفاسى عند ترجمته لعدة علماء ذكر بأن هؤلاء العلماء أوقفوا كتباً فى رباط ربيع، فعند ترجمة لعبد الله بن أبى بكر المعروف بالكردى المتوفى فى سنة ٧٨٥هـ ذكر بأنه أوقف كتباً كثيرة جعل مقرها رباط ربيع[٢]، وعند ترجمته ترجمته لعلى بن محمد بن سند المصرى الفراشى بالمسجد الحرام والذى كانت وفاته سنة ٨٢٧هـ ذكر بأنه أوقف كتباً اقتناها وجعل مقرها برباط ربيع .

وقد حرص ملك فارس شاه شجاع حينما أنشأ رباطه بمكة المكرمة سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م ان يجعل به مكتبة تضم كتباً كثيرة [٣] .

وهناك أيضاً رباط الخوزى بمكة أوقف به عدد كبير من الكتب [٤].

وكانت بعض المدارس التى أسسها الخلفاء والسلاطين والأعيان

---

(١) الماجد : المكتبات فى جزيرة العرب ص(٨٩٤).

(٢) الفاسى : العقد الثمين (١١٦/٥،٦/٢٣١-٢٣٢) .

(٣) الفاسى : المصدر نفسه(٤/٥).

(٤) الفاسى : المصدر نفسه (١٣٧/٧).

تضم مكتبات في داخلها كمثل المدرسة الشرابية التي بناها الأمير شرف الدين إقبال الشرابي خادم المستنصر بالله العباسي سنة ٦٤١هـ /١٢٤٣م والتي كانت تقع على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السلام، وقد ضمت هذه المدرسة التي أسسها الشرابي مكتبة ضخمة وزودها بكتب عديدة ونادرة [١] وقد وصف ابن فهد في كتابه إتحاف الورى بأن مكتبة هذه المدرسة كانت تضم كتباً نفيسة في فنون العلم والمعرفة[٢] .

خامساً : الدروس الخاصة :

لقد حرص بعض السلاطين والأمراء على إقامة الدروس الخاصة على حسابهم وهذه الدروس كانت تلقى في المسجد الحرام أو في بعض الأربطة أو المدارس فكانوا يدفعون لمن يقوم بتدريسها أجراً معلوماً، وقد بلغ هذا الأجر في بعض الحالات مبلغاً كبيراً إذ بلغ ٢٠٠ مثقال ذهب في السنة، وكانت هذه الدروس تأخذ شكل الحلقات المعروفة في المساجد، والحقيقة أن هذه الدروس كان لها دور علمي كبير فقد ساهمت في نشر العلم بين صفوف المسلمين من أبناء مكة والوافدين إليها [٣] وكان من بين تلك الدروس التي أقامها السلاطين والأمراء :

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام (٣٣٠/١) .

(٢) المالكي : بلاد الحجاز ص(١٩٤).

(٣) العبيكان : الحياة العلمية ص(٧٦).

(١)الدرس الذى قرره بشير الجمدار أحد أمراء المماليك بمصر وولى تدريس هذا الدرس أشهر علماء مكة فى تلك الفترة أمثال القاضى جمال الدين محمد بن ظهيرة [١]، وقاضى الحرمين أحمد العقيلى الملقب محب الدين النويرى [٢].

(٢)الدرس الذى قرره شاه شجاع بن محمد اليزيدى ملك شيراز (ت : ٧٨٧هـ)فقد قرر درساً فى الحديث فى المسجد الحرام وممن ولى تدريسه على نور الدين الكنانى الفوى (ت : ٨٧٢هـ) وكان يأخذ لقاء تدريسه نحو مائتين مثقال من الذهب سنوياً [٣].

(٣)الدرس الذى قرره يلبغا الخاصكى [٤] أحد مماليك الملك

---

(١) ولد بمكة المكرمة سنة ٧٥١هـ ودرس بها على يد شيوخها وعلمائها وقام برحلات علمية عديدة زار دمشق ومصر وحصل على إجازات علمية من عدة علماء وكان لديه إلمام واسع باللغة العربية والفقه وعين قاضياً وخطيباً ومفتياً بمكة المكرمة توفى سنة ٨١٧هـ .انظر الفاسى العقد الثمين (١٢٣/٣).

(٢) تولى القضاء والخطابة بمكة المكرمة سنة ٧٧٣هـ وتوفى سنة ٧٧٩ بمكة . الفاسى : المصدر نفسه (١٢٦/٣).

(٣) الفاسى : العقد الثمين (١٣٠/٦)، العبيكان، الحياة العلمية ص(٧٧).

(٤) يلبغا بن عبد الله الخاصكى القصر الناصرى العمرى عرف عنه كثرة مبراته وصدقاته وخاصة فى بلاد الحجاز وهو الذى أمر بإسقاط المكوس عن حجاج بيت الله الحرام، وصارت إليه الرئاسة بمصر فى عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين مات مقتولا فى شهر ربيع الآخر سنة ٧٦٨هـ /١٣٦٦م. انظر : ابن حجر : الدرر الكامنة (٢١٣/٥-٢١٥)؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (٣٥/١١).

الناصر ابن قلاوون فقد قرر درساً في الفقه الحنفي بالمسجد الحرام وقد عين العلامة محمد بن محمد بن سعيد الصغاني (ت: ٧٨٠هـ) ليتولى تدريس هذا الدرس وبعد وفاته عين ابنه أحمد مكانه، وقد أقبل على هذا الدرس عدد كبير من الطلبة الذين ظهرت شهرتهم العلمية فيما بعد، كمحمد بن كمال بن علي الهندي الدهلوي الملقب بشمس الدين الحنفي (ت : ٧٩٣هـ) ، وأحمد بن أبي البركات محمد بن أبي السعود بن ظهيرة (ت : ٨٢٣ هـ)، وكذلك أحمد بن عبد الله الشهاب المكي (ت:٨٠٩ هـ) [١] .

(٤)الدرس الذي قرره الأمير أرغون الدوادار [٢] في مدرسته التي أسسها بمكة والتي كانت تقع على يسار الداخل إلى المسجد الحرام من الباب المعروف بباب العجلة [٣] .

سادساً : المجالس العلمية :

حفلت مكة المكرمة في القرنين السابع والثامن للهجرة بوجود المجالس العلمية التي كان لها دور كبير في الحركة العلمية وقد شجع

---

(١) الفاسي : العقد الثمين (٢/٢٦٦)، العبيكان : الحياة العلمية بمكةص(٧٨).

(٢) هو سيف الدين أرغون شاه بن عبد الله الدوادار الناصري، برع في الفقه وتولى نيابة السطنة بمصر للناصر محمد نحو ست عشرة سنة، ثم ولي نيابة حلب أربع سنين ومات في سنة ٧٣١ هـ /١٣٣٠م . ابن حجر : الدرر الكامنة (١/٣٧٤).

(٣) العبيكان : المرجع السابق ص (٧٨) .

بعض الأمراء على إقامة هذه المجالس العلمية وكانت عبارة عن ندوة لكبار العلماء تجلى فيها روح البحث العلمي، ومن أشهر المجالس العلمية بمكة مجلس الأمير حسن بن عجلان وابنه بركات وحفيده محمد وكان هؤلاء الأمراء يمتازون بكفاءة علمية فائقة [1] ، ويذكر أن أحمد بن جار الله بن زائد السنبسي المكي الشافعي (٧٤٦هـ/ -٨٢٧هـ) قد لازم أمير مكة الشريف حسن بن عجلان وقد حصل منه على دور وسقايا كثيرة بالوادي [2].

ولا شك بأن ذلك عامل من عوامل إثراء الحركة العلمية بمكة المكرمة.

---

(١) السباعي : تاريخ مكة (١/٣٢٨) .

(٢) العبيكان : الحياة العلمية بمكة ص(٩١).

الفصل الخامس

إسهامات التجار والأعيان في إثراء الحركة العلمية بمكة المكرمة

وكما كان للسلاطين والأمراء دور في تنشيط وإثراء الحركة العلمية بمكة المكرمة كان أيضاً لبعض التجار الموسرين والأعيان دور ملموس في ذلك حيث ساهم الكثير من تجار البلدان الإسلامية وأصحاب الثراء بمكة المكرمة في إنشاء المدارس والأربطة وإقامة الدروس الخاصة فكانت أقدم مدرسة بمكة المكرمة بناها أحد التجار وهو التاجر العسقلاني عفيف الدين بن عبد الله بن محمد الأرسوفي (ت : ٥٩٣هـ/١١٩٦م) وعرفت باسم مدرسة الأرسوفي وكان موقعها بالقرب من باب العمرة من جهة الشبيكة، وهي أول مدرسة نظامية تأسست بمكة المكرمة[1].

وكما أنشأ التجار المدارس أنشأوا الأربطة أيضاً لتأوي الوافدين إلى مكة المكرمة من أجل طلب العلم وتأوي سكان الأقاليم التي ينتمون إليها وخصص بعضها لسكن الحجاج في أيام الحج، وأهم الأربطة التي بناها التجار بمكة المكرمة :

(١) رباط البخارية : أوقفه مجموعة من تجار مدينة بخارى واشترطوا

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام (٣٣٢/١)، المالكي : بلاد الحجاز ص(١٩٠) .

أن يكون خاصاً لمأوى الحجاج القادمين من بلاد بخارى وأن يسكنه الفقراء المقيمون فيمكة طوال السنة ما عدا موسم الحج، كما أنشأ تجار مدينة بخارى أربطة أخرى في مواقع متفرقة بمكة المكرمة [١].

(٢) رباط الدمشقية : أسسه تجار مدينة دمشق واشترط في وقفيته بأن يخصص للفقراء من أهل الشام والعراق العرب منهم والعجم [٢].

(٣) رباط المغاربة : أوقفه مجموعة من تجار بلاد المغرب لكى يكون سكناً للمقيمين فى مكة المكرمة من طلبة العلم للرجال دون النساء وأن يسمح للحجاج الذين لا مأوى لهم بالسكن في هذا الرباط وقت الحج وكان هذا الرباط يقع عند باب العمرة وقد أزيل فى التوسعة الأخيرة التى قام بها جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله سنة ١٣٧٥ هـ [٣].

(٤) رباط الحضارمة : وقد بناه مجموعة من تجار مدينة حضرموت، وكان شرط وقفيته ينص على تخصيصه لطلبة العلم المقيمين فى مكة المكرمة وأن يكون سكناً للحجاج القادمين من حضرموت فى فترة الموسم ، ويذكر الدكتور سليمان مالكى أن هذا الرباط لا زال موجودا حتى الوقت الحاضر وقد جدد بناؤه فى العصر الحديث [٤].

---

(١) العبيكان : الحياة العلمية ص(٢٠٦ /٢٠٧).

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(٣) سليمان مالكى : بلاد الحجاز ص(١٤٣) .

(٤) سليمان مالكى : بلاد الحجاز ص(١٤٤) .

ولم تكن هذه الأربطة التى بناها الخلفاء والسلاطين والتجار بمكة المكرمة هى الوحيدة، وإنما كان هناك عدد كثير من الأربطة بناها الموسرون من الفقهاء والعلماء والقضاة [١].

ولم يكن مساهمة التجار قاصرة على بناء المدارس والأربطة وإنما ساهموا أيضاً بإقامة الدروس الخاصة على حسابهم وعلى نفقتهم فكانوا يدفعون رواتب مجزية لمن يقوم بتدريس هذه الدروس التى كانت تعقد فى المسجد الحرام وبعض المدارس بمكة المكرمة .

وكان من بين تلك الدروس :

الدرس الذى قرره بدر الدين الخروبى وهو أحد تجار الكارم فى مصر وجعل مكانه فى المسجد الحرام وقد تولى تدريسه على بن محمد الحسينى الفاسى الذى تولى مباشرة الحرم قبل سنة ٧٤٠ هـ [٢].

---

(١) لقد تناولت الكتب التى تحدثت عن مكة المكرمة الحديث عن هذه الأربطة بالتفصيل فلا حاجة إلى تكرارها وقد تناولت فقط ذكر الأربطة التى بناها التجار .

(٢) العبيكان : الحياة العلمية بمكة، ص(٧٦) .

الفصل السادس

دولة بنى رسول ودور حكامها فى الحركة العلمية بمكة المكرمة

خلف بنو رسول الأيوبيين فى حكم اليمن سنة ٦٢٦هـ وقد جاءوا إلى اليمن مع الأيوبيين، وامتد نفوذهم من حضرموت إلى مكة المكرمة، وظل حكمهم سائداً أكثر من قرنين، وهم ينتسبون إلى أول ملوكهم شمس الدين بن رسول الذى ينتهى نسبه إلى الغساسنة الذين هاجروا من اليمن إلى الشام بعد انهيار سد مأرب وقدم على بن رسول إلى اليمن مع أولاده الأربعة ضمن إحدى الحملات الأيوبية، وكان أول ظهور لبنى رسول على مسرح الأحداث اليمنية عندما قام طغتكين بن أيوب (٥٧٩ - ٥٩٣ هـ) بتولية شمس الدين على بن رسول نائباً عنه فى مدينة حيس وأعمالها، وإلى عهد الأتابك سنقر (٥٩٨ - ٦٠٨ هـ) أتابك الملك الناصر أيوب بن طغتكين نقله منها وولاه على حصن حب وأقطع ابنه بدر الدين الحسين بن على بن رسول منطقة ريمة [١] .

وأقطع ابنه الآخر فجر الدين أبا بكر وصاباً، ثم قام الناصر أيوب بإقطاع بدر الدين الحسن : حرض والهلية [٢].

---

(١) عبد الله عبد السلام : مدينة حيس اليمنية ص(١٧).

(٢) احمد جابر عفيف : الموسوعة اليمنية (١/١٧٥)

ومن هنا يتضح أن بني رسول أصبحوا من المقربين إلى حكام اليمن الأيوبيين مما مكنهم من لعب دور أكبر بعد ذلك - وخاصة بدر الدين الحسن- في تولية سليمان بن سعد الدين شاهنشاه ملكاً على اليمن بعد مقتل الناصر أيوب بن طغتكين، وكنوع من رد الجميل قام سليمان بإقطاع بدر الدين صنعاء.

وفي عهد الملك المسعود يوسف بن السلطان الملك الكامل (٦١٢- ٦٢٦ هـ) لعب بنو رسول دوراً بارزاً في تثبيت ملكه فازدادوا مكانة عنده، وعين بدر الدين الحسن أستاذ داره سنة (٦١٤ هـ) ثم ولاه صنعاء سنة (٦١٨ هـ) وجعلها إقطاعة، وعين أخاه نور الدين عمر بن علي بن رسول والياً على الحصون الوصابية، ثم ولاه سنة (٦١٩ هـ) على مكة[1].

وبعد وفاة المسعود الأيوبي في مكة سنة (٦٢٦ هـ) أخذ نائبه على اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول يمهد لاستقلاله عن الدولة الأيوبية في مصر ، فقام بعزل نواب الأيوبيين على أقاليم وحصون اليمن واحداً تلو الآخر وعين مكانهم نواباً ممن يثق بهم، ولما دانت له البلاد خلع طاعة بني أيوب واستقل بالملك سنة (٦٢٨ هـ) وتلقب بالمنصور واتخذ تعز - عاصمة الأيوبيين في اليمن - عاصمة لدولته، وبذلك استكمل نور الدين مظاهر استقلاله عن الدولة الأيوبية، وحكم اليمن

(١) الخزرجي : العقد اللؤلؤية (١/ ٢٣).

تحت مظلة الخلافة العباسية مباشرة .

كانت لحكام بني رسول صلات قوية بمكة المكرمة، وقد تركوا فيها مآثر عديدة منها ثلاث مدارس أقدمها المدرسة المنصورية ومؤسسها السلطان عمر بن رسول الملقب بالمللك المنصور، وقد حكم بين عامي (٦٢٦ هـ) و (٦٤٧ هـ) وكان محباً للعلم والعلماء، فقد بنى - بالإضافة إلى مدرسته في مكة- ست مدارس في اليمن ثلاث منها في زبيد، ورتب في كل مدرسة بناها مدرساً ومعيداً وإماماً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن [1] وكان تاريخ وقفها عام (٦٤١ هـ)، وقد اهتم السلطان عمر بن رسول بهذه المدرسة، وجهزها بكامل تجهيزاتها، وساندته زوجته؛ حيث أمرت بتوفير الماء للطلاب الذين يدرسون بهذه المدرسة؛ فحفرت بئراً داخلها، وشرب منها الطلاب، وجعل فيها السلطان عمر مدرساً ومعيداً وإماماً للصلاة ومؤذناً ومعلماً، وجعل بها جانباً لتدريس القرآن الكريم، وسمح للطلاب الأيتام بتعليم القرآن الكريم بهذه المدرسة .

وأما موقعها فبالقرب من باب العمرة بين المدرسة الزنجيلية ومدرسة طاب الزمان، وأما الموضوعات التي كانت تدرس بها : فهي الحديث وفقه الإمام الشافعي، وممن ولي تدريس الحديث بها القاضي علي بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي (٧٢٤-٧٩٨هـ) وابنه القاضي عبد العزيز بن علي العقيلي (٧٧٨-٨٢٥هـ)، ومن الذين عملوا بالإعادة فيها علي بن

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٨٤) .

أحمد بن سلامة (٧٤٦-٨٢٨ هـ)، وعلى هذا من مواليد مكة، رحل فى سبيل العلم إلى بغداد والشام ومصر وأذن له أكثر من شيخ فى الإفتاء والتدريس، لكنه لم يكثر من الإفتاء احتراماً لقضاة مكة[١] ، وإذا علمنا أن القضاة كانوا يعملون كمدرسين أدركنا مترلة المعيد بالمقارنة مع المدرس، فالمدرس أغزر علماً وأعلى مقاماً من المعيد .

وبحلول منتصف القرن العاشر الهجرى زالت معالم هذه المدرسة، فى معرض حديثه عن زيارة سليمان باشا الوزير العثمانى لمكة عام ٩٤٥هـ يذكر القطبى [٢] أنه بعد الطواف والسعى نزل قرب باب العمرة فى الموضع الذى كان مدرسة للملك المنصور .

وبنى السلطان على بن داود الملقب بالملك المجاهد مدرسة بمكة عام ٧٤٠ هـ عرفت بالمدرسة المجاهدية، وفى معرض حديثه عن منجزات الملك المجاهد يقول الخزرجى : وله من الآثار الدينية مدرسة فى مكة المشرفة ملاصقة للحرم الشريف يصلى المصلى فيها وهو يشاهد البيت الحرام، رتب فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاما ومدرساً وطلبة[٣].

وقد جعل للمدرسة أوقافاً من أملاكه الخاصة، وجعل الأوقاف فى

---

(١) الفاسى : العقد الثمين (٤٥٣/٥-٤٥٥) (١٣٣/٦، ١٤٠) .

(٢) القطبى : البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ص(٨٨) .

(٣) الخزرجى : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية (١٢٦/٢).

ثلاثة مواضع من وادي زبيد زيادة في الحرص على توفير الأموال سنوياً للمدرسة، فكان جزء من الأوقاف في أعلى وادى زبيد وجزء في أسفله والجزء الثالث في أوسطه، حتى إذا لم تغل الأوقاف في جهة معينة كانت غلال الجهة الأخرى مورداً للمدرسة تستعين به على تسيير أمورها في ذلك العالم [١].

ودرس بها عدد من العلماء نذكر منهم القاضي جمال الدين محمد بن ظهيرة المخزومي توفي (٨١٧ هـ) وقد ولي التدريس بها سبع عشرة [٢] سنة، وفي أوخر أيامه تنازل عن التدريس فيها لولده أحمد بن محمد بن ظهيرة قاضي مكة وفقيهها، وكان هذا واسع الاطلاع، حفظ الألفية في النحو والمنهاج للنووي، وحضر دروساً في الأصول والمعاني والبيان والمنطق عند الشيخ حسام الدين الأبيوردي بمكة، كما حضر دروساً في التفسير والأصول والعربية عند الشيخ الوانوغي .

وأخذ عن الشيخ بدر الدين الزمزمي الفرائض، والحساب، والفلك ودرس بالمسجد الحرام، وعندما مرض والده حل محله في التدريس بالمدرستين البنجالية والمجاهدية [٣] فدرس بها عشرة أعوام (٨١٧هـ - ٨٢٧ هـ)، كما درس بها أيضاً القاضي أحمد بن محمد العقيلي الملقب

---

(١) المصدر نفسه ص(٦٨).

(٢) الفاسي : العقد الثمين (٥٨/٢).

(٣) المصدر نفسه (١٣٩/٣-١٤٢).

محب الدين النويري، وكان قد بدأ بالتدريس في المسجد الحرام، ثم أخذ يدرس درس بشير الجمدار منذ عام (٧٨٩هـ)، وأضيف إليه بعد ذلك التدريس بالمدرسة المجاهدية واستمر في ذلك إلى أن توفي عام (٧٩٩هـ) [١].

ومن بين الذين عملوا معيدين في المجاهدية أحمد بن إبراهيم بن محمد الشافعي إمام المقام الشريف [٢]، كما عين علي بن سالم الزبيدي معيداً في المدرسة المجاهدية، ولكنه رفض ذلك المنصب لأنه كان يطمح إلى منصب أعلى [٣]، ويخبرنا الفاسي أن شقيقه عبد اللطيف عين معيداً بها، لكنه لم يباشر عمله نظراً لوجوده في مصر [٤].

لم أستطع ضبط السنة التي توقفت فيها هذه المدرسة عن أداء رسالتها، لكن يرجح أن ذلك حدث في أوائل القرن العاشر الهجري أو قبل ذلك التاريخ، فعند حديثه عن أحداث عام (٩٣٢هـ) يتطرق القطبي للحديث عنها بقوله : كان يقام بها درس بالقديم، ثم أخذها أحمد العيني وأوقفها على قراءة القرآن، ثم خربت، وهي الآن خراب إلى أن يقيض الله من يعمرها [٥].

---

(١) الفاسي : العقد الثمين (١٢٤/٣ - ١٢٥).

(٢) المصدر نفسه ص(٩ - ١٠).

(٣) المصدر نفسه ص(١٣٥/٦).

(٤) المصدر نفسه ص(٤٨٦/٥).

(٥) القطبي : البرق اليماني في الفتح العثماني ص(٤٧).

وأسس حكام بني رسول مدرسة ثالثة في مكة هي المدرسة الأفضلية، وقد أمر بإنشائها الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد، وابتدأ التدريس بها عام (٧٧٠هـ) على المذهب الشافعي، وكانت تقع في الجانب الشرقي من المسجد الحرام، وكان بها مدرس ومعيد وعشرة من الطلبة وإمام ومؤذن وقيم، ومعلم وأيتام يتعلمون القرآن الكريم، وأوقف عليها وقفاً جيداً [١]، وكان مبنى المدرسة في الأصل داراً يملكها قطب الدين بن المكرم المصري [٢].

وأول من ولي التدريس فيها محمد بن أحمد الهاشمي العقيلي [٣] (٧٢٢ – ٧٨٦ هـ) قاضي مكة وخطيبها، كما درس بها أيضاً حفيده القاضي عز الدين [٤] وعبد الرحمن بن الجمال المصري.

وحرص بنو رسول على هذه المدارس الثلاث؛ لتظل تؤدي دورها العلمي بمكة المكرمة، ولتحقيق ذلك عين بنو رسول عبد اللطيف بن محمد بن علي الزبيدي اليمني مشرفاً على هذه المدارس؛ ليتولى نفقاتها ومتابعة أحوالها وصيانتها واستمرارية الدراسة بها[٥]، ولم يكتف حكام بني رسول بإنشاء المدارس بمكة المكرمة فحسب، بل كانوا

---

(١) علي الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (١٥٩/٤).

(٢) الفاسي: العقد الثمين (٢/ ٣٢٥).

(٣) المصدر نفسه (١١٧/١ – ١١٨ – ٣٠١ – ٣٠٢).

(٤) المصدر نفسه ص(٢٧٢).

(٥) العبيكان: الحياة العلمية والاجتماع بمكة ص(٧٤).

ينفقون الأموال باستمرار على العلماء وطلاب العلم، رغبة منهم في إثراء الحركة العلمية بها، فيذكر أن الملك المنصور نور الدين بن رسـول قدم سنة ٦٣٥هـ إلى مكة المكرمة، فأنفق على أهلها أموالا كثيرة نال علماؤها نصيباً وافراً منها [١] . وفى سنة ٦٥٩هـ حج الملك المظفر يوسف بـن المنصور، فحينما وصل إلى مكة المكرمة أنفق بها أموالا وصدقات كثيرة على أهالي مكة بما فيهم العلماء وطلاب العلم [٢].

وفي سنة ٧٤٢هـ أغدق الملك المجاهد على بن المؤيد داود بن المظفر أموالا على أهالي مكة المكرمة [٣].

وإذا كان الخلفاء والسلاطين والأمراء قد اعتاوا دعوة مشاهير العلماء من شتى الأقاليم الإسلامية إلى بلدانهم للاجتماع بهم والاستفادة من علمهم، ولعقد مجالس الدرس لهم - فإن حكام بنى رسول قد ساروا على هذه السياسة؛ تشجيعاً منهم للعلم والعلماء، فيذكر أن العالم المكى محب الدين الطبرى الذى كان رمزاً للحركة العلمية في بلاد الحرمين، والذى قيل عنه ما أخرجت مكة بعد الشافعى مثل المحب الطبرى، والذى وصفه تليمذه الذهبى بشيخ الحرم ومحدثه ومفتيه - هذا العالم القدير كان له مكانة مرموقة عند الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن

---

(١) المقريزى : السلوك (٢٧٤/١).

(٢) الفاسى : شفاء الغرام (٢٤٠/٢) .

(٣) المصدر نفسه (٢٤٧/٢) .

رسول الذى كان يستدعيه إلى اليمن؛ ليسمع عنه الكتب التى ألفها فى الحديث : مثل كتاب الأحكام الكبرى وغيرها، وكان المظفر يكرمه بالمرتبات السخية، ويتمنى بقاءه عنده باليمن، ولكن هذا العالم المكى رفض البقاء باليمن، فعاد إلى مكة . ولا شك بأن هذا التشجيع، وهذه المكانة التى حظى بها هذا العالم عند الدولة الرسولية، قد أوجدت عنده روح الإصرار على النجاح؛ فعاد إلى مكة المكرمة لتحتضن مجالسه العلمية طلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية [١] . ويذكر كذلك أن الملك الأفضل عباس قد دعا العالم المكى محمد بن يعقوب الفيروزآبادى إلى زبيد فى اليمن، وأكرمه، وأقام عنده فترة من الزمن، ثم عاد إلى مكة [٢].

والخلاصة أن كل ما قام به حكام بنى رسول من إنشاء المدارس والأربطة، وعمل الأوقاف لها، وتأسيس المكتبات، وتشجيع العلماء، والإنفاق على طلاب العلم مكملالما قام به خلفاء وسلاطين وأمراء الدول الإسلامية وكانت جهودهم واضحة وملموسة وأصبحت لها أثر كبير فى ازدهار الحركة العلمية بمكة المكرمة .

---

(١) د . محمد الحبيب الهيلة : التاريخ والمؤرخون ص(٥٤) .

(٢) المرجع نفسه ص(٩٠).

الخـا تمـة

- كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة فى العصور الإسلامية الأولى مركزين من مراكز العلم فى الدولة الإسلامية واستمرت هذه المكانة فيما بعد .

وقد وضع الرسول ﷺ اللبنات الأولى للنهضة العلمية التى تمتعت بها منطقة الحجاز .

- لقد كان للمكانة الروحية التى تمتعت بها مكة المكرمة أثر كبير فى توافد العلماء والمفكرين وطلاب العلم من شتى أقطار العالم الإسلامى إليها وأثر فى اهتمام الحكام المسلمين بها .

- لقد انتاب النشاط العلمى بمكة المكرمة بعض من الفتور خلال ثلاثة قرون، من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجرى، ويبدو أن الأوضاع السياسية لها دور كبير فى ذلك الفتور .

- تمتعت مكة المكرمة بنهضة علمية كبيرة فى القرنين السابع والثامن الهجريين وذلك بفضل جهود الخلفاء والسلاطين والأمراء والتجار الذين قاموا بتوفير ما يكفل نجاح الحياة العلمية بمكة المكرمة .

- ارتباط النهضة الثقافية بتوفر الأمن بات واضحاً بمكة المكرمة فالأوضاع السياسية المضطربة لها أثر فى إحجام العلماء وطلبة العلم عن القدوم إلى البلد الذى لا تتوفر به مقومات الأمن، وهذا ما حرص على توفره خلفاء وسلاطين وأمراء وقادة الدول الإسلامية فى القرنين السابع

والثامن للهجرة، وكان أثره واضحاً في النهوض بالحركة الثقافية بمكة المكرمة .

حرص الخلفاء والسلاطين والأمراء والتجار على إرسال الأموال والهبات إلى أهالي مكة المكرمة، كما حرصوا على بناء المدارس والأربطة والمكتبات فكانت حافزاً لكثير من العلماء وطلاب العلم للقدوم إلى مكة المكرمة .

- وجدت المقومات والعوامل التي ساعدت على ازدهار النهضة العلمية بمكة المكرمة في القرنين السابع والثامن الهجريين .

- السكن عامل من عوامل الاستقرار النفسي وهذا ما أدركه الخلفاء والسلاطين والتجار فحرصوا على بناء الأربطة التي تأوى العلماء وطلاب العلم الذين لا مأوى لهم فكانت حافزاً للبعض من القدوم إلى مكة طالما أنهم يجدون بها المدارس التي يدرسون ويدرسون بها والأربطة التي يسكنون بها .

- توافد على مكة المكرمة علماء وطلبة علم من أقاليم إسلامية متفرقة فعلى الرغم من انتمائهم لدول إسلامية متعددة إلا أنهم يشعرون دئماً بانتمائهم إلى كيان واحد وتجمعهم رابطة واحدة هي رابطة الدين الإسلامي الحنيف .

- جاءت جهود أمراء دولة بني رسول مكملة لجهود خلفاء وسلاطين الدول الإسلامية بالبلد المقدس، وربما كان اهتمامهم بمكة

نابعاً من اعتبار أن إمارتها خاضعة لإشرافهم وسيادتهم فترات متعددة فكانت جهودهم لها أثر كبير فى التطور العلمى بمكة المكرمة، ومكملة لما بدأه أسلافهم من الأمراء السلاطين .

- يتضح من وجود هذا العدد الكبير من المدارس والأربطة والمكتبات والدروس الخاصة فى مكة المكرمة مدى النهضة التعليمية التى شهدتها المدينة المقدسة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين .

المصادر والمراجع

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، تكملة الصلة، تصحيح السيد عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦م .

- ابن الأثير : عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ - بيروت دار صادر ، ١٩٦٥ - ١٩٦٦ م.

- ابن إياس : أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤ م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور- دار الشعب- القاهرة .

- ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (٥٧٨هـ / ١١٨٢م)، كتاب الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦م.

- ابن بطوطة : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٧٧٩هـ /١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة : (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ط، ١ مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

- ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٧٨٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة -- دار الكتب- بدون ذكر سنة الطبع .

- ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

- ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم،ط،١ دار المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن ١٩٤٠م.

- ابن حبيب : محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ)، المحبر، دار الفكر ، بيروت .

- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على العسقلانى (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) .

-* الإصابة فى تمييز الصحابة - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٥م.

-* الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة دار الكتب الحديثة ١٩٦٧م.

-* فتح البارى - المكتبة السلفية - ١٤٠٧هـ .

- ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط : ٥ ، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م.

- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر- القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

- ابن رشيد : أبو عبد الله محمد بن عمر(ت٧٢١هـ/١٣٢١م)، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة- الدار التونسية للنشر ١٩٨٢م.

- ابن زيني دحلان : أحمد بن زيني(١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)، خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام، القاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

- ابن سعد : محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دار التحرير، القاهرة ١٣٨٨هـ .

- ابن صاعد :، طبقات الأمم، دار الفكر - بيروت .

- ابن ظهيرة : جمال الدين محمد جار الله (ت ٩٨٦هـ/١٥٧٨م)، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف- ط٢- القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

- ابن عنبة : جمال الدين : أحمد بن علي الحسيني (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، مجموعة الرسائل الكمالية في الأنساب- طبع بمطابع دار الشعب القاهرة ١٩٨٠ نشر مكتبة المعارف بالطائف .

- ابن فهد : النجم عمر بن فهد (ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت ،ط١، طبعة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي- مكة المكرمة ١٩٨٣م.

- ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم، المعارف، صححه الصاوي، مصر ١٩٣٥م، نسخة مصورة دار إحياء التراث العربي .

- ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

- * البداية والنهاية- دار الحديث- القاهرة بدون ذكر سنة الطبع.

• تفسير القرآن الكريم - دار إحياء الكتب العربية .

- ابن فهد : عز الدين عبد العزيز بن عمر (ت ٩٢٢هـ /١٥١٦م)، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم شلتوت،ط،١ منشورات مركز البحث العلمي، مكة المكرمة ١٩٨٦م.

- ابن النديم : (محمد بن إسحاق)، الفهرست طبع بالقاهرة ١٣٤٨هـ .

- الأزرقي، أبو الوليد محمد ين عبد الله (ت حوالى٢٥٠هـ /٨٧٤م).

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار؛ تحقيق رشدى الصالح ملحس، ط٤ مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- الأصفهانى : (أبو الفرج الأصفهانى)، الأغانى، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة.

- البخارى : محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ /٨٧٠م)، صحيح البخارى، المكتبة السلفية ١٤٠٧هـ .

- البغدادى : أحمد بن على أبو بكر (ت٤٦٣هـ)،، تقييد العلم، بيروت.

- التجيبي : القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت٧٣٠هـ / ١٣٢٩م)، مستفاد الرحلة والاعتراب- تونس- الدار العربية للكتاب ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م،

- الجزيري : عبد القادر بن محمد (ت بعد سنة ٩٧٦هـ)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ط١ منشورات دار اليمامة- الرياض١٩٨٣م.

- الحموي : ياقوت ين عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر ١٩٥٧م.

- الحنبلي : عبد الحي بن العماد (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت .

- الخزرجي : علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية - تحقيق محمد بن علي الأكوع- صنعاء- دار الأدب ١٩٨٣م.

- الرشيدي : الشيخ أحمد (ت ١١٧٨هـ/١٧٦٤م)، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد، القاهرة ١٩٨٠م.

- الزبيدي : محب الدين (ت ١٢٠٥هـ / ١٩٧٠م)، شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت .

- سبط ابن الجوزى : أبو المظفر يوسف بن قز أوغلى (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، ط/١ مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٩٥١-١٩٥٢م.

- السبكى : عبد الوهاب بن على (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، القاهرة ١٩٦٦م.

- الشوكانى : محمد بن على (ت ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤م)، البدر الطالع محاسن من بعد القرن السابع- دار المعرفة - بيروت ١٩٣٠م .

- الطبرى : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك - بيروت، دار الفكر .

- * تفسير القرآن الكريم، دار المعارف - مصر .

- الفاسى : أبو الطيب تقى الدين بن محمد بن أحمد بن على (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م)

- * شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، مكتبة النهضة الحديثة، مكة ١٩٥٦م.

- *العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين- القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية .

- القطبى : عبد الكريم (ت ١٠١٤هـ / ١٧٠٢م)، أعلام العلماء والأعلام ببناء المسجد الحرام، تعليق أحمد محمد جمال وآخرون، ط.١ دار الرفاعى - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣.

- المسعودى : على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦هـ)، التنبيه والإشراف .

- مسلم : الإمام أبو الحسين مسلم (ت ٣٠٦هـ / ٩١٨م)، صحيح مسلم بشرح النووى - مكتبة الحديث القاهرة- ١٣٩٢هـ .

- المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥ هـ /١٤٤١م):

- * اتعاظ الحنفاء- تحقيق جمال الدين الشيال ١٩٦٧م.

- * السلوك لمعرفة دول الملوك- تصحيح محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٥٦م.

- * إمتاع الأسماع، دار الأنصار- القاهرة ١٩٨١م.

- النعيمى : عبد القادر بن محمد (٩٢٧هـ / ١٥٢١م)، الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسينى، دمشق ١٩٤٨م .

- الهروى : أبو القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، غريب الحديث، المطابع الأميرية القاهرة، ١٩٨٤م .

المراجع العربية الحديثة :

- الأسد : ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف ١٩٦٢م.

- أفندي : سعيد، أسواق العرب، دار الآفاق، القاهرة.

- أمين : أحمد، فجر الإسلام، مطبعة النهضة المصرية، ١٩٥٠م .

- يا سلامة : حسين، تاريخ الكعبة المعظمة، مكتبة الثقافة الدينية، طبعة الولى عام ٢٠٠٠ م .

- باشا : إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، جزءان القاهرة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م .

- با قاسي : عائشة، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي - دار مكة ١٩٨٠ م.

- البتنوني : محمد لبيب، الرحلة الحجازية، ط،٣ منشورات مكتبة المعارف الطائف.

- جلبي : أوليا، الرحلة الحجازية، ترجمة يوسف الملواني، دار الآفاق العربية ١٩٩٦م .

- الجندي : علي، تاريخ الأدب الجاهلي، الفكر العربي، القاهرة .

- حسين : جميل حرب محمود، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، ط،١ جدة ١٩٨٥م .

صفحة فارغة

صفحة فارغة

- الوكيل : د/ محمد السيد، الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه، دار المجتمع للنشر ١٤٠٦ هـ .

- ولد داده : محمد، جزيرة العرب قبل الإسلام، الرياض ١٩٨٧م.

- وهبه : حافظ، جزيرة العرب، لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٧م.

<u>البحوث والدرويات والمؤتمرات العربية :</u>

- الذهبي : محمد حسين، رسالة المسجد في العالم عبر التاريخ، بحوث مؤتمر رسالة المسجد في ١٥ - ٢٠ رمضان ١٣٩٥ هـ .

- ربيع : حسنين محمد، بحر الحجاز في العصور الوسطى - مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود العدد الأول ١٩٧٧ م.

- العسيري : محمد بن علي، العلاقات السياسية بين الحجاز واليمن في عهد الأيوبيين .

- مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود العدد الخامس ١٩٨١م .

- فاروق : دباغة الجلود وتجارتها عند العرب .

- (مجلة العرب س ١٠ ج٧ - ٨ -١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) .

- الماجد : عبد الله .

- المكتبات فى جزيرة العرب، مجلة العرب السنة ٢ رجب ١٩٦٧م.

- المجذوب : محمد .

- رسالة المسجد قديماً وحديثاً، بحوث مؤتمر رسالة المسجد فى ١٥ - ٢٠ رمضان ١٣٩٥ هـ .

رسائل جامعية :

- البسام : لطيفة محمد .

- الحركة العلمية فى الحجاز منذ ظهور الإسلام إلى قيام الدولة العباسية، رسالة ماجستير جامعة الملك سعود ١٩٨٠ م.

- الحسن : سعاد إبراهيم .

- النشاط التجارى فى مكة المكرمة فى العصر المملوكى ، رسالة ماجستير - جامعة أم القرى ١٩٨٥م.

- عبد المجيد : فريال .

- مكة كما جاءت فى كتب الرحالة المسلمين منذ القرن السادس الهجرى حتى نهاية القرن التاسع الهجرى . رسالة ماجستير - جامعة أم القرى ١٩٨٠ م.

المحتـــوى